تابي
طايا الحب
وكتب أخرى
حلمي مراد

خطايا الحب

وكتب أخرى

كتب للمحرر

عندما تحب المرأة (مجموعة قصص مصرية) الناشر « كتب للجميع »
اوسكار وايلد (حياته ، فنه ، ومأساته) الناشر « البلاغ »
قلوب تحترق أو (حذار من الشفقة) لستيفان زفايج الناشر « روايات الهلال »
انا كارنينا لتولستوى الناشر «روايات الهلال »
رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) لجول فيرن الناشر « روايات الهلال »
ذات الرداء الابيض لويلكى كولنز الناشر « روايات الهلال »
مصطفى كمال الناشر « كتاب الهلال »
اوجينى جرانديه (ابنة البخيل) لبلزاك الناشر « روايات الهلال »
ابن بورتوس (الفارس الخامس) لالكسندر ديماس الناشر « روايات الهلال »

قصص وفصول ثقافية للمحرر

مجموعات مجلات وصحف ; الهلال ، المصور ، الاثنين ، الكواكب ، مسامرات الجيب ، البلاغ ، الكتلة ، الرسالة ، الثقافة ، الراديو المصرى ؛ الحديث

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين ، مصر الجديدة ـ تليفون ٦٥٦٠٨

الاشتراكات : عن ١٢ عددا : مصر والسودان : ١٠٠ قرش . سوريا ولبنان: ١١ ليرة سورية أو لبنانية . الحجاز والعراق والاردن: ١١٠ قروش صاغ

الكتاب الاول ـ مارس ١٩٥٢

رمز الكتاب : مصباح الفكر عند الاغريق

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية

مقدمة الطبعة الاولى

هذا الكتاب ...

عزيزى القارىء ...

دعنا نتبادل حديثا صريحا خالصا ، لعلك لم تالفه من سواى .. عندما فكرت فى تنفيذ هذا المشروع الذى يلح على ذهنى منذ سنوات ، قيل لى عن كثيرين ان مشروعا فى هـذا المستوى الرفيع الانيق الذى تلمسه بين يديك ، لن يلقى منك التعويض الكافى عما بذل فيـه من جهد ومال ، سيما وهو لايخوض فى السياسة ، ولا فى سيرة زيد أو عبيد من الناس ، ولايقدم لك أنباء المجتمعات واحاديثها وصورها .. الى آخر المواد الصحفية التى اتهموك ـ ظلما فيما اعتقد ـ بأنك لاتحب سواها ، ولاتقبل على سواها ..

لكنى كنت ومازلت أومن بأن فى مصر ـ وشقيقاتها العربية ـ قراء يفضلون السمين على التافه الغث ، والادب على السياسة ـ ولو انى لن أقدم لك ادبا جافا جامدا ، ولن أحرمك من « السياسة » فى صورة قصص حياة رجالهـا واقطابها العالميين ـ كماسترى عند تصفحك لهذا العدد الذى بين يديك ... وانما أنا اعتزم أن أقـدم اليك بعون الله فى كل عدد مادة منوعة تجعلك على اتصال دائم بالحركة الفكرية فى العالم ، الجديد والقديم ، وباحدث ثمرات العقـول والاذهان ، فى نفس الوقت الذى تكفل لك فيـه المتعة والتسلية ، وانفاق وقت الفراغ فى مطالعات تجعل منك مواطنا صالحا ، ومحدثا جذابا ، ورب أسرة واسـع الافق ، وصاحب عمل غزير الثقافة رحب التفكير ...

ولما كنا فى عصر السرعة ، ووقتك قد لايتسع لمتابعة ومطالعة أحدث الكتب الشائقة والقصص العالمية فى طبعاتها الطويلة ولغاتها الاصلية ، فضلا عن التراث القديم من الكتب التى طالما سمعت عنها ولم تسنح لك من قبل فرصة قراءتها .. لذلك رايت أن أتولى عنك هذه المهمة فأنتقى لك كل شهر من بين آلاف الكتب القصصية وغير القصصية ، ثمانية من أروعها وأمتعها ، ألخصـها واقدمها لك بالطريقة والاسلوب اللذين تعودتهما منى ، والاخراج العصرى الذى يخـاطب فيك الحس المرهف والذوق الجميل ..

وهكذا سوف تجد فى « كتابى » القصة المصرية الراقية ، الى جانب روائع القصص العالمى ، ودرر المسرح الخالدة ، وقصص المحاكمات الكبرى ، فى الماضى والحاضر ، ومآسى التاريخ الشائقة ، وقصص عظماء الانسانية فى حياتهم العامة والخاصـة ، واحـدث كتب علم النفس العملى المبسط ، وغوامض القصص

البوليسى ، وكنوز الكتب القديمة ، الاجنبية والعربية .. الى آخر هذه السياحة الفكرية المتعة ، فى جميع البلاد والعصور ، التى سابذل لك فيها ثمرة اطلاعى الدائب طيلة أكثر من خمسة عشر عاما .. بحيث تكون لك منها بعون الله امتع مكتبة قصصية أخرجتها المطابع العربية .

عزيزى القارىء ...

انك قد تقلب صفحات هـذا الكتاب ، فتقول فى نقده أو اطرائه بضع كلمات ، ثم تقرأه أو تلقيه جانبا ، تبعا لرأيك فيه .. لكنك لن تقدر مدى الجهد والاعصاب التى بذلت فى اعداده لك على هذا النحو : فى انتقاء كل موضوع من موضوعاته ، وفى اختصاره وضغطه فى هـذا الحيز الضيق ، اذا قورن بالاصل ـ وفى صياغة كل عبارة منه فى أسلوب يهضمه ، فيما أرجو ، كل قارىء من قراء العربية ، أيا كانت ثقافته ، وسنه ، وجنسه ، وجنسيته ، وذوقه ومزاجه... ثم المجهود الذى بذل فى اختيار فكرة كل رسم من رسومه ، وتنفيذها ، والمفاضلة بين رسم ورسم ، وقصة وقصة .. واختيار شكل الكتاب ، وحجمه ، وعنوانه ، وتصميم غلافه وألوانه .. ناهيك بالمشقة الكبرى التى تفوق كل ذلك ، وأعنى بها مشقة مواجهة مشكلات ـ واحتمال نفقات ـ الطبع والورق ، فى هـذه الايام !.. هذا الى عشرات المتاعب الاخرى المتفرعة عن كل مشكلة من هـذه المشكلات ، والتى ينوء بها كاهل أية دار من دور النشر الكبرى ، فما بالك بفرد لايملك دارا ، ولا مالا .. لايملك الافكرة وعزيمة وايمانا !؟

لست أريد من تذكيرك بكل هذا العناء أن أمن عليك بمابذلت لك من نفسى وجهدى ، راضيا مختارا ، وانما كل الذى أريده منك أن تكون واسع الصدر فى استقبالك لهذا المشروع الجديد ، فتتقبل ماقد لايعجبك فيه ، وتنبهنى اليه ، بروح التسامح والصبر .. فما هو الا وليد يحبو فى اول الطريق ، والطريق طويل وشاق ، ومحفوف بالعقبات والاشواك ..

وحسبى أن تعلم أن نجاح هذا المشروع ، او فشله ـ لا قدر الله ـ لن يكون نجاحا أو فشلا لمجلة أو كتاب ، بقدر ماسيكون نجاحا او فشلا لفكرة .. وعزيمة .. وايمان !

مصر الجديدة ـ فبراير سنة ١٩٥٢

حلمى مراد

مقدمة الطبعة الثانية

.. وهاقد مضت ياعزيزى القارىء عشرة اشهر منذ كتبت اليك رسالتى السابقة ، التى كانت بداية تعارف سعيد بيننا . صمد فى وجه الكثير من العقبات .. والمثبطات .. والعراقيل التى لاتخطر لك على بال ! (والتى لو شئت أن أسردها عليك بالتفصيل لشغلت وحدها عدة صفحات من هذا الكتاب)

واحمد الله على أن هذه الشهور العشرة قد زادتنى اقتناعا بالفكرة أو الرسالة الثقافية التى من أجلها أصدرت هذا الكتاب .. كما زادتنى تمسكا بالعزيمة التى حفزتنى على أن ألقى بنفسى فى دوامة هذه المنافسة الصحفية القاسية المحتدمة بين عشرات الكتب والمجلات الشهرية المتزايدة يوما بعد يوم !.. ثم زادتنى ايمانا : بالله ، الذى شاء لكتابى أن يأخذ مكانه المرموق بين الزميلات الشهرية .. وايمانا بك أنت أيها القارىء الوفى ، الذى كنت عند حسن ظنى بك ، وقدمت الدليل « العملى » على أنك تعرف كيف تميز بين الغث والسمين ، وكيف تقدر بين مادة ومادة ، وبين مجهود ومجهود .. « وأما الزبد فيذهب جفاء .. وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض »

والآن ، دعنى أطالبك أيها القارىء العزيز بان تناقشنى الحساب عن هذه المرحلة التى انقضت منذ صدور كتابى ، فتصارحنى دون ما مجاملة أوتحامل : هل ترانى قد حققت لك وعودى التى بذلتها يوم قدمت لك العدد الاول فى مارس الماضى ؟.. وهل ترى أن « كتابى » قد تقدم خلال هذه المدة .. أو وقف عند مستواه الاول .. أو تأخر عنه ، لا قدر الله ؟

هذا هو السؤال الذى يهمنى أن أعرف جوابك عليه .. ولتثق سلفا ان جوابك ان ساءنى فلن أيأس من أن أبلغ يوما هدفك المرموق .. وان أرضانى فلن أركب رأسى فأتواكل عن مواصلة التقدم ومضاعفة المجهود ، يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر ..

والايام بيننا باذن الله ..

حلمى مراد

ديسمبر ١٩٥٢

الطبعة الثالثة ـ يناير سنة ١٩٥٣

اشتراكات «كتابي»

ترسل بالبريد المسجل

◆ نظرا لتكرر شكاوى حضرات المشتركين الاعزاء من عدم وصول بعض اعداد «كتابى» التى ترسل اليهم بالبريد .. ونظرا لان ابلاغ المجلة هذه الشكاوى الى مصلحة البريد لم يحسم اسباب الشكوى مع الاسف الشديد .. لذلك رأت ادارة «كتابى» - مضطرة - ان ترسل جميع الاعداد الى أصحابها بالبريد المسجل .

الاشتراك فى مصر والسودان : ١٠٠ قرش

◆ ولماكان هذا الاجراء من شأنه أن يكلف المجلة نفقات لايحتملها مبلغ الاشتراك القديم الزهيد - وكان ثمانين قرشا فى العام - لذلك رأت الادارة رفع قيمة الاشتراك السنوى الى مائة قرش (جنيه واحد) ، وهو على كل حال مبلغ لايزيد عن ثمن الاثنى عشر عددا متفرقة ، باعتبار كل عدد ثمانية قروش .. وذلك تغطية لجزء من نفقات ارسال الاعداد جميعا بالبريد المسجل .

الاعداد السابقة من «كتابى»

◆ وقد قررت ادارة كتابى - للسبب عينه ! - ان ترسل بالبريد المسجل ايضا جميع النسخ التى يطلبها القراء الاعزاء من اعداد «كتابى» السابقة التى يوجد منها بالادارة مؤقتا عدد محدود ، وذلك مقابل عشرة قروش للنسخة ، ترسل باذن بريد أو خطاب مسجل

الاشتراكات فى العراق وسوريا ولبنان

◆ اما بالنسبة للاشتراكات خارج مصر والسودان فالسعر باق كما هو منصوص عليه فى الصفحة الرابعة من هذا العدد ، نظرا لان الاعداد ترسل للخارج عن غير طريق البريد .

وبهذه المناسبة ، وتسهيلا لحضرات المشتركين فى كل من العراق وسوريا ولبنان ، رأت ادارة كتابى اعتماد وكلاء عنها لتحصيل قيمة الاشتراكات فى هذه البلاد رأسا ، هم حضرات : (فى العراق) : السيد محمود حلمى ، المكتبة العصرية ، سوق السراى - بغداد . (وفى لبنان وسوريا) : شركة فرج الله للمطبوعات ، صندوق بريد ١٠١٢ - بيروت

الغفران
قصة مصرية
للمحرر

يا ابنتى ٠٠٠ دعى المكابرة جانبا وتعالى فأريحى رأسك المتعب على صدرى ، وأطلقى العنان لدمعك الحبيس ، فقد يريحك البكاء من بعض همك ٠٠٠ أو ان شئت فأفرغى شجنك المرير فى سمعى ، فليس أقدر على حمل متاعبك من هذا القلب الذى طالما استعذبت النعاس – وأنت طفلة – على خفقاته ٠٠٠ وطالما أسندت اليه حين غدوت صبية رأسك الصغير ، شاكية أو باكية ، كلما صادفك فى دنيـــاك الساذجة هم تافه ٠٠٠ فلما كبرت ، وكبرت معك همومك ، ظل هذا القلب الحانى ملجأك وملاذك ، تهرعين اليه لتلتمسى عنده النصيحة كلمـــا أشفقت من أن يفسد عليك أمرك حنان أمك الزائد وتقديرهـا العاطفى للامور ٠٠٠

فلماذا تهجرين الآن ملجأك القديم، وتضنين عليه بالشكوى بين الحين والحين ؟٠٠٠ ألانك صرت زوجة ، يخجلها – وكم للطبيعة من أعاجيب ! – أن تكاشف أباها الذى ألفتـه دهـرا ، بالنزر اليسير مما تكاشف به زوجها، الغريب عن حياتها وماضيها؟

أم أن غصتك التى تبلل الساعة عينيك، هى بعينها التى تجفف حلقك ٠٠٠ وتعتقل لسانك ؟

على رسلك اذن ٠٠٠ ولكن لا أقل من أن تدعى دمعك ينهمر غزيرا ، عسى أن يجرف معـه الاشواك الصغيرة التى نبتت فى حياتك ٠ لا تسألينى كيف وقفت على أمر هذه الاشواك التى لم تبوحى بسرها لمخلوق !٠٠ قد أكون تحسستها فى نبرات صوتك ونظرات عينيك، وأنت تزعمين لى أنك جئت تقضين أياما فى بيتى – بيتك القديم – لان زوجك متغيب فى سفرة قد تطول ، ولانك خشيت أن تبقى فى المسكن الفسيح مع طفلك الرضيع وحدكما أثناء غيابه ٠٠!

أو قد أكون ارتبت فى الامر حين لمحت فى انحناءتك على صغيرك ، تلك اللهفة المجنونة التى تفيض من قلب الام نحو طفلها « اليتيم » من حنان الاب ٠٠ سواء كان يتمه لموت أو فراق بين أحياء ٠٠ !

أو لعل الذى وشى بأمرك لى ، منذ دخلت ، هذا الانكسار البادى على أجفانك ، والذبول الذى يطل من عينيك ٠٠ فقد قرأت فيهما من أول وهلة ـ بوعى قلب الاب المرهف ـ أنك وزوجك على غير وفاق ، وأن فى حياته ٠٠٠ امرأة أخرى !

لا تمارى ، فلن يجديك انكار ٠٠٠ ولست بأول امرأة يخونها زوجها ، ولن تكونى الاخيرة ، ما بقى فى الدنيا شباب وما بقيت فى الشباب غواية وحماقة ، وكبرياء وعناد! ٠٠ بل دعينى أصارحك بأنى قد لمحت بوادر هذه النتيجة منذ زمن ، وتوقعتها مشفقا ، بقلب واجف ٠٠٠ لكنى لم أشأ أن أفتح عينيك وبصيرتك على بعض الحقائق المريرة فى دنيانا ، خشية أن أبذر الشقاق بينكما بدلا من أن أمنعه ، وأعجل بالازمة من فرط حرصى على تلافيها ٠٠ !

أما الآن ، وقد وقعت الواقعة ، فدعينى آخذ بيدك فى مزالق هذه المرحلة الخطرة من حياتك الزوجية ، فأبصرك ببعض حقائق الحياة التى تغيب عن فطنة أكثر زوجاتنا المدللات ـ واغفرى لى هذا الوصف فلست أقصد به أن ألومك ، أو بالاحرى ألوم نفسى وألوم أمك ٠٠ لاننا ـ نحن الآباء أو الامهات العاطفيين ـ حين لا ترزقنا الاقدار بغير ابنة واحدة ، وحيدة ، لا تكون لنا فى الغالب حيلة فى تدليلها واغداق حبنا كله عليها بسخاء ، مهما بصرتنا عقولنا أو ثقافتنا بسوء عاقبة هذا التدليل !

◆ **وأهم** مايعنيك الآن يا ابنتى من هذه الحقائق التى أود أن أبصرك بها :حقيقة واحدة موجعة ، أزلية خالدة ، لو وعيتها جيدا لاستطعت أن تفهمى على ضوئها نفسية الرجال جميعا ـ ولن يشذ عنا زوجك بطبيعة الحال !٠٠ **وهذه الحقيقة التى طالما أعماك عن تدبرها فى حينها فرط ثقتك فى حب زوجك لك ، هى أن جرثومة الخيانة الزوجية توجد فى قلوبنا جميعا ، نحن الرجال ، فى كل زمان ومكان ٠٠ مثل جرثومة « السل » سواء بسواء !** فكما تعيش الاخيرة كامنة فى جسم كل انسان، عزلاء من كل قدرة على الظهور أو الايذاء ، حتى اذا ما ضعف الجسم يوما ، لسبب من الاسباب ، خرجت من مكمنها ، ونشطت ، وفتكت ! كذلك جرثومة الخيانة ، تعيش كامنة فى قلوب كل الازواج ، عاجزة عن النشاط والتكاثر ، متخفية عن العيون جميعا ، بما فيها عينى الشخص نفسه أحيانا ٠٠ فلا تستطيع الانطلاق من مكمنها والتغلب على مقاومتنا الا اذا فتحت لها ثغرة فى حصون دفاعنا ٠٠ فعندئذ ، وعندئذ فقط ، يعجز أكرم الازواج وأنبلهم عن الصمود فى وجه الاغراء !

وفى أغلب الحالات لا تكون اليد التى تفتح هذه الثغرة الحاسمة يد أجنبية عن البيت ، بل يد ربة البيت ذاتها ٠٠ يد الزوجة الحمقاء !

والحماقة يا ابنتى حرباء لعينة متلونة ، ذات ألف وجه . يحلو لها دائما أن ترتدى أثوابا تنكرية زاهية ، مضللة ، تظهرها فى مظهر الفضيلة المشروعة ، وهى الرذيلة بعينها ! ٠٠٠ وهنا خطرها ، فلو أنها بدت للعيان فى صورة حماقة صريحة لتجنبتها أبسط امرأة ساذجة ، وأخذت حذرها منها ٠٠٠ لكنها تبدو دائما أمامكن وقد وضعت على وجهها قناعا زائفا

جميلا ، يوقعكن فى الشرك . فهى آنا تتخـذ مظهر الاباء أو الكبرياء المشروع ، والاعتداد بكرامة « الزوجة » الى درجة العناد واثارة الاحقاد !.. وآونة تبدو فى زى الاطمئنان الاعمى الى حب الزوج ، والامعان فى الدلال والاهمـال : اهمـاله هـو ، أو اهمال نفسها ومظهرها !.. ومرة ثالثة فى زى المبادرة « الحكيمة » الى معالجة الامور قبـل استفحالها ، وحسم الموقف بالحـزم والعزم .. وهو زى تنكرى للرعونة والتسرع الاهوج، والعتاب المتكرر أو المستمر ...

ومرات أخرى تتخفى الحماقة وراء قناع الحذر والفطنة ـ أو بعبارة أخرى : التشكك واساءة الظن ! ـ أو قنـاع دفـع العدوان الوهمى ، بالغيرة الحمقاء والتجسس المرذول !.. أو قناع رفع الكلفة ومعاملة الزوج كند ، الى حد اهانته أو لومه وتوبيخه ! .. **الى آخر أمثلة هذه الحالات التى تشمخ فيها الزوجة بأنفها زاعمة أنها لم تخطىء ، ما دامت لم تفرط فى كنزها المصون أو فضيلتها الوحيدة : «الشرف» !.. ناسية أو متناسية أن الشرف ـ للشريفة ـ هو أضعف الايمان !**

◆ **مهلا** يا ابنتى ، ولا يصدمنك كلامى.. فمعاذ الله أن يكون قصدى منه أن ألتمس لزوجك فى خيانتك عذرا ، أو أهـون من بشاعة الاثم ، وانه لبشع ... وحذار من أن تسيئى فهمى فتحسبى انى أتوجه اليك فى محنتك الحاضرة باللوم والتقريع.. كلا ، فليس المقام مقام اصدار « حكم » بين خصـمين ، أو المفاوضة فى الصلح بين عدوين متحاربين ، وانما هو مقـام التوفيق بين شريكين متحابين فى شركة دائمة ، لاحت فى سماء وفاقهما الزوجى سحابة صيف.. لن تلبث أن تنقشع !

ولن أقول انك المسؤولة عن تلبد هذه السحابة، أو أن الخطأ

خطأك ‥ فأنا لا أعرف حرفا من قصة الخـــلاف بينكما وأسبابه وملابساته ـ ولست أريد أن أسمع شيئا من هذه التفصيلات، فقد ألوم أحدكما فى قلبى ويختمر اللوم فيصير حقدا عميق الجذور ، يصعب انتزاعه من نفسى بعد أن يصفو الجوبينكما ويعودسيرته الاولى!

ثم انى لن ألومك ، لسبب آخر أهم ‥ هو انى أخشى أن يدور بخلدك لحظة انى أبغى من لومى أن تعودى الى زوجك راغمة ، لانى قد ضقت بك فى بيتى ‥ أو انى أوصد بابى فى وجهك وأضن عليك بالمأوى ‥ كلا، فأنت هنا فى بيتك ، على الرحب والسعة ، وطفلك هو أعذب ابتسامة تلوح اليوم فى شيخوختى ‥

وانما جل قصدى أن أقول لك اننا فى شبابنا نسلم قيادنا لانفعالاتنا الطائشة وحدة طباعنا ، ونصدر أحكامنا غالبا بوحى من عاطفتنا وحدها ، فنندب حظنا اذا لم يسر الكون كله على هوانا ! ‥ ولكننا حين نشيخ وتنطفىء حدة شبابنا ، وتنضج عواطفنا الفجة ، ندرك أن الامور كلها فى هذه الدنيا نسبية ‥ وأن الخطأ والصواب لهما فى كل ظرف ميزان مختلف ‥

ومن هذه الامور التى ندركها ، غالبا بعد فوات الاوان ، بصدد الموضوع الذى نتحدث فيه : أن الرجل الكريم لا يخون، قبل أن تدور فى نفسه معركة ‥ ويخسرها !

وأنا أعلم أن زوجك رجل كريم ، انحدر من شجرة أصيلة ونبت فى تربة طيبة !

صبرا ، لا تقاطعينى ٠٠ بل عودى فأريحى رأسك المتعب على صدرى ، ودعينى أمسح هذه الدمعة المعلقة على أهدابك ، وأرفه عن نفسك المكتئبة بقصة شائقة ٠٠ مثلما كنت أفعل فى صباك ، حين كان يغلبك النعاس فى منتصف القصة فأحملك الى سريرك على فراش من ذراعى ٠٠ أتذكرين ؟

تعلمين أنى تزوجت أمك زواج حب ، فى عصر كان فيه الحب جريمة ينبغى التستر عليها !٠٠ وسارت سفينة حياتنا فى بحر هادىء ساكن ، لا تعصف به العواصف والانواء ـ ليس معنى ذلك أن بحرنا كان خاليا من الامواج ، واننا عشنا فى وفاق دائم ، شأن الموتى أو الغرباء !٠٠ بل اننا كنا نختلف أحيانا ، ولكن كما يختلف الاصدقاء لا الاعداء ٠٠ كان يقع بيننا ذلك الخلاف التقليدى الذى لابد من وقوعه بين الاحياء ، بين أى كائنين آدميين لكل منهما عادات ونزعات وأهواء !٠٠ الخلاف على ألوان الطعام التى تهضمها معدة الزوج٠٠ والنافذة المفتوحة التى لا تحتمل بردها الزوجة ٠٠ ونوع الموسيقى التى يفضل كل من الطرفين سماعها ، والملاهى التى يحن الى ارتيادها ٠٠ والساعة التى يحب أن ينام فيها ، أو يستيقظ !٠٠ بل الخلاف على طريقة انفاق المرتب ، واللوم من جانب الزوجة ـ أو التحريض ـ على شراء الحاجيات الجديدة ٠٠ وتأرجح كل طرف فى صدد ذلك بين التقتير والتبذير ، أو بين « الحكمة » «والاستهتار» ! ٠٠ ثم الخلاف بشأن محاباة الام ، وانتقادات الحماة ، وكلمات الاخ ، أو نظرات الاخت ، واختيار الاصدقاء

والصديقات ، ومعاملة الخدم ٠٠ الى آخر هذه القائمة الطريفة أو «النوتة الموسيقية» الخالدة التى يعيش على أنغامها الازواج منذ عهد آدم وحواء ٠٠ !

لكن هذه الخلافات المحتومة لم تكن لتعكر صفو حياتنا غير فترات قصيرة ، تذوب بعدها فى رحيق الكلمة الحلوة ، أو النظرة العاتبة ، أو الابتسامة الصافية ، من أحدنا ٠٠ أو تعجز عن الصمود لقوة وجبروت الشركة فى الفراش الواحد ٠ فما أكثر ما تكون لمسة الذراع التى تحدث عفوا ، أو العطر الذى يتضوع من الشعر ، سببا فى صيانة كيان الاسرة من التصدع !

٠٠ وظلت سفينة حياتنا تسير على هذا المنوال ٠٠ حتى بدأت أنت رحلتك الى هذا العالم ـ بعد زواجنا بنحو عامين ـ فبدأ البحر يضطرب، وتعبث بسفينتنا الانواء ٠ فلكم قاست أمك من آلام الجسد وهى تحملك طيلة الرحلة عبر البحــار التسعة ! ٠٠ ولكم قاسيت أنا من آلام النفس تبعا لذلك ، ومشاركة لها ـ وان يكن شقاؤنا المشترك قد زاد فى التقريب بين قلبينا ، فأعطى بقدر ما أخذ ٠٠!

٠٠ **حتى** وصلت أنت الى دنيانا ٠٠ فاذا الجنة السعيدة قد هبطها طائر النكد ، ونبتت فى تربتها الاشواك السامة ! ٠٠ لا تصدقى من يقول لك ان الاطفال عامل ارتباط بين الزوجين ، وتوثيق لعرى الزوجية٠٠فانهم فى البداية يكونون عامل تفريق وتنغيص وشقاق ، لا سيما بين الازواج ذوى المزاج المرهف والزوجات ذوات القلب الرقيق ، فان هذه القطعة اللزجة من اللحم والعظم تكون فى الاشهر الاولى عديمة الطعم والمذاق ، لا هم لها غير تناول الطعام والتخلص منه ، بشتى الطرق ٠٠ ولا رسالة لها غير الصياح والعويل ، وافساد كل خلوة بين

الزوجين .. والزوجة لا تضيق بذلك غالبا ، لانها أم ، وتعلق الطفل بثديها يخلق بين ضلوعها منذ اليوم الاول عاطفة جارفة وحنانا ممتعا على المخلوق الضعيف الذى يقبع بين ذراعيها يستجديها أسباب الحياة . وهذا كله من شأنه أن يشغلها ، ويعوضها ، عن زوجها .. مهما أحبته !

وهكذا بدأ طائر الشقاق يزور البيت، ويطيل زيارته أكثر فأكثر فى كل مرة ! .. أمست ساعات النوم موعدا لا يخطىء ليقظة « الطفلة » وصراخها المزعج اللعين .. وأوقات الطعام موعدا مضروبا لانشغال « الزوجة » باعداد اللبن وتعقيم الادوات ثم ارضاع الصغيرة وتكريعها، أو هدهدتها على صدرها استجداء للنوم أو تخفيفا لنوبة مغص .. وهى كلها مهام لا تأتمن الام عليها عادة خادما جاهلة أو مهملة ..

وكان «الزوج» بطبعه لا يطيق الجلوس الى المائدة وحيدا ، فلم يكن بد من أن ننتظر حتى تنتهى هذه المظاهرة الصاخبة بعد ساعة أو أكثر .. وهنا يكون الطعام الذى أعد قبلها قد برد ، فيعاد تسخينه .. لكن الوجبة تنقطع مرة أخرى حين يحلو لفلذة الكبد أن تنتزع أمها من المائدة بطريقتها الخاصة، بالاقدام على فعلة يندى لها الجبين ، ثم اطلاق عقيرتها بالصراخ اعلانا عن فعلتها وتنبيها لامها !.. فتأبى هذه الا أن

تنهض كي تبدل لها ثيابها ، اشفاقا عليها من البرد ـ فيما تزعم ـ أو اطاعة لرقة قلبها الزائدة ولهفتها المقوتة عليها ، فيما أزعم أنا ٠٠ !

وبحكم هذه العوائق المتوالية صار النظام اليومى لحياتنا أن نتغدى فى الرابعة ، ونتعشى قرب منتصف الليل ، وننام فى الثانية ـ بعد أن تنامى ـ كى نصحو قبل الفجـــر على صراخك ٠٠ !

وكان حتما أن تضطرب معدتنا بسبب هذه الفوضى الرهيبة فى مواعيــــد الاكل ، وهذا النقص الكبير فى ساعات النوم ٠٠ والمعدة اذا اضطربت تضطرب معها الاعصاب وتختل ٠٠ واذا اضطربت الاعصاب فسلام على السلام فى البيت !

فى هذه المرحلة الحرجة من مراحل الصلة بين الزوجين، يكون حتما على كل زوجة حكيمة أن توفق بقدر الطاقة بين مطالب الطفل ومطالب أبيه، فلا تقدس الاولى كل التقديس وتهمل الثانية كل الاهمال !٠٠ لكن أمك يا ابنتى لم تكن تلك الزوجة٠٠ كان حنانها عليك أسخى من حبها لى ، وعاطفتها أقوى من حكمتها ، وقلبها فوق عقلها ـ أو هذا ما أشعرنى به مسلكها معى وقتئذ!٠٠

صارت أما فنسيت انها زوجة ٠٠ ووجدت بديلة عنى تشغل وقتها وتبدد ضجرها فلم تعد تشتاق الى وجودى ، بل لعلها كانت تنتظر ساعة خروجى بصبر نافد كى يخلو الجو لهـا ولعبادتها اياك بلا شريك ولا رقيب !٠٠

عبدتك على حساب ربها ، ورب بيتها ، بل وعلى حساب نفسها، وصحتها، وأناقتها !٠٠ صارت لا يهمها أن تأكل الا لتوفر لك القدر الضئيل الذى جادت به عليها الطبيعــة من اللبن الدسم٠٠ ولاتنام الا بقدر مايحفظ لها عافيتها كى تخدمك !٠٠ وزياراتها للحلاق ، التى كانت تستغرق منها الساعات كل أسبوع صارت نسيا منسيا ٠٠ ووقفتها أمام المرآة ، التى كانت شغلها

الشاغل ، غدت تبهرجا زائفا لا يليق بالامهات !٠٠ كنت أطلبها بالتليفون أحيانا لامر هام ، فلا ترد٠٠ لانشغالها بارضاعك!٠٠ وذات يوم توعكت صحتك فنسيت أن تعد لى أو لنفسها طعاما ٠٠ وبالاختصار لم تعد تأبه الا لك ، أو تفكر الا فيك ، أو تعيش الا من أجلك ٠٠!

وهكذا أمست حياتنا جحيما ٠٠ ولمست أن منبع هذا الجحيم هو أنت : الطفلة الدخيلة على بيتنا ، المتطفلة على سعادتنا ، التى أفسدت حياتنا من أساسها ٠٠ فكرهتك ، من صميم قلبى!٠٠ صارت صرخاتك قطعة من العذاب بالنسبة لى٠٠ فهجرت البيت ، أكثر ساعات النهار والليل ٠٠ عدت الى مجتمعات العزاب وندوات خلانى القدماء ! ٠٠

وزاد ذلك من توتر الجو بين أمك وبينى ٠٠ وبعد أن كان طائر الشقاق يزورنا بين الحين والحين ، ليحمل معه عند رحيله فى كل مرة لبنة جديدة من بناء سعادتنا ٠٠ طابت له عشرتنا فاعتبر البيت بيته وأقام بصفة دائمة !

ورحت أنا أرقب اكفهرار الجو وأنا مشفق على الصرح الذى تعبنا فى تشييده من أن ينهار٠٠ لكن الخلاف المتكرر والمشادات اللفظية تحفر فى النفوس أخاديد من الاحقاد والضغائن تطمس معالم كل تفكير سليم ، وتجعل الاعصاب مهيأة للانفجار فى أية لحظة ٠٠ والنقائص التى يكشف عنها كل من الزوجين للآخر فى ساعات الصفاء ، والضعف ، تصبح وقتئذ أسلحة للخصومة والبغضاء يتراشق بها الطرفان ٠٠ !

وهكذا ، ذات يوم ، ألقت أمك فى وجهى بكلمة جارحة ، رددت عليها بصفعة موجعة ، عز عليها بدورها أن تحتملها ٠٠ فهرعت الى غرفتك واعتصمت فيها ، بعد أن صفقت الباب خلفها بشدة ، فى وجهى !٠٠ وفى المساء وضعت لنفسها سريرا « سفريا » خفيفا بجوار سريرك ، ايذانا بالقطيعة ٠٠!

❖

في تلك الليلة ٠٠ خطر لى ـ لاول مرة ـ أن أخون زوجتى !

فقد رأيت فى اعتصامها بغرفتك مبادأة بالعداء ، والاعتداء! وبدافع من مرارة شـعور الزوج بأنه مجنى عليه ، مغموط الحقوق ، مجحود الفضل ، من المرأة التى ملكها على قلبـه وبيته ٠٠ وجدتنى أبيت النية على الانتقام !٠٠ والشعور بالظلم هو أول مراحل الاقتصاص للنفس ، وأقوى دوافعه ٠٠٠

وكما يحدث في المحكمة اذا تغيب محامي المتهم ، فأفسح المجال لمثل النيابة يصول ويجول ، ويعزز أدلة الاتهام ، دون مقاومة أو تفنيد من جانب الدفاع ٠٠ حدث فى قلبى سـواء بسواء !٠٠ **فان قطيعة زوجتى أفسـحت الفرصة لحقدى كى يفرخ ويلد ويتكاثر ، دون مقـاومة أو دفاع من نظرة ، أو لمسة ، أو عتاب** !٠٠ وحين استيقظت فى الصباح فوجدتها ممعنة فى المقاطعة ، وعلمت من الخادم أنها قد تناولت افطارها وأوصته باعداد طعامى وقتما أطلبه ، أدركت والغيظ يأكل قلبى اننا مقبلان على خصام طويل !٠٠ فقدكنت أعرف الناس بأن كلينا ذو طبع عنيد ، لا يرجى معه أن يتراجع عن موقفه قبـل أن يتراجع « غريمه » ٠٠ والعنـاد من رجل فى مثل موقفى كان فى نظرى أمرا فى محله تماما ، باعتبارى المعتدى عليه فى سلسلة تلك التصرفات العدوانية التى بدأت بالاهمال، وهضم الحقوق ، والكلمة الجارحة ، ثم انتهت بالاعتصام والمقاطعة !٠٠ أما من جانبها هى فقد كان العناد نوعا من امعان المعتدى فى عدوانه ، بل نوعا من مركب النقص الذى يجعل الطرف الاضعف يغالى فى الاعتداد بكرامته وكبريائه كلما توهم اسـاءة من الآخر ، تعويضا عن ضعفه !٠٠ والكبرياء يا ابنتى ـ بين الزوجين ـ آفة البيوت وطاعونها ٠٠ فهى والسلام البيتى ضدان لا يجتمعان ، اذا دخل أحدهما من الباب ، فر الآخر من النافذة !

وهكذا طردت زوجتى السلام والسعادة من بيتنا بحماقاتها المتوالية ، وفرط اطمئنانها الى حبى وقدرتى على الاحتمال !.. ومضى على فرقتنا المريرة أسبوع كامل ، كانت كل ساعة منه تسقى فى نفسى تربة الحقد وتنمى فيها أزهار الشر والبغضاء والنقمة عليها ، بسبب امعانها فى العناد أكثر منها بسبب الخلافات الاولى التى أدت الى الازمة !.. وخلال ذلك الاسبوع تطورت فكرة الانتقام فى ذهنى ونضجت بسرعة مخيفة ، تجعلنى أتوجه اليك يا ابنتى بنصيحة حاسمة فى هذا الصدد ، مشفوعة بهذا الرجاء الحار : **حذار من أن تتركى زوجك منفردا بنفسه بعد تبادل قارص القول ، فانك بذلك تهيئين الفرصة لجراثيم الضغينة الخبيثة كى تنمو فى قلبه ورأسه وتتضخم ، وتلد آمالا ونيات شريرة بشأن متع محرمة يصعب الرجوع عنها بعد أن تختمر فى الذهن ، وتتعمق جذورها !**

.. ففى نهاية الاسبوع كانت الخيانة قد اختمرت فى نفسى تماما ، بعد أن فتحت لها زوجتى - بيدها - باب العش السعيد ، وأحدثت الثغرة الحاسمة فى حصون دفاعى ضد اغرائها !.. لم أكن قد خنت أمك قط منذ زواجنا - ولو انى أكون كاذبا منافقا ان زعمت لك أن الشوق الى الخيانة لم يراودنى يوما طوال تلك المدة !.. وأى زوج من الازواج « المحظوظين » الذين عاشوا حياتهم أوفياء لزوجاتهم ، يستطيع أن يزعم أن فكرة الخيانة لم تلح على خاطره بدل المرة مرات ؟.. انها تراود الفكر فى بعض الظروف ، وتغرى ، وتلح ، فيصمد لها الزوج أو يخور تبعا لقوتها ولقوة مقاومته لها فى كل ظرف من تلك الظروف !.. وكان ذلك ما حدث لى مرارا من قبل . كانت تطاردنى عوامل الاغراء بين الحين والحين، فلا تطالعنى ابتسامة زوجتى الطاهرة ونظرتها البريئة الصافية حتى تتبخر الفكرة على وهج حبنا المتبادل وتموت فى المهد ، فأشيعها غير آسف ،

لائما نفسى الامارة بالسوء !٠٠ أما فى هذه المرة فقد وجدت الفكرة ، فى أعماقى ، التربة الخصبة والحصن المهجور من حراسه ، أو المحكمة التى يصول فيها الاتهام ويجول ، بغير مدافع ٠٠ وتلفت حولى حائرا مشفقا ، أتلمس سندى المألوف الذى اعتدت أن أتحصن وراءه ، وأقاوم ، حتى أنتصر ٠٠ أتلمس ابتسامتها التى طالما عز على أن أطفئها ٠٠ لكنى لم أجدها !٠٠ وجدت بدلا منها عبوسا ، وقطيعة وامعانا فى الاستكبار ٠٠ **فشعرت ، شعورا صادقا مخلصا ، بأنى قد تحررت من واجب الاخلاص لها، وغدوت فى حل من الخيانة !٠٠ بل زعمت لنفسى الحانقة أنها تستحق الخيانة فعلا ، وانها هى التى أرادتها ٠٠ وانى فى حاجة الى اراحة أعصابى المتعبة فى أحضان امرأة أخرى تغلب أنوثتها أمومتها ٠٠ امرأة لا يشاركنى فيها طفل !٠٠**

وفى حمى هذا الحنق الاسود نثرت السهام التى فى جعبتى ٠٠ استعرضت فى ذهنى المحموم قائمة من أعرف من النساء ، واحدة واحدة ٠٠ حتى شل تفكيرى أمام احداهن : امرأة شائقة من صديقات زوجتى كنت قد طالما قرأت فى عينيها نظرة الدنس ونية الغدر !٠٠ وأدهشنى أن وجدتنى أنسى احتقارى لها وأذوب لهفة عليها ٠٠ وكان الدافع الى الاحتقار واللهفة فى الحالين واحد : صداقتها لزوجتى !٠٠ أردت أن يكون انتقامى كاملا ، رهيبا ٠٠!

وحين تناولت سماعة التليفون لاتصل بها ، اشتدت دقات قلبى ٠٠ فان الخيانة الاولى من الزوج المخلص ـ مثل الخطيئة الاولى من الفتى المراهق ـ تكون عادة شديدة الوطأة على الاعصاب! لكنى استنجدت بحقدى المكظوم وأدرت الرقم المطلوب ٠٠٠

وأردت أن أصل الى مبتغاى من أقصر طريق ، فزعمت لمحدثتى انى أبغى لقاءها كى أوسطها بينى وبين زوجتى ، وبذلك

أوجدت لها ـ فى عينى نفسها ـ المبرر الكافى للقاء ٠٠ فلما قبلت الخبيثة أن تلقانى فى مكان آمن ، وفى صوتها رنة الظفر المكتوم ، والقصد المفهوم ، أيقنت أن أوان التراجع قد فات ، وانى خسرت المعركة ، وحاقت بى الهزيمة !

الهزيمة التى قامت زوجتى فيها ـ دون أن تقدر ـ بدور « الطابور الخامس » !

وأقسم لك أننى فى تلك اللحظة ٠٠ بكيت !

❖

قد تسألينني يا ابنتى : وأين ذهب الحب ؟

وأنا أجيبك ، يا ساذجة ، بأن الحقد والعناد أقوى من الحب ٠٠ فالحب نور ، والحقد نار ٠٠ والنار أقوى من النور !٠٠ وهكذا ـ دعينى أصارحك ـ طمس الحقد حبى فمضيت فى الشوط الى غايته ٠٠ واستمتعت بالخيانة استمتاعا كاملا ، لا تشوبه غصة فى الحلق أو همسة من ضمير !٠٠ وكلما لاح لى بريق من ندم كان عبوس أمك يؤجج النار فى قلبى ويمدنى بحافز مجدد على المضى فى طريقى ٠٠

واستمرت القطيعة بينى وبين أمك أسبوعين آخرين ، ولست أدرى الى متى كانت لتستمر لو لم يترفق القدر بها وبى فيصيبها بحمى الانفلونزا ، التى خشيت عليك من عدواها فتركتك فى غرفتك وعادت الى غرفتى صاغرة ٠٠ !

وكان طبيعيا أن يزيل مرضها مظاهر الجفوة التى بيننا ، ويوجد لكلينا مخرجا كريما من عناده القاتل ٠٠ فأرى أنا أن واجب الشهامة ـ على الاقل ـ يقتضينى أن أعنى بها ، وبك أيضا ، وأعينها على مغالبة الحمى واسترداد صحتها ٠٠ وترى هى أن تشكرنى على موقفى النبيل وتعتذر لى وهى تبكى بحرقة !٠٠ واستطاعت الدموع أن تصنع المعجزة ، وتغسل

كل ما كان بيننا من ضغن وشجن ، فعدنا سيرتنا الاولى من الحب المتبادل المكين ·· وانجابت عن سماء حياتنا تلك السحابة من الكدر !··

ولكن ··· لم أكد أفيق من فرحتى بعودة الوفاق الى جـو بيتنا ، حتى تبينت أنى لم أخرج من مأزق الا لاقع فى مأزق آخر ·· **فقد واجهتنى مشكلة التخلص من رفقة المرأة الاخرى ، التى صارت خلال الاسابيع الاخيرة جزءا من حياتى ، وصرت بدورى جزءا من حياتها ·· والتى أشـبعت فى كيانى حنين الانسان الغريزى الى المحرمات ، بحيث بات عسيرا على - ان لم أقل مستحيلا - أن أقتلعها من دنياى اقتلاعا ··** فلم أجد مفرا آخر الامر من أن أرجىء حسم الموقف وأدع المشكلة معلقة زمنا ، حتى تتكفل بحلها الايام ··!

وهكذا استمرت صلتى المحرمة قائمة تشوب صفاء مشاعرى نحو زوجتى ·· وكلما كنت أتبين عجزى عن استئصالها باجراء حاسم كان يتضاعف حنقى على نفسى ، وضعفى ! كنت أشبه بالمدخن الذى يدرك مضار التدخين ولكنه لا يقوى على تطليقه !

❖

واستبد بى الندم ، بت أقارن حاضرى المبلبل الذى ينغصه الزيف والخديعة ، بسعادتى الغابرة التى كانت عمادها سكينة النفس ومكاشفتى التامة لزوجتى بكل دقائق حياتى وخلجات أفكارى ومشاعرى ·· فتطوف الدموع بمقلتى أسفا وحسرة !

وكانت ملامحك الحلوة قد اسـتبانت ، واسـتطعت بابتسامتك ومناغاتك أن تستميلى اليك قلبى الجاحد ·· فبدأت - تدريجيا - ألتمس لامك الاعذار فى تصرفاتها معى بسببك . **أدركت أن قلب الام أحد بصيرة وأسـبق من قلب الاب الى الاحساس بعذوبة فلذات الاكباد ، والى اسباغ عواطفه عليهم ، ربما بحكم حنان الضعيف على الضعيف ··!**

بل انى جعلت ألوم نفسى على أنانيتى السابقة التى حجبت عن صوابى ادراك حقيقة هامة ـ فى الوقت المناسب ـ وهى أننا ، نحن الازواج ، نألف من زوجاتنا فى أشهر الزواج الاولى تدليلا لا يقوين على المضى فيه طويلا بعد أن تهاجمهن متاعب الحمل والولادة وتربية الطفل ، التى تخلفهن مضنيات محطمات الاعصاب ••• والمواضع التى احتللناها من قلب الزوجة واهتمامها نبدأ فى الجلاء عنها ، طائعين أو مجبرين !•• وفى هذه الفترة لا يكون بد من تعاون الزوجين على تقاسم المتاعب واجتياز المضيق الخطر بسلام ، والا تحطمت سفينة الاسرة الصغيرة على صخرة تلك الانانية البغيضة ••

وعلى ضوء ادراكى لهذه الحقيقة ، تفاقم فى نفسى الندم والشعور بالاثم ، وتضاعفت حيرتى فى العثور على مخرج من ورطتى •• فشغلنى ذلك كله عن أن ألقى بالا الى التغير الذى طرأ على زوجتى فى غضون الاسابيع التالية ، والذبول المتزايد الذى اعتراها ، والحنان الناعم الذى باتت تغمرنى به •• **حتى شاءت المصادفة أن أعود ذات يوم مبكرا الى البيت ، ففاجأتها أمام المرآة تتزين وتتأنق بمزيد من العناية ، شأنها فى الايام الاخيرة •• ولم تكن قد فرغت من زينة وجهها وعينيها ، فلحظت احمرارا فى أجفانها يشى بالبكاء الطويل ؟••** لكنها نفت ذلك حين سألتها زاعمة أن بعوضة قد انسلت الى عينها فسببت هذا الاحمرار !• فلما ألحفت عليها فى السؤال والاستعطاف ، مضيقا عليها الخناق •• انهارت مقاومتها •• وانفجر ألمها المكبوت •• فانخرطت فى البكاء ، بحرقة ولوعة مزقتا قلبى •• !

ومن خلال نشيجها راحت تعاتبنى •• قالت انها وقفت على خيانتى منذ زمن ، منذ عثرت برسالة من صديقتها الى كانت قد سقطت من جيبى سهوا •• فأذهلتها الصدمة ، وأذلتها ••

لكنها أيضـــا فتحت لها عينيها فجأة على أخطائها المـــاضية ، وحماقاتها التى دفعتنى الى هذه الهاوية دفعا ٠٠ ومن هنا رأت ألا تفاتحنى فى الامر حتى تتدبر الموقف فى روية ، كان همها أن تستعيدنى اليها لا أن تفقد البقية الباقية منى ٠٠ وخشيت ان هى ثارت فى وجهى أن يتعقد الموقف فأمعن فى الضلال ٠٠ سيما وانها قد قاست ابان الخصـــام الاول مثلما قاسيت ، واعتبرت بعاقبة التهور والعناد وتغذية الاحقاد ٠٠ ومن ثم صبرت وجاهدت كى تستردنى من غريمتها بالحسنى ، بالملاطفة والحنان ، واستمالة قلبى وحسى اليها بشتى أسلحة المرأة ووسائلها فى الاغراء ٠٠ فلما كان ينقضى النهار دون أن يبدو على مسلكى معهـــا أى أثر لمحاولاتها ، كانت تلوذ بحجرتها كى تبلل الوسادة بدموع المذلة والهوان ٠٠ حتى أعود من المقهى أو من سهرتى مع غريمتها فأجدها نائمة ، وهى فى الحقيقـــة متظاهرة بالنوم ٠٠٠ ثم يشرق عليها الصباح ، بعد ليلة مسهدة، كى تبدأ « كفاحها » الشاق من جديد ٠٠ !

تفصد جبينى بعرق الخجل من نفسى وأنا أنصت لاعترافها ٠٠ وتتابعت على مخيلتي فى غمضـــة عين شتى فصول ومشاهد « الدراما » المسلسلة التى قمت فيها خلال الاشهر الاخيرة بدور « البطل » ـ أو دور « النذل » ! ـ وكانت كلاكما فيها بمثابة الضحية ٠٠ **فلما رفعت أمك الى أخيرا وجهها المبلل بالدموع ، لتقول لى انها قد صفحت ، ومحت من قلبها كل أثر للضغينة أو الحنق على ٠٠ وجدتنى أتهاوى على ركبتى منهارا أمامها ، وأنا ألعق دموعهـــا بشفتى ، ودموعى أنا تهطل على خديها وخدى ٠٠**

وأحسست براحة عميقة وأنا أقسم بين يدى ربى ويديهـــا أن أظل وفيا لها مدى الحياة !

❖

ولست فى حاجة الى أن أؤكد لك يا ابنتى اننى لم أحنث بقسمى هذا حتى اليوم !٠٠ وان غفرانها ذاك لخيانتى الآثمة كان بمثابة « مانعة الصواعق » التى درأت عنى منذ تلك الساعة اغراء الفواكه المحرمة ، ونزوات النساء ٠٠ فحمتنى منهن ، كما حمتنى من نفسى !٠٠ أمدتنى بالقوة الجبارة على الصمود فى وجه الغواية ومنازلتها بجأش ثابت ويقين راسخ فى النصر ٠ لست أنكر أنى لقيت صعوبة بادىء الامر فى أن أفطم نفسى عن شفتى عشيقتى الشائقة ، وأكبح شوقى الجامح الى متعة ألفتها ٠٠ لكن الرجل منا حين يصرف النظر نهائيا عن غذاء شهى قاتل يحرمه عليه الطبيب ، ويكف عن أن يمنى نفسه به ، ينتهى الامر به الى أن ينساه تماما ٠٠ فينعم بسكينة النفس ، التى لعلها هنا سكينة اليأس ٠٠ أو الزهد فى الكأس !

٠٠ أما أمك ، فكانت من الحكمة بحيث لم تذكرنى يوما بعد ذلك بخطيئتى القديمة ، ولو خلال عتاب أو مزاح عابر ، ولا أدخلت فى روعى قط ـ بتصرفاتها ـ أن لتلك الذكرى السوداء أى أثر باق فى قلبها ٠٠ فكان الاثر الوحيد الذى خلفته المحنة فى حياتنا أن بابنا صار موصدا فى وجه الصديقة الغادرة ٠٠ الى الابد !

❖

أرأيت يا ابنتى أن الرجل الكريم لا يخون ، قبل أن تدور فى نفسه معركة ٠٠ ويخسرها ؟

وهذه المعركة ـ كونى على يقين ـ قد دارت فى نفس زوجك ، وخسرها ٠٠ ربما بسببك !٠٠ لعلك أنت التى دفعته الى الخيانة دفعا وألقيته فى أحضان غريمتك ، المرهفة الاحساس ، المعتزة بكبريائها ٠٠ ومع ذلك فان أمك لم تهجر بيتى ـ حين وقفت على خيانتى ـ كما تهجرين أنت اليوم بيت زوجك ، فى اندفاع

طائش ، جاهلة بأن الارض التى تفقدها الزوجة - فى قلب زوجها - بهذا الهجر الاحمق يصعب عليها أن تستردها !٠٠ والشبر الذى أخلته فى غمضة عين قد يقتضيها احتلاله من جديد أشهرا طويلة ، وكفاحا شاقا مريرا ٠٠ وقد لا تستطيع استرجاعه على الاطلاق !

وأمك ، حين غفرت لى ، لم تكن تعرف - على وجه اليقين - العوامل النفسية التى بررت الخيانة فى عينى ، لكنها افترضتها ٠٠ ولا تحسبى أنى وحدى الذى أحسست أن لى فى خيانة زوجتى عذرا ، ومبررات ٠٠ فان لكل زوج خائن عذره ومبرراته التى يحجبها التسرع فى الاتهام غالبا عن ادراك الزوجة ٠٠ فلماذا لا تراجعين يا ابنتى نفسك وتقولين : لعل له عذرا وأنت تلومين !؟

لست أريد - كما ذكرت لك - أن أدخل فى التفصيلات ، أو أسمع منك شيئا عما حدث بينكما ، فقلبى يحدثنى بأن القصة بعينها قد تكررت ، قصة الزوجة التى ترى من الطبيعى أن تحب طفلها أكثر من أبيه ٠٠ والزوج الذى يرى من الطبيعى أن يظل هو فى المقام الاول من رعاية زوجته واهتمامها ٠٠ ولكن ، سواء أكانت تلك هى قصتك ، أم سواها - والشيطان يا ابنتى أبرع وأخصب مؤلف للقصص ! - **فنصيحتى اليك أن تدركى أن صرح الهناء البيتى يقوم على حكمة الزوجة أولا ٠٠ فتذرعى بهذه الحكمة ولا تتمادى فى التحدى والعناد ، والا هدمت عشك على رأسه ورأسك معا ٠٠ أو كنت كمن أغرق السفينة ليغرق عدوه فيها ، فغرق هو معه ٠٠!**

واعلمى أن الازواج ليسوا أدوات تصاغ حسب الطلب و«المواصفات»، وانما هم بشر لهم أخطاؤهم كما لكن أخطاؤكن٠٠ ولا بد لكل من الزوجين أن يقبل الآخر على علاته ، فانه لو توهم أن فى مقدوره العثور على انسان آخر على وجه الارض لا ينقصه

أو يخالفه فى شىء ·· فلن يجد ، ولا حتى نفسه !

فتعقلى يا ليلى، واغفرى·· فوالله لو ضننت أمك على بالغفران لامعنت فى الضلال ، ولصرنا الى حال لا يعلم الا الله مداها ··!

اغفرى يا ليلى ·· فالغفران ـ لا العقاب أو الانتقام ـ هو بلسم العدوان ، الذى يمسح شقاء القلوب ، المجروحة والجارحة على السواء ··!

وعودى يا ليلى ، الى بيت زوجـــك ·· الى بيتك !·· فانه ملاذك الاول والاخير ·· وزوجك هو رفيقك الاوحد فى رحلة الحياة الطويلة الجرداء !·· عودى ولا تدعى سقفى يظلك ليلة واحدة وأنت غضبى ، أو تشرق الشمس عليك وأنت فى بيت أمك وأبيك ··!

حذار أن تحسبى أنى أضيق بك ، وبطفلك ·· ولكن بئس الاب الذى أكونه اذا فتحت لك بيتى وأنت مع زوجـــك على خلاف !·· ان قلبى مفتوح لك دائما ، أما بيتى فموصد دونك ! ولسوف تشكرين لى يوما انى أغلقت بابى فى وجهك كى يظل بابك مفتوحا على الدوام ، مشرقا ، وبهيجا ··!

كلا يا ابنتى ، انك على ضـــلال ·· فلست أنا بالاب الذى يرضى لابنته الذل والهوان ·· وليس الامر أمر كرامة نفس أو كرامة أسرة ينبغى أن تصان ·· وانما هو أمر سعادة زوجية أجدر بالصيانة وأحق ·· فلرب نصر للكرامة والكبرياء أفضل منه الهزيمة وأجدى ··!

فاغفرى يا ليلى ·· وكفكفى دمعك ·· وعودى ··!

عندما يرفع الستار..

روائع المسرح العالمى
(التمثيلي والغنائي)

عزيزى القارىء ...

كان المسرح منذ أقدم العصور ، ومايزال ، المدرسة الاولى للشعوب المتحضرة .. وقد رأيت أن أقدم لك فى هذا الباب ، فى العدد الذى بين يديك والاعداد التالية من « كتابى » ، مجموعة منتقاة ومنوعة من أروع المسرحيات التى عرفها العالم ، فى مختلف عصوره وبلدانه .. فانقلك يوما الى المسرح الالمانى ، ومرة أخرى الى المسرح الانجليزى ، وثالثة الى المسرح الفرنسى ، أو الامريكى ، أو اليونانى القديم ، أو الهندى ، أو الاسبانى ، أو الهنغارى ، أو الصينى ، أو النرويجى ، أوالروسى ، أو الايطالى .. سواء التمثيلى أو الغنائى ..

فتعال معى نبدأ اليوم هذه الجولة الممتعة فى ركاب هؤلاء السادة الخالدين : أوسكار وايلد ، ابسن ، شيللر ، موليير ، هوجو ، راسين ، برناردشو ، شكسبير ، بن جونسون ، جوته ، جوجول ، تشيكوف ، تولستوى . جوركى ، دانونزيو ، بيرانديللو ، كورنى ، بومارشيه ، ادمون روستان ، بول بورجيه ، مارسيل بريفو ، أوليفر جولدسميث ، شريدان ، جولزورثى ، سومرست موم ، نويل كوارد ، أوجين اونيل ، كاريل كابيك ، مولنار ، سترندبرج ، موريس مترلنك .. وحاشا أن ننسى الاساتذة القدماء لكل هؤلاء : سوفوكل ، يوريبيدس ، أريستوفان، اسخيلوس ، فرجيل .. الخ

A WOMAN
of NO
IMPORTANCE
By.
OSCAR WILDE
خطايا الحب
قصة تمثيلية كبرى
لأوسكار وايلد

شخصيات الرواية

لورد النجورث	Lord Illingworth
جيرالد اربثنوت	Gerald Arbuthnot
سير جون	Sir John
لورد ألفريد	Lord Alfred
مستر كيلفل	Mr. Kelvil
رئيس الخدم	Butler
الخادم	Francis
ليدى هنستانتون	Lady Hunstanton
ليدى كارولين (زوجة جون)	Lady Caroline
ليدى ستتفيلد	Lady Stutfield
مسز ألونبى	Mrs. Allonby
مس هستر ورسلى	Miss Hester Worsley
مسز أربثنوت	Mrs. Arbuthnot
الخادمة	Alice

زمان الرواية : العصر الحاضر .

مكان الرواية : الريف الانجليزى .

(تقع حوادث الرواية خلال أربع وعشرون ساعة)

عزيزى القارىء ...

المسرحية التى أقدمها اليك فيمايلى هى احدى روائع أوسكار وايلد الخالدة ، وقد أطلق عليها اسم : A Woman of no Importance أى « امرأة لا وزن لها » وهو اسم لايصلح للترجمة العربية كما ترى ، لذلك آثرت أن أقدمها اليك باسم « خطايا الحب » وهو أقرب الاسماء الى موضوعها فيما أعتقد ..

وأنت قد تكون لم تقرأ شيئا لاوسكار وايلد من قبل ، فى حين انك لكى تتذوق أدبه على الوجه الاكمل ينبغى أن تلم بطريقته الفذة فى التعبير وأسلوبه اللاذع فى الكتابة .. ولن أحاول فى هذا المجال الضيق أن أعرفك بأوسكار وايلد وأدب أوسكار وايلد ، وانما حسبى أن أحاول تعريفك بطابعه الخاص فى الكتابة ، ولاسيما فى الكتابة التى تنطوى على حوار .. فهو شغوف بالمفارقات اللاذعة الشبيهة بصواريخ ذهنية براقة يطلقها فى الهواء فتخلبك وتبهر أنفاسك .. من فرط ماتنطوى عليه من الصدق الصارخ أحيانا .. ومن التهكم الساخر بالاوضاع المقلوبة التى تسود المجتمع الحديث ، أحيانا أخرى .. فهو فى جميع كتاباته يشن الحرب بلا هوادة على النفاق الاجتماعى والرياء والزلفى ، التى تسود المجتمع العصرى بصفة عامة ، والمجتمع الانجليزى بصفة خاصة ، ولاسيما بين أفراد طبقة المحافظين المتغطرسين .. استمع اليه وهو يقول على لسان الحسناء « الامريكية » هستر ورسلى ، فى حديثها الى ليدى هنستانتون : « انكم تنبذون عن مجتمعكم كل ماهو طيب ولطيف ، وتسخرون من كل ما هو طاهر وبسيط ، كى تعيشوا على أكتاف الآخرين ، وبفضلهم !».. أو وهو يخاطب هستر على لسان « ليدى كارولين » : « قد لاتعلمين ياعزيزتى اننا فى أيام شبابنا لم تكن مجتمعاتنا تضم رجلا يعيش من عرق جبينه .. لم يكن ذلك لائقا !».. أو قوله على لسان المرأة نفسها : « ان الانجليزيات يخفين مشاعرهن الى مابعد الزواج ، ثم يظهرنها بعد ذلك ! »

وأوسكار وايلد ولوع فى حواره كما ذكرت ، بالمفارقات الصارخة ، التى تجعلك تتوقع فى بداية العبارة نهاية معينة ، فاذا بك تفاجأ بعكسها تماما .. فهو يقول على لسان احدى شخصيات الرواية مثلا : « ان ليدى « بلتون » قد فرت مع عشيقها ، فمات زوجها بعد فرارها بثلاثة أيام »!.. الى هنا وأنت

تتوقع أن الزوج المسكين مات حزنا وغما .. فاذا بك تفاجأ ببقيـة العبـارة : « فمات زوجها بعد فرارها بثلاثة ايام ، من شـدة الفـرح .. او من داء النقرس . لاأدرى ! »

وهو بالسخرية عينها يقـول لك على لسان شخصية أخرى : « ما أفظع ما اعتاده الناس هذه الايام من أن يقولوا عن الشخص فى غيبته » وأنت هنا تتوقع أن تكون تتمة العبارة مثلا « الاكاذيب والمفتريات » لكنه يفاجئـك بدلا من ذلك بالعكس تماما ، فيقول : « ما أفظع ما اعتاده الناس هذه الايام من أن يقولوا عن الشخص فى غيبته ، الحقائق بحذافيرها ! »

وبنفس الطريقة يقول على لسان « لورد الفريد » : « ان السـجاير التى أدخنها غاليـة الثمن جدا .. بحيث لا أستطيع شراءها الا حين أكون مثقلا بالديون ! »

أويقول على لسان آخـر ، ردا على عبارة من امرأة تحدثه : « تعجبين بى من أجل شىء واحد فقط ؟ لـكن لى صفات سـيئة كثيرة ؟ » ... كان المرأة تعجب به من أجل صفاته السيئة لاالحسنة !

ثم استمع اليه يقول على لسان ليدى الونبى ، فى حديثها الى جمـع من صديقاتها : « سأذكر لكنالذنب الذى ارتكبه زوجى .. اذا وعدتننى بأن تذكرنه لكل من تصادفن ! » .. بدلا من أن تقول : «لا» تذكرنه ..!

.. أو يقـول على لسان ليدى كارولين فى حديثها الى الفتاة الامريكية : « بعد عشاء شهى يستطيع المرء أن يغفر زلات أى انسان ، حتى لو كان من أقربائه ! ») ــ بدلا من أن تقول : حتى لو كان من أعدائه !

بل اقرأ قوله على لسان اللورد النجورث فى حديثه الىالليدى هنستانتون : « ان النساء يحببننا من أجل نقائصنا ، فاذا كان لدينا منها الكفاية غفرن لنا كل شىء .. حتى ذكاءنا » وهـو بهذا يرمى الى السخرية من درجة تقـدير النساء لذكاء الرجل !

ثم اقرأ سخرية اوسكار وايلد من اللورد النجورث نفسه ، حين يقول على لسانه : « انى فى سبيل أن أسترد شـبابى لن أحجم عن تضحية ، اللهم طبعا الا أن أزاول التمرينات الرياضية واستيقظ مبكرا ، أو أغدو عضـوا نافعا فى المجتمع ! » .. كان صيرورته عضوا نافعا فى المجتمع تعد تضحية من جانبه !!

والآن .. لنرفع الستار عن الرواية ذاتها :

الفصل الاول

◆ نحن فى حديقة قصر «ليدى هنستانتون» الريفى ، وقد دعت النبيلة الثرية خليطا من صديقاتها واصدقائها كى يقضوا فى ضيافتها عطلة نهاية الاسبوع «الويك اند» بعيدا عن ضجيج العاصمة وضوضائها .. ونتعرف الى الحلقة الاولى من ضيوفها فاذا هى تتالف من ثلاثة : ليدى كارولين ، وزوجها سير «جون» ، وفتاة امريكية هى «هستر ورسلى» ، وقد جلس ثلاثتهم فى الحديقة الممتدة امام شرفة القصر ، تحت شجرة ضخمة عتيقة ، يتسامرون ويثرثرون .. ونلمس من حديث الزوجين ـ المتقدمين فى السن ـ مبلغ اعتزاز الانجليز ببلادهم وجهلهم بغيرها من بلاد العالم ـ حتى امريكا ـ جهلا يخفى قدرا من الاحتقار !.. ونعلم أن مس ورسلى تزور انجلترا لاول مرة ، ومن ثم فهى ماتزال تجهل طباع الانجليز المحافظين وعجرفتهم ، فلا تكاد تطلق نفسها على سجيتها «الامريكية» وتشارك ليدى كارولين فى انتقادها لاحدى المدعوات ، واسمها مسز «الونبى» ، حتى تبادرها محدثتها فى رياء العجائز المتغطرسات :

كارولين : لست اعتقد يا مس ورسلى ان من حق الاجانب مثلك ابداء أعجابهم او نفورهم من ضيوف دعوا الى المكان معهم، فضلا عن ان مسز الونبى امرأة من اسرة عريقة معروفة . قد يقال طبعا انها فرت من بيت اهلها قبل الزواج مرتين ، لكنك تعلمين كيف يبالغ الناس عادة فى اقوالهم . وانا شخصيا لا اعتقد انها فرت من اسرتها غير مرة واحدة !

هستر : وما رأيك فى مستر «أربثنوت» ؟ انه شاب جذاب ..

كارولين : آه ، تقصدين الشاب الذى يعمل فى احد البنوك ؟.. قد لا تعلمين اننا فى أيام شبابنا لم تكن مجتمعاتنا تضم رجلا يعيش من عرق جبينه .. لم يكن ذلك لائقا !

هستر : لكننا فى امريكا نحترم هذه الفئة اكثر من جميع طبقات المترفين ! .. والواقع انى شديدة الاعجاب بمستر اربثنوت ..

كارولين : ليس من المألوف فى انجلترا يامس ورسلى ان تتحدث فتاة عن رجل بهذه الحماسة .. ان الانجليزيات يخفين مشاعرهن الى ما بعد الزواج ، ثم يظهرنها بعد ذلك !

◆ **وهنا تقبل ربة القصر «الليدى هنستانتون» ويقبل فى أثرها الشاب موضوع الحديث «جيرالد اربثنوت» فيزف الى مضيفته البشرى بان الثرى الكبير اللورد «النجورث» قد عرض عليه أن يكون سكرتيره :**

الليدى : سكرتيره ؟ هذه انباء طيبة حقا ياجيرالد ، فهى تعنى ان امامك مستقبلا باهرا ، ولسوف تسر والدتك حين تعلم بالامر .. سأكتب اليها لابلغها النبأ السار وادعوها للحضور الليلة كي تتعرف الى اللورد وتشكره .. **(ثم تنهض الى منضدة قريبة لتكتب الخطاب فيشكرها الشاب على اهتمامها ، ثم يلتفت الى الحسناء الامريكية :**

جيرالد : هل لك فى جولة فى الحديقة يامس ورسلى ؟

هستر : بكل سرور ..

◆ **وتخرج معه ، بينما يدور بين العجائز حديث نعلم منه أن اللورد النجورث مرشح لان يعين فى السلك السياسى ، كسفير لبلاده فى «فينا» .. ثم تدخل سيدتان ، هما «ليدى ستتفيلد» ، و «مسز الونبى» التى كان القوم ينتقدون فرارها من أهلها فى شبابها :**

هنستانتون : ارجو ان تكون الحديقة قد اعجبتك يا عزيزتى ..

الونبي : انها رائعة حقا .. وان كنت اشعر اننى لوعشت فى الريف ستة اشهر لغدوت امرأة بليدة الاحساس ، لا تعجب احدا !

هنستانتون : أؤكد لك انك تظلمين الريف بهذه التهمة ، فعلى بعد ميلين من هنا يقع البيت الذى فرت منه ليدى بلتون مع عشيقها لورد «فذرسديل» . وقد مات زوجها بعد فرارها بثلاثة ايام ، من شدة الفرح .. او من داء النقرس ، لا ادرى !

الونبى : الفرار مع الحبيب نوع من الجبن فى رأيى ، فهو فرار من الخطر .. وقد صارت المخاطر نادرة فى حياتنا العصرية .

كارولين : يخيل الى ان نساء هذه الايام يجعلن هدف حياتهن الوحيد : اللعب دائما بالنار !

الونبى : الفائدة الوحيدة للعب بالنار هى حماية المرأة من الاحتراق ، فان الجاهلات به هن اللواتى يحترقن !

ستتفيلد : النساء مظلومات فى هذه الدنيا . . كأن الدنيا خلقت للرجال وحدهم !

الونبى : انت مخطئة ، فنحن نستمتع بالحياة اكثر منهم ، لان الامور المحرمة علينا اكثر من الامور المحرمة عليهم !

◆ **وهنا يدخل مستر «كيلفل» عضو البرلمان ، فتبتدره كارولين :**

كارولين : على فكرة ، هل انت فى صف اعطاء المرأة حق الانتخاب واشراكها فى السياسة يا مستر كيلفل ؟

كيلفل : ان ازدياد نفوذ النساء هو من اكثر الظواهر المطمئنة فى حياتنا السياسية ، فالنساء دائما ينتصرن للاخلاق الفاضلة.. سواء فى الحياة العامة او الخاصة . .

هنستانتون (لكارولين) : على ذكر هذا ، اتعلمين يا عزيزتى ان اللورد الينجورث لا يؤمن بفضيلة النساء ؟

ستتفيلد : العالم كله يقول ان اللورد رجل سيىء السيرة !

لورد النجورث (وهو يقبل على الجماعة فيسمع العبارة الاخيرة): اى عالم هذا الذى يقول عنى ذلك ياليدى ستتفيلد ؟ لابد انه العالم الآخر . . فانى وهذا العالم على تفاهم تام ! **(يجلس بجوار مسز الونبى)**

ستتفيلد : كل الذين اعرفهم يقولون انك سىء السيرة !

النجورث : ما افظع ما اعتاده الناس هذه الايام من ان يقولوا عن الشخص فى غيبته ، الحقائق بحذافيرها !

هنستانتون : ان عزيزنا اللورد النجورث رجل ميؤوس من اصلاحه ياليدى ستتفيلد . . وعلى فكرة ، نسيت ان اشكرك يا لورد على صنيعك مع جيرالد اربثنوت ، فانه شاب رائع ، وامه من اعز صديقاتى . . لقد خرج منذ برهة فقط مع الامريكية الحسناء . .

كارولين : آها ! . . لست ادرى لم لا تبقى هؤلاء الامريكيات فى بلادهن . . يقولون انها فردوس النساء !

النجورث : وهى كذلك بالفعل .. ولهذا السبب فانهن ، مثل حواء ، يتلهفن على الفرار منها !

◆ **وينهض اللورد مع مسز الونبى بعد حين ، فتساله ربه القصر :**

هنستانتون : هل انت ذاهبة يا مسز الونبى ؟

الونبى : الى الطرف الآخر من الحديقة فقط ، فقد انبأنى اللورد هذا الصباح بأنه رأى هناك زهرة لها اغراء الخطايا السبع !

◆ **ويبتعد الاثنان ، بينما يدنو شخص يدعى لورد «الفريد» ، فيجلس بجوار ليدى ستتفيلد ، التى تجاذبه اطراف الحديث :**

ستتفيلد : ما اجمل هذه السجاير ذات الفم المذهب يا لورد !

الفريد : انها غالية الثمن جدا ، بحيث لا استطيع شراءها الا حين اكون مثقلا بالديون !

ستتفيلد : لابد انه امر فظيع ان يكون المرء مدينا !

الفريد : لابد للانسان من عمل يشغل به وقته على اى حال ، ولولا ديونى لما وجدت شيئا افكر فيه ..!

هنستانتون : آه هذا خطاب من العزيزة مسز اربثنوت **(تقرأ الخطاب)** انها لن تحضر للعشاء لكنها ستأتى لقضاء السهرة .. لكم انا مسرورة بذلك . انها من أظرف النساء ، تجمع بين رقة الانوثة وطيبة القلب ..

◆ **يقترب منها الخادم ويهمس لها بأن الشاى قد اعد فى «الصالون الاصفر» فتدعو ضيوفها الى أن يتبعوها .. ويهم سير « جون » بان يحمل معطف ليدى ستتفيلد ، لكن زوجته كارولين تحدجه بنظرة شذراء فيتراجع !.. ويبتعد الكل بينما يدنو لورد النجورث ومسز الونبى فيلمحان نظرة كارولين الى زوجها :**

الونبى : من العجيب ان غير الجميلات يغرن على ازواجهن اكثر من الجميلات !

النجورث : ذلك لان الجميلات لا وقت لديهن للغيرة ، فهن دائما مشغولات بالغيرة على ازواج غيرهن !

الونبى : كنت احسب ان ليدى كارولين قد ملت الغيرة الزوجية فى مثل سنها ، سيما وان سير جون هو زوجها الرابع ! **(تلمح**

جيرالد وهستر يدخلان لتناول الشاى) ان جيرالد فتى ظريف حقا ، لكنى لا اهضم الامريكية التى معه . لقد جرؤت فقالت لى امس ، وبصوت عال ، ان سنها ثمانية عشر سنة فقط .. يالها من اكذوبة مثيرة !

النجورث : يجب ان لا يثق المرء قط بالمرأة التى تفصح عن سنها الحقيقية .. فالتى تكشف للرجل سنها ، تكشف له كل شىء !

الونبى : والذى يغيظنى منها اكثر ، اعتدادها بفضيلتها وزهدها!

النجورث : لست أومن بوجود نساء زاهدات، بل اعتقد انه مامن امرأة على الارض لايغرها الثناء والغزل، وهذا سر جاذبيةالنساء!

الونبى : انت لا تؤمن اذن بوجود المرأة التى ترفض القبلة ؟

النجورث : اكاد اجزم بأنها نادرة الوجود !

الونبى : وانا بدورى أجزم بان هستر لن تسمح لك بتقبيلها !

النجورث : وماذا ترينها فاعلة اذا قبلتها ؟

الونبى : تتزوجك ، او تصفعك ! وانت ،ماذا تفعل لو صفعتك ؟

النجورث : قد اقع فى هواها .. !

الونبى : اذن فمن حسن الحظ انك لن تقبلها ..

النجورث : اهذا تحد ؟ الا تعلمين انى انجح فى كل ما احاوله ؟

الونبى : يؤسفنى ان اسمع هذا ، فنحن النساء نعبد الفاشلين . انهم يتكئون علينا

النجورث : بل انتن تعبدن الناجحين ، وتتعلقن بهم ..

الونبى : نحن اكاليل الغار التى تتوج هاماتهم ، وتخفى صلعتهم !

النجورث : وهم يحتاجون اليكن دائما ، الا فى ساعة انتصارهم !

الونبى : هناك شىء واحد سأظل معجبة بك دائما من اجله .

النجورث : شىء واحد فقط ؟ لكن لى صفات سيئة كثيرة ؟ وما هو هذا الشىء ؟

الونبى : هو انك لم تغازلنى قط .. !

النجورث : وهل فعلت يوما غير ذلك ؟

◆ يدخل الخادم ليدعوهما الى الصالون الاصفر ، فيجيبه اللورد بانهما ذاهبان وفيما هما يتجهان نحو السلم يلمح اللورد خطاب مسز اربثنوت على المنضدة فيتناول الظروف ويتأمل خطه ، ثم يتمتم : «اعجبا ، انه يذكرنى بخط امرأة عرفتها فى السنين الخوالى !»

الونبى : من هى ؟

النجورث : اوه، امرأة لا وزن لها . . (ويلقى بالخطاب على المنضدة ثم يصعد سلم الشرفة مع مرافقته ، وهما يتبادلان الابتسام)

الفصل الثانى

◆ غرفة الاستقبال بقصر هنستانتون ، بعد العشاء .. الانوار مضاءة ، والنساء مسترخيات على الارائك يثرثرن ..

الونبى : اية راحة فى ان نتخلص من صحبة الرجال بعض الوقت!

ستتفيلد : نعم .. فى الواقع ان الرجال يطاردوننا بصورة مزعجة.

الونبى : يطاردوننا ؟ .. ليتهم يفعلون !

هنستانتون : اوه ، يا للجرأة !

الونبى : المزعج حقا ان الخبثاء يستطيعون ان يكونوا سعداء تماما بغيرنا !

ستتفيلد : الرجال قساة القلوب ، يعرفون قوتهم ويستغلونها !

كارولين : بل نحن اللواتى لانعرف كيف نضعهم فى مكانهم المناسب

الونبى : وماهو مكانهم المناسب ؟

كارولين : ان يعتنوا بزوجاتهم . . .

الونبى : حقا ؟ واذا كانوا غير متزوجين ؟

كارولين : المشاهد انهم فى هذه الحالة يعتنون بزوجات غيرهم ! انه لامر فاضح حقا عدد العزاب الذين يعيشون فسادا فى المجتمع . كان يجب ان يسن قانون يجبرهم جميعا على الزواج فى خلال سنة !

ستتفيلد : واذا كانوا يحبون امرأة مرتبطة برجل آخر مثلا ؟

كارولين : عندئذ يجب تزويجهم فى ظرف اسبوع من امرأة

قبيحة الخلقة لاعطائهم درسا فى وجوب عدم المساس بممتلكات الآخـــرين !

هنستانتون : اتعتقدين يا عزيزتى ان القوانين تصلح هذه الامور؟ ان الذى ألاحظه ان المتزوجين يعيشون فى هذه الايام كالعزاب ، والعزاب كالمتزوجين !

ستتفيلد : وانت يامسز الونبى ، ألم تصفحى بعد عن زوجك ؟ ترى ماذا كان الذنب الذى فعله ، هل اهانك فى نوبة غضب بكلمة جارحة ؟

الونبى : أوه ، كلا .. « ارنست » هادىء للغاية ، وهدوؤه احد الاسباب التى تجعله يثقل على اعصابى دائما . ما من شىء يثير المرأة الحساسة مثل هدوء الرجل وبلادته !

ستتفيلد : لكنك لم تذكرى الذنب الذى ارتكبه زوجك ؟

الونبى : حسنا ، سأذكره لكن ، اذا وعدتننى بان تذكرنه لكل من تصادفن ! .. عندما خطبنى ارنست اقسم لى وهو راكع على ركبتيه انه لم يحب امرأة قبلى قـــط . وكنت صغيرة ساذجة فلم اصدقه ، ولم اقم لسوء الحظ بأية تحريات فى هذا الصدد .. حتى تزوجت ، وانقضت اشهر ، اكتشفت بعدها ان ما قاله لى كان الحقيقة بحذافيرها ، وهو امر يجعل الرجل غير شائق بالمرة .. !

هنستانتون : ياللهول !.. ما هذا الذى تقولين ؟

الونبى : الرجال يحرصون دائما على ان يكونوا حـب المرأة الاول ، وهذا يرضى غرورهم .. أما نحن النساء ففريزتنا تجعلنا نفضل ان نكون حب الرجل الاخير !

هنستانتون : اتعنين انك ترفضين الصفح عن زوجك لانه لم يحب امرأة قبلك ؟ .. انه لامر يدهشنى !

كارولين : لاشىء ينبغى ان يدهشنا هذه الايام سوى الزيجات السعيدة .. انها تزداد ندرة بشكل واضح .

الونبى : اوه ، انها لم تعد تلائم روح العصر !
ستنفيلد : الا بين الطبقات المتوسطة ..
كارولين : هذا اطراء لتلك الطبقات على اية حال ، فمما يؤسف له حقا ان تكثر فى طبقتنا الزوجات الطائشات ، المسؤولات فى رأيى عن فشل عدد كبير من الزيجات التى نعرف كلنا قصصها.
الونبى : اما انا فلست اعتقد ان لطيش الزوجة دخل فى الامر فان اكثر الزيجات تفشل هذه الايام بسبب تعقل الازواج اكثر من اى شىء آخر .. والا فكيف يمكن ان تسعد امرأة مع رجل يصر على معاملتها كما لو كانت مخلوقا كامل العقل والادراك ؟!
هنستانتون (مستنكرة) : مسز الونبى !
الونبى : الرجل ينتسب الى جنس تميز بعقله منذ آلاف السنين ، فهو لا يملك من امر ذلك شيئا .. اما تاريخ النساء فمختلف . لقد كنا على الدوام عنوانا للاحتجاج الصارخ على وجود العقل الراجح والتمييز السليم . لقد ادركنا مخاطرهما منذ البداية !
ستنفيلد : الواقع ان رجاحة عقل الازواج شىء متعب للغاية .. وبهذه المناسبة : ما صفات الزوج المثالى فى نظرك ؟
الونبى : الزوج المثالى ؟ هذا شىء لا يمكن وجوده ، التعبير ذاته خاطىء !
ستنفيلد : اذن فليكن السؤال : من هو « الرجل » المثالى بالنسبة للمرأة ؟
الونبى : الرجل المثالى هو الذى يخاطبنا كما لو كنا آلهة ، ويعاملنا كما لو كنا اطفالا ! .. هو الذى يرفض كل مطالبنا الجدية ، ويرضى كل نزواتنا ! .. هو الذى يشجعنا على ان تكون لنا اهواء ، ويمنعنا من ان تكون لنا رسالات ! .. هو الذى يقول دائما اكثر مما يعنى ، ويعنى دائما اكثر مما يقول !.. اذا سألناه فى اى موضوع ، اجابنا عن موضوع واحد: هو انفسنا!..

وهو ينبغى ان يكون دائما على استعداد لان يمتدحنا من اجل الصفات التى يعلم انها ليست فينا ، ويوبخنا بلا شفقة على الفضائل التى لم نحلم يوما بتوفرها فينا ! .. واخيرا فالرجل المثالى ينبغى ان لا يؤمن قط باننا نعرف قيمة الاشياء النافعة ، فهذا فى نظره ذنب لا يغتفر ، ومن اجل ذلك فعليه ان يمطرنا بكل شىء لا نريده .. !

كارولين : اذن فليس عليه غير دفع الفواتير واغداق المديح !

الونبى ، مستمرة : انه ينبغى ان يهيننا فى اصرار امام الملأ ، ويعاملنا بالاحترام الكامل على انفراد ! .. وعليه ان يكون مستعدا على الدوام لان يشتبك معنا فى مشاجرة رهيبة كلما اردناها .. وان ..

كارولين (مقاطعة) : لكنك لم تذكرى المكافأة التى ينالها الرجل المثالى منا ؟

الونبى : مكافأته ؟ لاشىء غير الانتظار اللانهائى . هذا يكفيه تماما! وعلى المرأة ان لا تستسلم له قط ، الا اذا ارادت طبعا ان تسأمه!

◆ **وهنا تتنبه ربة الدار فجاة الى وجود الفتاة الامريكية فى ركن منزو من المكان ، وتخشى ان تكون قد سمعت هذه الاراء الكفيلة بان تصدم مشاعرها البريئة ، فتمضى اليها وتجاذبها الحديث كى تزيل اثر ما قد تكون سمعته :**

هنستانتون : قيل لى ان عندكم فى امريكا مجتمعا بهيجا ؟

هستر : المجتمع الامريكى الحقيقى يتألف من نسائنا الفضليات ورجالنا الافاضل ..

هنستانتون : اخشى ان يكون عندنا فى انجلترا كثير من الفوارق الاجتماعية المصطنعة ، فنحن لا نختلط الاختلاط الكافى بالطبقات المتوسطة والوضيعة .

هستر : ليست عندنا فى امريكا طبقات وضيعة !

كارولين : يظهر انه تنقصكم فى امريكا اشياء كثيرة ، فقدسمعت ان ليس فى بلادكم خرائب ولا تحفا وطرائف .. !

الونبى : هراء !.. فعندهم امهاتهم وعاداتهم !

هستر : ان الارستقراطية الانجليزية تمدنا بتحفنا وطرائفنا من الرجال الذين يشحنون الينا فى السفن كل صيف ، ويطلبون يدنا غداة وصولهم الى بلادنا ! .. اما الخرائب فنحن نسعى كى نبنى صرحا يبقى على مر الاجيال اكثر من الطوب والاحجار!

هنستانتون : آه ، تقصدين صرح « المعرض الحديدى » الذى تشيدونه ؟

هستر : نحن نسعى كى نبنى الحياة ذاتها على اساس افضل واصدق وانقى من اساسها الذى ترتكز عليه هنا فى انجلترا يا ليدى هنستانتون .. انكم تنبذون عن مجتمعكم كل ما هو طيب ولطيف ، وتسخرون من كل ماهو طاهر وبسيط ، كى تعيشوا على اكتاف الآخرين ، وبفضلهم ! .. انتم تستهزئون بالتضحية ، واذا القيتم الى الفقير يوما بلقمة خبز فانما لكى تستريحوا من ازعاجه اياكم ردحا من الزمن ! .. ومع كل ابهتكم وثروتكم وفنكم فانكم لا تعرفون كيف تعيشون . لا تحبون الا الجمال الذى ترونه وتلمسونه ، وتتلفونه ! .. اما الجمال غير المنظور للحياة ، للحياة الاسمى ، فلا تعرفون عنه شيئا . ان مجتمعكم الانجليزى فى نظرى مجتمع سطحى ، انانى ، غبى . مجتمع قد أعمى عينيه واصم اذنيه ، بيديه !.. انه اشبه بالمجذوم المتدثر بالقرمز ، والميت الموشى بالذهب .. انه كله خطأ فى خطأ !

هنستانتون : ياعزيزتى مس ورسلى ، لقد حسبتك معجبة بالمجتمع الانجليزى ، فلقد ظفرت فيه باعجاب خيار القوم ، واطراك لورد «هنرى ويستون» بعبارات تحسدين عليها ، وهو الحجة فى الجمال كما تعلمين !

هستر : اللورد هنرى؟ انى اذكره جيدا، ذلك الرجل ذا الابتسامة الكريهة والماضى الكريه ! .. انه يدعى الى كل مكان ، بدونه لا تكتمل حفلة او مأدبة عشاء ، ولكن ما قولك فى الضحايا الذين

كان سبب دمارهم ؟ انهم منبوذون ، لا يحملون اسماء ينتسبون اليها . اذا لقيتهم فى الطريق اشجت بوجهك عنهم فى ازدراء!.. ليس معنى ذلك انى أحتج على العقاب الذى حاق بهم ، فان كل امرأة خاطئة يجب فى رأيى ان تلقى جزاءها .

◆ تبدو مسز اربثنوت مقبلة من باب الشرفة الخلفى البعيد ، فتجفل لدى سماعها العبارة الاخيرة ، لكنها تتمالك نفسها .. بينما تستطرد الامريكية :

هستر : نعم ، فلتتحمل المرأة الخاطئة جزاء فعلتها ، ولكن ليس من العدل ان تعاقب بمفردها .. فليصحبها شريكها فى الاثم الى صحراء النفى الاجتماعى كى يتبادلا حبهما او بغضهما كما يشاءان ! . ليوصم الاثنان بوصمة ظاهرة على جبينهما ، اذا اردتم ، ولكن لا تعاقبوا احدهما وتتركوا الآخر حرا طليقا ! .. لا يكونن عندكم قانون للرجال وقانون آخر مخالف للنساء . انكم تظلمون النساء وسوف تظلون تظلمونهن حتى تقروا بأن العار الذى يشين المرأة ينبغى ان يشين الرجل ايضا مثلها .. !

هنبستانتون (تلمح مسز اربثنوت قادمة فتخف لاستقبالها مرحبة) : اهلا اهلا ياعزيزتى ، يسرنى انك حضرت لتسمعى صديقتنا الامريكية الشابة تصف لنا شرورنا !

هستر : اخشى ان اكون تكلمت بشىء من العنف ، ولكن ...

هنستانتون (مقاطعة) : كلا يافتاتى العزيزة ، فقد كان فى كلامك نصيب كبير من الصدق ، وان كنت قسوت على شقيق كارولين ، لورد هنرى المسكين !

هستر : آسفة ياليدى كارولين ، لكنى لم اعلم انه شقيقك ..

كارولين : بل ان الجزء الوحيد من كلامك الذى اوافقك عليه هو الذى تحدثت فيه عن اخى ، فانى اعتبره رجلا فاسد الخلق .. لكن العدل يقتضينى الاعتراف له بانه لطيف المعشر ، وانه يقتنى طاهيا من احسن الطهاة .. وبعد عشاء شهى

يستطيع المرء ان يغفر زلات اى انسان ، حتى لو كان من اقربائه!

هنستانتون (للامريكية) : تعالى يا عزيزتى اعرفك بمسز اربثنوت . انها من طبقة البسطاء الطيبين الذين عبث علينا اننا نقصيهم عن مجتمعنا .. والواقع انها لا تزورنى الا نادرا ، لكن الذنب ليس ذنبى ..

◆ **واذ ذاك تنتهز ليدى ستتفيلد ومسز الونبى اول فرصة فتنسحبان من المكان الى الشرفة فى أنفة وتعال ، بحجة الاستمتاع بجمال النجوم !.. بينما تهنىء ربة القصر ضيفتها على اختيار اللورد النجورث لابنها سكرتيرا له ، وتسألها عما اذا كانت تعرف اللورد ، فتجيب بانها لم تسمع حتى باسمه ، من فرط انزوائها عن المجتمعات !.. فتقول الليدى فى تعريفها به : «انه رجل رفيع المقام ، رغم انه ما يزال فى حكم الشاب .. وهو لا يشتغل فى الواقع بأى عمل، الامر الذى تعتبره صديقتنا الامريكية عارا لا يليق بأى انسان !.. ولست اعتقد انه يهتم بالمشروعات الخيرية التى تشغل وقتك يا مسز اربثنوت ، ولكن لكل انسان بالطبع ميوله الخاصة ..»**

ثم تمضى الليدى فى ثرثرتها ، فنعلم أن اللورد قد ورث لقبه الحالى منذ نحو أربعة أعوام ، بعد موت أبيه اللورد السابق ، أما قبل ذلك فكان يعرف باسم «جورج هارفورد» .. الخ .. وبعد حين يدخل الخادم معلنا قدوم قسيس الضاحية ، الذى لا يكاد يرى مسز أربثنوت حتى يرحب بها فى احترام ظاهر ، ويطرى تفانيها فى خدمة الفقراء والنهوض بمشروعات البر ، بل ويغبط ربة القصر على حظوتها بزيارتها !.. وفى هذه الاثناء تنفض جلسة الرجال «الانفرادية» التى بدأت فى حجرة الطعام بعد العشاء ، فيقبلون الواحد فى اثر الآخر .. وتعلق نظرات مسز اربثنوت باللورد النجورث ، الذى يمر فى اقصى القاعة ، دون ان يتنبه اليها ، ليقف فى أحد الاركان مع مسز الونبى وليدى ستتفيلد فيمازح الاولى بقوله :

النجورث : كيف حال « ملكة » الجاذبية النسائية فى العالم ؟

الونبى (فى لباقة ، وهى تمسك بيد ستتفيلد) : كلانا بخير ، شكرا (**فى تهكم**) : ولكن لم غادرت حجرة الطعام بهذه العجلة ؟

النجورث : كنت محرجا فلم استطع الفرار ، رغم شوقى الى اللحاق بكن منذ البداية ..

الونبى : ليتك بكرت ، فقد كانت الامريكية تلقى علينا «محاضرة»!

النجورث : حقا ؟ ان الامريكيين جميعا مولعون بالقاء المحاضرات . اغلب ظنى انها ظاهرة ناتجة عن طقس بلادهم ! وماذا كان موضوع محاضرتها ؟

الونبى : « الفضيلة » طبعا .. !

النجورث : كم من المهلة تعطينني كى «اهديها» الى الصراط «غير» المستقيم ؟

الونبى : اسبوعا ..

النجورث : انه اكثر من الكفاية !

◆ وهنا يدخل الشاب «جيرالد» ابن مسز أربثنوت ، فلا تكاد امه تلمحه حتى تلح عليه فى أن يصحبها الى البيت ، متعللة بتعب مفاجىء ، لكن الشاب يحرص على ان يقدمها أولا الى رئيسه الجديد ، ورب نعمته ، اللورد النجورث .. فيتجه اليه من فوره ويقوده اليها .. واذ يلمحها اللورد – لاول مرة – يجفل مأخوذا ، لكنه يتمالك نفسه ويمضى نحوها .. وحين يقدم الفتى كلاهما الى الآخر تنحنى المرأة للورد فى فتور ، فيطالبها ابنها بأن تشكره على صنيعه معه ، لكنها لا تجيبه الى طلبه الا بعبارة متكلفة غامضة !..

ثم يدور بين الثلاثة حديث قصير ، تبدى الام خلاله ارتيابها فى ان يصلح ابنها للمركز الجديد !.. فيدهش جيرالد من لهجة امه ، ويرجو من اللورد ان يقنعها بأنه جاد فيما يعرضه عليه .. وهنا يستأذن اللورد ربة القصر وصديقاتها فى أن يتحدث الى مسز اربثنوت بضع لحظات ، فتجيبه ليدى هنستانتون : «آه ، طبعا .. أن عندك الكثير الذى ترغب فى أن تقوله لها وعندها هى الكثير الذى تشكرك عليه ، فليس كل شاب يجد هذه الفرصة الذهبية !») .. ثم تمضى الليدى مع ضيوفها الى قاعة الموسيقى ، بينما يبقى اللورد والام على انفراد.. ولا تلبث أن تسمع من بعيد أنغام تعزف على الكمان :

اللورد : اذن فهذا هو ابننا ياراشيل ؟ لكم انا فخور به ، ان كل شىء فيه ينطق بانه ابنى .. ولكن ما سر اختيارك لاسم « اربثنوت » بالذات ؟

الام : كل الاسماء تصبح سواء حين لا يكون للمرأة حق فى أى اسم على الاطلاق !

اللورد : وما الذى اوحى اليك بتسميته « جيرالد » ؟

الام : نقلا عن اسم الرجل الذى حطمت قلبه : ابى !

اللورد : ان مافات قد مات يا راشيل ، ولا خير فى بعث الماضى من مرقده ، كل ما اريد ان اقوله لك الآن اننى جد سعيد بابننا. ان الناس لن يعرفوا عنه بالطبع الا انه سكرتيرى ، لكنه بالنسبة الى سيكون قريبا جدا الى قلبى ، عزيزا جدا على نفسى .. فانى الآن فقط شعرت ان حياتى كان ينقصها شيء : النسل !.. وقد وجدت ما ينقصنى ، وجدت ابنى .. ولكم انامسروربذلك!

الام : انك لا تملك الحق فى المطالبة به ، او بأضأل نصيب منه . انه ولدى وحدى ، وسيظل كذلك !

اللورد : يا عزيزتى راشيل ، لقد استأثرت به وحدك اكثر من عشرين عاما ، فلم لا تدعينى احظى به الآن بعض الوقت ؟ انه ابنى كما هو ابنك !

الام : اتعنى الابن الذى هجرته ، والذى كان يحتمل ان يكون قد مات من الجوع والفاقة ؟

اللورد : لعلك لم تنسى يا راشيل انك انت التى هجرتنى ؟

الام : هجرتك لانك رفضت ان تمنح الطفل اسما .. لقد طالما توسلت اليك ، قبل ان يولد ، ان تتزوجنى !

اللورد : لم يكن امامى مستقبل مرموق وقتئذ ، فضلا عن انى لم اكن اكبر منك سنا بكثير . كنت حدثا فى الثانية والعشرين او اقل يوم بدأ الامر كله فى حديقة بيت ابيك !

الام : عندما يكون للانسان من السن ما يسمح له بأن يرتكب الشر ، ينبغى ان تسمح له سنه ايضا بأن يفعل الخير !

اللورد : دعينا لا نخرج عن الموضوع يا عزيزتى .. تقولين انى تركت طفلنا معرضا للموت جوعا ، وهذا قول سخيف وغير صحيح ، فلقد عرضت امى عليك ايرادا سنويا قدره ستمائة جنيه ، لكنك ابيت قبوله بل اخذت الطفل واختفيت عن الانظار!

الام : ما كنت لاقبل بنسا واحدا منها ، فانها لم تكن نبيلة فى شعورها نحوى مثل ابيك ، الذى صارحك فى حضورى بأن واجبك يحتم عليك الزواج منى !

اللورد : أوه ، ان الواجب هو ما ينتظره المرء من الآخرين ، وليس ما يفعله هو .. والواقع انى كنت تحت تأثير امى ، وكل رجل يكون كذلك فى شبابه الباكر .

الام : يسرنى ان اسمع منك ذلك ، فانى أعتقد ان جيرالد لن يخالف رغبتى ويسافر معك !

اللورد : اى هراء ياراشيل !

الام : او تحسبنى سوف اسمح لابنى ..

اللورد (مصححا) : لابننا كلينا ..

الام : بل ابنى وحدى ! (تستطرد) .. بأن يعمل فى كنف الرجل الذى افسد شبابى ، وحطم حياتى ، ولوث بالعار كل لحظة من ايامى وماضى ؟

اللورد : انى اعتبر مستقبل جيرالد اهم بكثير من ماضيك !

الام : انه لن يستطيع ان يفصل مستقبله عن ماضى !

اللورد : بل ان هذا بالذات هو ما ينبغى ان يفعله ، وان تساعديه انت على فعله .. انك تتكلمين بمنطق النسـاء التقليدى ، العاطفى ، الانانى ! .. راشيل ، انا اريدك ان تنظرى الى المسألة من زاوية الادراك السليم ، الزاوية التى تحقق ما فيه خير ابننا، بغض النظر عنك وعنى .. فما هو مركزه اليوم ؟ انه موظف بسيط مغبون فى بنك اقليمى صغير فى بلدة من الدرجة الثالثة، فاذا اعتقدت انه سعيد قانع بعمله هذا فأنت على خطأ جسيم .

الام : انه كان قانعا حتى التقى بك!.. انت الذى اغريته بالتذمر .

اللورد : هذا صحيح ، لكن التذمر هو الخطوة الاولى فى طريق تقدم الافراد او الشعوب . وانا لم اتركه يعانى عذاب الطموح الى أشياء فوق متناوله ، وانما عرضت عليه عرضا خلابا تعلق هو به على الفور ، كما كان خليقا بأى شاب فى مكانه ان يفعل!.. والآن ، لمجرد ان المصادفة شاءت ان اكون فى الوقت ذاته والد الفتى ، وهو ابنى ، اراك تسعين عامدة الى تدمير مستقبله !

اعنى انى لو كنت غريبا عنه تماما لتركته يرحل فى ركابى ، اما وهو من لحمى ودمى فانك ترفضين .. اى منطق سقيم هذا !

الام : لن اسمح له بالسفر معك !

اللورد : وكيف تمنعينه ؟ بأية حجة تغرينه على التفريط فى فرصة ذهبية كهذه ؟ انك لن تجرؤين طبعا على مصارحته بالحقيقة ، فان الاطفال يحبون والديهم فى البداية ، لكنهم اذا ماكبروا ادانوهم وصاروا قضاتهم العادلين الذين يندر ان يغفروا لهم !

الام : جورج ، لا تأخذ ابنى بعيدا عنى .. لقد عشت عشرين سنة مريرة تشوبها الاحزان ، لم يكن لى خلالها من يحبنى واحبه سواه .. فى حين عشت انت حياة مترعة بالافراح والملذات والنجاح .. عشت سعيدا لا تنغصك حتى ذكرانا ، فما كان يوجد ـ طبقا لفلسفتك فى الحياة ـ سبب واحد يفرض عليك ان تذكرنا . وقد كان لقاؤنا الحالى محض مصادفة ، مصادفة رهيبة!.. فلتنسها ، ولا تأتى الآن فتسلبنى كل من بقى لى فى الحياة . انك واسع الثراء فى اشياء اخرى كثيرة ، فدع لى كرمة حياتى الصغيرة الوارفة . دع لى الحديقة المتواضعة وبئر الماء ، والحمل الذى ارسله الله الى فى فيض رحمته ، او غضبه ، لست أدرى ! .. اواه ، دعه لى بربك .. جورج ، لا تنتزع منى جيرالد !

اللورد : راشيل ، انت لاتلزمين لمستقبل جيرالد فى الوقت الحاضر ، اما انا فلازم له . وهذا كل ما ينبغى ان يقال الآن فى هذا الموضوع !

الام : لن ادعه يذهب !

اللورد : هذا هو جيرالد قد اقبل ، ومن حقه ان يقرر مصيره بنفســه !

◆ **ويدخل جيرالد ، فتحاول امه التأثير على رأيه باستدرار عاطفته البنوية كى يضعف عن فراق المخلوقة التى ربته ولازمته عشرين عاما .. لكنه يفحمها**

برد يفرق فيه بين عاطفته ومستقبله !.. فتحاول اقناعه بانه لا يملك المؤهلات التى تزكيه لشغل المنصب المعروض عليه !.. وهنا يحسم اللورد النقاش من هذه الزاوية جازما بصلاحية الفتى للمنصب ! ثم يتحدى الام ان تذكر اى سبب آخر يدعوها الى المعارضة فى قبول ابنها للعرض المغرى .. وينضم الفتى الى اللورد فى تحدى امه أن تفسر مسلكها الشاذ !.. وأمام هذا الحرج تجيبهما المرأة التعسة راغمة بانها لا تملك غير الاسباب التى ذكرتها ! فيلتفت اللورد الى الشاب قائلا : «اذن ففى وسعنا يا ابنى ان نعتبر المسألة منتهية .. فتعال ندخن سيجارة فى الشرفة معا .. اما أنت يا سيدتى فدعينى أصارحك بانك قد تصرفت تصرفا غاية فى الحكمة وسداد الرأى !» .. ثم يخرج الرجلان ، بينما تبقى الام بمفردها كتمثال جامد بلا حراك ، وعلى وجهها نظرة تنطق بالحزن الاخرس المفجع !

الفصل الثالث

◆ فاذا كان الفصل التالى فنحن فى قاعة الصور بقصر هنستانتون ، وقد استرخى اللورد الينجورث على كنبة ، وجلس جيرالد على مقعد فى مواجهته.. واسترسل الحديث بينهما حول تعقل مسز اربثنوت ورجوعها الى جادة الحق .. فيقول ابنها :

جيرالد : ان امى حية الضمير فى الواقع ، فهى تعتقد مخلصة انى لست على درجة من العلم تؤهلنى لان اكون سكرتيرك . ولعلها على حق ، فانى كنت بليدا للغاية ايـام الدراسة ، فلم انجح يوما فى امتحان من اول مرة !

اللورد : الامتحانات نظام عقيم لا نفع فيه ، لانه ان كان الرجل « جنتلمانا » فهو يعرف الكفاية كى ينجح فى الحياة .. ولن لم يكن فمهما تعلم فالعلم كفيل بان يضره !

جيرالد : لكنى لا ازال جاهلا بالحياة يالورد النجورث .

اللورد : لا تخش شيئا يا ابنى ، ولتذكر دائما انك تملك اعظم مؤهل فى الوجود يزكيك ، واروع كنز فى الحياة : الشباب !.. لاشىء كالشباب !.. ليخيل الى انى فى سبيل ان استرد شبابى لن احجم عن شىء .. اللهم طبعا الا أن ازاول التمـرينات الرياضية واستيقظ مبكرا ، او اغدو عضوا نافعا فى المجتمع !

جيرالد : أو تعد نفسك متقدما فى السن يالورد النجورث ؟
اللورد : انى فى سن تؤهلنى لان اكون ابيك !
جيرالد : انا لا أذكر ابى ، لقد مات منذ بعيد . والعجيب ان امى لا تحدثنى عنه قط .. لابد انه كان دونها فى المرتبة .
اللورد (يجفل قليلا) : حقا ؟ **(يتجه نحو الشاب فيضع راحته على كتفه ثم يحول دفة الحديث)** ان حب الام عاطفة تلمس القلب بلا نزاع ، لكنها كثيرا ما تنطوى على الانانية ! ان امك امرأة طيبة للغاية ، لكن النساء الطيبات تكون آراؤهن فى الحياة ضيقة الافق ، وشواغلهن تافهة .. فاذا أردت ان تعرف الحياة على حقيقتها ، لا كما تصورها النظريات البالية ، فأول ما ينبغى ان تفعله هو ان تعد نفسك لغشيان المجتمع .. فان الرجل الذى يسيطر بأحاديثه على مائدة عشاء فى العاصمة يستطيع ان يسيطر على العالم !
جيرالد : انى اتوق دائما الى ان أتأنق فى ثيابى ، لكننى كثيرا ما أسمع القول بأن الرجل ينبغى ان لا يغالى فى ذلك
اللورد : بهذه المناسبة دعنى انصحك بأن تتعلم كيف تحسن عقد رباط رقبتك ، فان الرباط المعقود جيدا هو الخطوة الاولى الهامة فى الحياة !
جيرالد (ضاحكا) : قد استطيع ان اتعلم ذلك ، لكنى لن استطيع يوما ان اتحدث بمثل براعتك !
اللورد : اوه ، هذا سهل .. تحدث الى كل امرأة كما لو كنت تحبها ، والى كل رجل كما لو كان يضايقك ! بهذا تستطيع امتلاك ناصية آداب اللياقة فى المجتمع .. !
جيرالد : لكن النجاح فى المجتمع امر عسير فيما يخيل لى ؟
اللورد : لكى ينجح الانسان فى المجتمع هذه الايام ، يتعين عليه ان يطعم الناس ، او يسليهم ، او يصدمهم بآرائه !
جيرالد : احسب ان الانخراط فى المجتمع متعة شائقة ؟

اللورد : انه شيء يثير السأم ، لكن الحرمان منـــه مأساة !.. فالمجتمع شيء ضروري للانسان ، وما من رجل ظفر بنجاح حقيقي في هذه الحياة مالم تكن هناك امرأة تحمي ظهره ! .. النساء هن اللواتي يسيطرن على المجتمع .

جيرالد : هل من العسير حقا فهم النساء ؟

اللورد : لاتحاول قط ان تفهمهن .. النساء صور ، اما الرجال فهم مشكلات !.. فان اردت ان تعرف قصد امرأة ، فلا تصغى الى كلامها ، بل انظر الى عينيها !

جيرالد : لكن النساء ماكرات للغاية فيما اظن ؟

اللورد : هذا ما ينبغي ان يقوله المرء لهن دائما !.. اما بالنسبة للفيلسوف فهن يمثلن انتصار المادة على العقل ، كما ان الرجال يمثلون انتصار العقل على الاخلاق !

جيرالد : كيف امكن ان تكون للنساء هذه القوة الجبارة ؟

اللورد : ان تاريخ النساء هو تاريخ اسوأ انواع الطغيان التى عرفها العالم ، طغيان الضعيف على القوى .. وهو الطغيان الوحيد الذى يدوم !

جيرالد : اغلب ظنى انك لم تتزوج قط يالورد النجورث ؟

اللورد : الرجال يتزوجون حين يتعبون ، والنساء يتزوجـن بدافع الفضول .. والطرفان يصابان بخيبة امل !

جيرالد : ولكن الا تعتقد ان المرء يستطيع ان يسعد فى زواجه ؟

اللورد : بلا شك .. لكن سعادة الرجل المتزوج انما تستمد من المرأة التى لم يتزوجها !

جيرالد : وماذا لوكان الرجل عاشقا ؟

اللورد : ينبغي ان يظل المرء عاشقا على الدوام ، ومن اجل هذا يجب ان لا يتزوج قط !

جيرالد : يخيل الى ان الحب شيء ممتع جدا ؟

اللورد : فى الحب يبدأ الانسان بأن يخدع نفسه ، ثم ينتهى بان يخدع الطرف الآخر !

◆ وهنا تقبل ربة القصر وضيوفها، وتدور بين الجميع أحاديث تافهة متنوعة، حتى يعن لليدى ستتفيلد أن توجه الى اللورد سؤالا يجيب عليه بقوله :

اللورد : ان النساء يحببننا من اجل نقائصنا ، فاذا كان لدينا منها الكفاية غفرن لنا كل شيء ، حتى ذكاءنا !

هنستانتون : آه ، نحن النساء ينبغى ان نغفر كل شيء ، اليس كذلك يا مسز أربثنوت ؟ انت لابد توافقيننى على هذا الرأى ؟

اربثنوت : مطلقا ، فهناك شيء يجب أن لا نغفره قط !

هنستانتون : وما هو ؟

اربثنوت : تدمير حياة امرأة !

وتمضى مبتعدة فى بطء الى أقصى القاعة .. ولا تلبث مسز الونبى أن تقترح على اللورد أن يخرجا الى الشرفة ليستمتعا بضياء القمر ، فيقول لها :

اللورد : هيابنا ، فليس احب الى من النظر الى اى شيء زائل.

الونبى : فلتنظر الى نفسك فى المرآة !

اللورد : انها قاسية ، لا ترينى غير تجاعيد وجهى .

الونبى : اما مرآتى فأكثر ادبا ، انها لا تقول لى الصدق ابدا !

اللورد : اذن فهى واقعة فى هواك !

◆ ثم يخرجان الى القمر .. ويتفرق الباقون فى ردهات القصر ، بينما تنادى مسز أربثنوت ابنها لتطلب اليه أن يرافقها الى البيت ، فيستأذنها فى أن يودع اللورد أولا ، وينبئها بانه سيرحل معه الى الهند فى نهاية الشهر . ولا يكاد يبتعد حتى تهمس لنفسها وهى تذرع المكان حائرة يائسة : «فليفارقنى ابنى كما يحلو له ، ولكن ليس معه ، ليس معه !.. لن أحتمل ذلك !» ..

وفى هذه الاثناء تدخل هستر الحجرة فتتودد الى الام وترجو منها أن تتخذها صديقة لها : «فانك جد مختلفة عن الاخريات !.. عندما دخلت حجرة الاستقبال الليلة احسست كانك جلبت معك شعاعا يمثل كل ما هو طيب وطاهر فى الحياة !» .. ثم يدور بين المرأتين حديث تعرب فيه الفتاة الامريكية عن رأيها فيما يتصل بزلات النساء ، ووجوب معاقبة المراة الخاطئة واقصائها عن مجتمعات افاضل الناس ، هى وشريكها فى الاثم .. بل وتذهب الى أن خطايا الاباء ينبغى أن يعاقب عليها الابناء «فتلك هى الشريعة العادلة.. شريعة الله !»

ثم تاخذ هستر فى تحريض مسز اربثنوت على مطالبة جيرالد بالتخلف

عن السفر : «فان المنصب والمال ليسا كل شىء» .. وتخرج متحمسة لتناديه كى تفاتحه امه فى الامر ، لكنها لاتكاد تذهب من باب حتى يدخل الشاب من باب آخر ، فتناشده امه متوسلة :

الام : جيرالد ، لاتذهب مع اللورد النجورث .. استحلفك أن لاتفعل .. جيرالد ، اتوسل اليك !

الابن : ما اكثر تقلبك يا اماه ! منذ ساعة واحدة وافقت على المشروع كله ، والآن تعودين فتحاولين ارغامى على نبذ فرصتى الوحيدة فى الحياة !.. انه ليدهشنى ، وقد واتانى الحظ النادر على هذه الصورة ، ان تكون امى هى المخلوق الوحيد الذى يبذر العراقيل فى طريقى .. !

◆ **ثم يبوح الفتى لامه بانه يحب «هستر ورسلى» ، وان حبه هذا هو أقوى ما يغريه بقبول المنصب المعروض عليه ، كى يكون له مستقبل مرموق يشجعه على التقدم الى الفتاة .. لكن امه تجيبه بأن من الخير له أن يطلق آماله فى الامريكية الحسناء ، فان آراءها فى الحياة تقطع بانها لا يمكن أن ترضى به زوجا !.. ورغم ذلك يستطرد الشاب :**

جيرالد : على اية حال فسوف يبقى لى طموحى ، الذى طالما حاولت يا اماه أن تسحقيه .. الم تقولى لى فى كل مناسبة ان الدنيا حافلة بالشرور ، والمجتمع سطحى تافه ، والنجاح فى الحياة لا يستحق عناء الوصول إليه ؟ لكنى لا اصدق شيئا من هذا ، بل أعتقد ان الدنيا لابد ان تكون ممتعة ، والمجتمع شائقا، والنجاح جديرا بكل متاعبه ! لقد كنت على خطأ فى كل ما علمتنى يا اماه .. وانى لابذل راضيا اى ثمن لو اتيح لى ان اغدو يوما مثل لورد النجورث !

الام : لخير لى ان اراك جثة هامدة !

الابن : اماه ، هلا صارحتنى بسبب بغضك للورد النجورث ؟

الام : انه رجل فاسد !

الابن : من اية ناحية ؟ لست افهمك . صارحينى بكل شىء وانا اعدك بالعدول عن السفر معه اذا كان قد ارتكب اى فعل شائن !

الام : جيرالد ، اقترب منى ، التصق بى كما اعتدت ان تفعل فى صباك **(يجلس الى جوارها ، فتمشط باناملها شعره وتربت على يديه)** جيرالد ، دعنى اقص عليك قصة : كانت توجد فتاة ، فى زهرة الشباب ، لم تكد تجاوز الثامنة عشرة .. التقت يوما بجورج هارفورد — كما كان اللورد النجورث يدعى وقتذاك — ولم تكن تعرف عن الحياة شيئا ، بينما كان هو يعرف كل شىء !.. فأغراها بأن تحبه ، وتتدله فى حبه فتفر معه من بيت ابيها ذات صباح ! .. وكان قد وعد جادا بأن يتزوجها ، فصدقته . كانت ساذجة غريرة ، جاهلة بحقائق الحياة ! لكنه راح يرجىء فكرة الزواج اسبوعا بعد اسبوع ، وشهرا بعد شهر .. ومع ذلك ظلت على ثقتها به ، فقد كانت تحبه أعمق الحب واخلصه . وقبل ان يولد الطفل — طفلهما ! — توسلت اليه ضارعة ان ينفذ وعده فيتزوجها ، كى يولد الطفل وهو يحمل اسما ، وحتى لا تلقى خطيئتها ظلها المشؤوم على مستقبل الوليد ، البرىء .. لكنه رفض !.. فلما وضعت حملها اخذت وليدها فى احضانها وهجرت الرجل الذى دمر حياتها ، ودمر نفسيتها ، ودمر كل ما كان عذبا نقيا طيبا فيها ! ومنذ ذلك التاريخ عاشت تتعذب ، وما تزال تتعذب ، وسوف تظل كذلك حتى آخر العمر .. فبالنسبة لها لا يوجد فرح ، ولا سلام ، ولا تكفير .. انها امرأة تجرجر اغلالها كالسجين نزيل الليمان ، و تضع على وجهها قناعا كالابرص ! .. النار لا تستطيع ان تطهرها ، والمياه تعجز عن ان تطفىء عذابها . لاشىء يمكن ان يبرىء جرحها ، ولا مخدر يقوى على ان يمنحها النعاس ، او النسيان ، !.. انها روح ضائعة ، تائهة ، ضالة!.. هذا يا ابنى هو السبب الذى يجعلنى اصف اللورد النجورث بأنه رجل فاسد ، وارىأ بابنى ان يلازمه ..

جيرالد : انها قصة مفجعة بلا شك يا اماه ، لكنى اعتقد ان بطلتها تستحق اللوم مثل اللورد سواء بسواء !.. فمهما يكن من امر

فان الفتاة العفيفة الكريمة الخلق لا تفر من بيت ابيها مع رجل لا يربطها به زواج ، ولا تعيش معه كما لو كانت زوجته !.. انها فعلة لا تقدم عليها فتاة طاهرة .

الام (بعد فترة اطراق وتفكير) : جيرالد ، انى اسحب اعتراضى . ولك ملء الحرية فى ان تصحب اللورد النجورث الى حيث تشاء ..

جيرالد : امى العزيزة ، كنت اعلم انك لن تقفى فى طريق مستقبلى . انك خير امرأة خلقها الله . اما عن اللورد النجورث فلست اصدق انه يرتكب فعلة وضيعة دنيئة كالتى رويتها لى . لا يمكن ان اصدق ذلك ...

هستر (تصيح من الخارج) : دعنى !.. دعنى ! **(ثم تدخل مذعورة فتندفع نحو جيرالد وتلقى بنفسها بين ذراعيه هاتفة) :** اواه ، انقذنى .. انقذنى منه !

جيرالد : ممن ؟

هستر : لقد اهاننى .. اهانة فظيعة .. انقذنى !

جيرالد : ممن ؟ من الذى اهانك ؟ من الذى جرؤ ..

◆ يبدو اللورد النجورث مارا امام الباب من بعيد فتنتزع الفتاة نفسها من بين ذراعى الشاب وتشير اليه .. فيندفع جيرالد نحـو اللورد وهو فى حالة من الثورة والهياج لا توصف ، ويصرخ فى وجهه : «الورد النجورث ، انـك قد أهنت أطهر مخلوقات الله على الارض ، أهنت امراة فى طهارة امى .. أهنت المراة التى احبها مع امى اكثر من جميع البشر .. واقسم بربى انى ساقتلك!» .. لكن الام تهرول نحو ابنها فزعـة وتمسك به صائحة: «كلا.. كلا!» فيحاول ان يدفعها عنه صارخا : «اليك عنى يا اماه .. لاتمنعينى .. ساقتله !» لكنها

تمضى فى صياحها جزعة : «جيرالد !.. جيرالد !!» واذ يتخلص من قبضتها ويهم بالانقضاض على اللورد لينفذ وعيده ، تصرخ فى وجهه يائسة : «قف ! جيرالد ! .. قف ! .. انه أبوك !!!»

وتنقض الكلمة على الفتى كالصاعقة ، فيمسك بيدى أمه فى عصبية ويحدق فى وجهها ، فتتهاوى فى بطء على الارض منسحقة تحت وطأة عارها !.. بينما تتسلل هستر فى سكون نحو الباب .. ويقطب اللورد وجهه ويعض شفتيه .. وبعد لحظات يعين جيرالد أمه على النهوض ويحيط خصرها بذراعه ثم يقوده‍ا صامتا الى الخارج ..!

الفصل الرابع

◆ فاذا كان الفصل الاخير فنحن فى صباح اليوم التالى ، فى حجرة الاستقبال بمنزل مسز أربثنوت ، وفى المؤخرة نافذة تطل على الحديقة .. وقد جلس جيرالد الى منضدة فى ركن الحجرة يكتب .. تدخل خادمة تعلن قدوم ليدى هنستانتون ومسز الونبى ، فيستقبلهما الشاب مرحبا .. ويدور حديث نفهم منه أن المرأتين قد جاءتا تستفسران عن صحة أمه ، التى انصرفت فى المساء على غير انتظار على أثر المشهد السابق ، متعللة بتعب مفاجىء !

وتجيل مسز الونبى بصرها فى الحجرة فتلاحظ أنها «نموذج للبيت الهادىء السعيد !» وتوافقها زميلتها قائلة : «هذا بالضبط ما يحسه الزائر هنا .. ان اكثر النساء لا يزين صالوناتهن فى هذه الايام الا بالازهار الصناعية ، والرجال الاجانب ، والقصص الفرنسية !.. أما هنا فكأننا فى محراب قديسة : أزهار طبيعية نضرة ، وكتب لا تصدم المشاعر ، وصور يستطيع الانسان ان ينظر اليها دون أن يحمر وجهه خجلا !..

ثم يتشعب الحديث فتسأل المرأتان جيرالد عن موعد سفره الى الهند فى صحبة اللورد النجورث .. واذ يفاجئهما الفتى بنبأ عدوله عن قبول المنصب المعروض عليه ، بحجة عدم صلاحيته له ، تبدى كلاهما دهشتها وانكارها ، وتراجعانه فى قراره :

هنستانتون : لكنك فى صحبة اللورد سوف ترى الدنيا ..!

جيرالد : لست اريد ان اراها .. لقد رأيت منها الكفاية !

هنستانتون : وهل توافقك امك على هذا القرار ؟ اغلب ظنى انها لن تقوى على المعارضة فى بقائك الى جوارها ، فاننا نحن

النساء ضعيفات ، نحكم قلوبنا اكثر من عقولنا . ولو كان أبوك حيا لما سمح لك بالتفريط فى هذه الفرصة الذهبية لمستقبلك !

◆ **وهنا تدخل الخادمة فتنبىء الضيفتين بأن سيدتها لن تستطيع استقبالهم بسبب صداع شديد ألم بها ، فتحملان جيرالد تحياتهما الى أمه ثم تنصرفان .. ويعود الفتى الى المنضدة فيقرأ ما كتبه ، ويحدث نفسه : «باى اسم أوقع الخطاب ؟ .. وأنا الذى لا اسم لى ؟» ثم يوقعه ممرور النفس ويضعه فى الظرف تمهيدا لارساله .. وفى هذه اللحظة تدخل أمه فيقول لها انه قد كتب الى ابيه يدعوه الى الحضور فى الساعة الرابعة بعد الظهر :**

الام : لن اسمح له بأن يطأ عتبة بيتى !

الابن : بل انه يجب ان يأتى . لقد كتبت اليه اقول ...

الام : ماذا عندك لتقول له ؟

الابن : كتبت اطالبه بأن يتزوجك فورا !

الام : اجننت ؟

الابن : أماه ، سوف اجبره على ان يصلح الخطأ الذى اقترفه . لابد من التكفير ! قد تكون العدالة بطيئة يا اماه ، لكنها تأخذ مجراها فى النهاية ، ولن تمضى ايام حتى تصبحين زوجة اللورد النجورث الشرعية ! انه لن يجرؤ على الرفض ..!

الام : لكنى انا التى ارفض .. لن اتزوج اللورد النجورث !

الابن : ولكن ، الا تفهمين انى اريد ذلك من اجلك انت يا امى ؟ انه بذلك يعوضك ولو تعويضا ضئيلا عما أصابك !

الام (منفجرة) : تتحدث عن التعويض ؟ ما من شىء يمكن ان يعوضنى عما اصابنى او يكفر عن اساءته !.. انى قد جللت بالعار ، اما هو فلم يصبه من العار شىء . هذا اهم ما فى الامر! انها القصة المألوفة للرجل والمرأة كما تحدث دائما : المرأة تقاسى امر العذاب ، والرجل ينجو من كل عقاب !..

الابن : لكن القصة لن تنتهى هكذا هذه المرة . لابد من التكفير!

الام : انى ارفض الزواج من اللورد النجورث !

الابن : حتى لو جاءك بنفسه يسألك ان تكونى زوجته ؟ لاتنسى انه أبى !

الام : لو جاءنى يطلب يدى ، وهو لن يفعل ، فسيكون جوابى

نفس الجواب ... لا تنس انى امك !

الابن : اماه ، انك تزيدين موقفى حرجا . هذا الزواج يجب ان يتم ، كيما ينزع المرارة من حياتك ويزيل الوصمة التى تلقى ظلها على اسمك .. لامفر من ذلك ، وبعدئذ نستطيع ان نستقل بحياتنا انت وانا كما نحن الان . انه واجب انت مدينة به ، لا لنفسك فقط ، وانما لجميع النساء ، كى يكف المجرم عن الايقاع بضحايا اخريات !

الام : لست مدينة لغيرى من النساء بشىء ، فليست بينهن من اطمع فى ان اظفر بمحبتها ، بله شفقتها ـ اذا كان لى أن اقبل الشفقة من أحد ! ـ فالنساء قاسيات على بعضهن البعض .. او لم تر كيف عمدت الامريكية ، رغم طيبتها ، الى التسلل من الغرفة ليلة امس .. كما لو كنت وباء ملوثا يفر الاصحاء منه ؟ لكنها كانت على حق ، فانى امرأة ملوثة . وسوف اتحمل بمفردى عاقبة اخطائى حتى نهاية العمر !.. فما لغير الخاطئات ومالى ، أو مالى واياهن ؟ نحن لا نفهم احدانا الاخرى ..!

◆ **تبدو هستر مقبلة من الخلف ..**

الابن : اماه ، استحلفك ان تفعلى ما اطلبه منك !

الام : كيف تطالبنى بهذه التضحية ، بل المهزلة المنكرة ؟.. وكيف اجرؤ على ان أقف فى حضرة الله كى اعاهده على أن احب الرجل الذى أمقته فعلا ، او على ان اصون شرف من اهدر شرفى ، واطيع من جعل منى ـ بحكم سيطرته ـ امرأة خاطئة ؟ كلا .. ما الزواج الا رباط مقدس بين طرفين متحابين. انه لم يجعل لمثله او لمثلى !.. جيرالد ، انى من اجلك قد كذبت على الناس طيلة عشرين عاما ، كى احميك من سخريتهم .. لكنى ولا من اجل نفسى استطيع ان اكذب على الله ، فى حضرة الله ! .. وما من رباط دينى او دنيوى ، ايا كان ، سوف يربطنى مع جورج هارفورد ! .. ابدا ، ابدا .. انك لاتقدر كم تقاسيت بسببه ، وكم جاهدت

وكددت فى سبيل تنشئتك ، وانت المحروم من رعاية الاب ! ما من عمل يبدو وضيعا فى اعتبار المرأة التى تريد ان تنفق على من تحب ، ولكم احببتك !.. ليل نهار كنت اسهر على حمايتك من غائلة الموت ، المحروم من النسل ، الذى يريد دائما ان ينتزع اطفالنا منا !

ونحن نحسب فى البداية ان اطفالنا حين يكبرون ويبلغون مبلغ الرجال سوف يعوضوننا عن تعبنا خيرا ، وينصفوننا من الحياة . لكن الحياة لا تلبث ان تجذبهم بمباهجها وتبعد قلوبهم عنا ، فينقلبوا لنا ظالمين .. فهم حين يجدون الحياة مريرة يلوموننا على مرارتها ، وحين يجدونها حلوة لا يشركوننا فى تذوق حلاوتها ! .. فانك حين كبرت صار لك اصدقاء تذهب الى بيوتهم وتقضى اوقاتا بهيجة معهم .. اما انا ، فقد انطويت على عارى ، فلم اجرؤ على ان اتبعك . بقيت فى بيتى واغلقت على نفسى الباب . حجبت عنى الشمس وقبعت فى الظلام !.. فماذا كنت لافعل فى بيوت الشرفاء ؟ كان ماضى دائما يلازمنى !.. ولقد حسبت انت اننى لم اكن اعبأ بمباهج الحياة ، لكنى اصارحك بأنى طالما اشتقت اليها ، وان لم اجرؤ على ان المسها ! كنت اشعر بانى لا املك هذا الحق ! ولعلك قد توهمت انى كنت اجد سعادة اعظم فى حدبى على الفقراء ، وان تلك كانت رسالتى .. كلا يا ابنى ، فأين غير هناك كان يمكننى ان اذهب ؟ ان المريض لا يسأل اذا كانت اليد التى تسوى وسادته يد طاهرة ام غير طاهرة .. ولا المحتضر يعبأ بما اذا كانت الشفاه التى تلثم جبينه قد ذاقت قبلة الدنس ام لم تذقها !.. وانت قد لاحظت كما لاحظ سواك انى اسرف فى ارتياد بيت الله والقيام بواجبات الدين .. ولكن أين تراني كنت لاتجه ، والى أى ملاذ كنت الجأ؟ ان بيت الله هو البيت الوحيد الذى يفتح للخطاة ابوابه ، على مصراعيها ، ويرحب بهم !

جيرالد : اماه ، كفى !.. لم اكن اعلم انك قاسيت كل هذا ، من

اجلى !.. وانى لمن أجل ذلك بالاحرى اناشدك ان تترفقى بنفسك وتخلدى الى مستقبل اكثر دعة وراحة .. أماه ، يجب ان تتزوجيه ، انه واجبك !

هستر (تقبل مندفعة من مكمنها فى اقصى الحجرة كى تعانق مسز اربثنوت وهى تشرق بدمعها) : كلا ، كلا .. انك لن تفعلى. انه يكون عارك الحقيقى ، العار الاول الذى يلحق بك!.. بل انبذيه وتعالى معى . هناك بلاد اخرى غير انجلترا ، بلاد وراء البحار ، افضل ، واحكم ، واقل ظلما .. ان العالم جد فسيح وكبير ...

الام : ليس بالنسبة لى ، وانما هو لمثلى فى ضيق راحة اليد !.. واينما سرت سوف تنبت فى طريقى الاشواك !

هستر : لن يحدث شىء من ذلك ، بل اننا سنجد ـ فى مكان ما ـ الوديان الخضراء والمياه العذبة ! دعينى آخذك اليها .. واذا قدر لنا ان نبكى فسوف نبكى سويا .. او لم نحببه سويا ؟

جيرالد : هستر !

هستر (تذوده عنها) : ابق حيث انت .. انك لن تستطيع ان تحبنى الا اذا احببتها هى ايضا ، ولن تكرمنى مالم تكن هى عندك الاكرم !.. فيها تستشهد الامومة كلها ونحن جميعا مهانون فى شخصها ..

جيرالد : وماذا تريديننى ان افعل ؟

هستر : اسأل قلبك ، ولا تسألنى .. فما كانت لى ام كى انقذها او اخزيها !

الام : انه قاسى القلب .. دعينى اذهب فانزوى بعيدا !

جيرالد (يخف الى امه فيركع امامها) : اماه ، اغفرى لى .. انا الملوم !

الام : لا تلثم يدى ، انهما باردتان .. قلبى ذاته بارد ، شىء قد حطمه !

هستر : آه ، لا تقولى ذلك . ان القلوب تحيا بالجراح ، فالهناء

يحول القلب الى حجر والثراء يقسيه !.. ان الحزن لا يستطيع أن يحطم قلبك ، ثم .. اى حزن بك الآن ؟ انك الساعة اغلى عنده مما كنت يوما .. الا رفقا به !

جيرالد (نادما) : لأنت ابى وامى فى وقت معا ! لست بحاجة الى والد آخر ! لقد طلبت منك ما طلبت لاجلك وحدك .. اواه ، قولى شيئا يا اماه !.. رباه ، هل وجدت حبا لافقد الآخر ؟ اماه ، انك لقاسية ! **(ينهض الى حيث يلقى بنفسه على كنبة وينشج باكيا)**

الام (الى هستر) : احقا انه قد وجد حبا آخر ؟

هستر : تعلمين انى احببته على الدوام ...

الام : لكننا فقراء للغاية !

هستر : من يكون فقيرا وهو محبوب ؟ انى امقت ثرائى! انه عبء ثقيل ، فليشاركنى اياه ...

الام : لكننا موصومون بالعار ، منبوذون .. وجيرالد لا يملك اسما !.. ان خطايا الآباء ينبغى أن يعاقب عليها الابناء .. انها شريعة الله !

هستر : كنت على ضلال .. شريعة الله ليست سوى الحب !

الام (تنهض فتأخذ هستر من يدها متلصصة الى حيث اتكفأ جيرالد على الكنبة يبكى . تلمسه فى رفق ، فيرفع اليها بصره): ابنى جيرالد ، انى لن استطيع ان أمنحك أبا .. لكنى جئتك بزوجة !

جيرالد : اماه ، انى لست جديرا بها ولا بك .. !

الام : انها تأتى فى المقدمة ، اذن فأنت جدير بكلينا !.. جيرالد، عندما ترحل الى بعيد .. فكر فى من حين الى حين . لا تنسنى وعندما تصلى فلتذكرنى فى صلاتك .. اننا نصلى حين نكون سعداء ، ولسوف تسعد يا ابنى .

هستر : ماذا أسمع ؟ انك لن تفكرى فى أن تفارقينا ؟

جيرالد : أماه ، انك لن تتركينا ؟.

الام : قد أجلب عليكما العار .. !

جيرالد : أماه !
الأم : حسنا ، فلأصحبكما فى البداية •• واذا أردتما عشت بعد ذلك فى دار قريبة من داركما ••
هستر : والآن تعالى معنا الى الحديقة ••
الأم : فيما بعد •• فيما بعد ••

◆ ويخرجان ، فتتجه مسز آربثنوت الى مرآة فى ركن الحجرة فتتطلع الى صورتها فيها .. ثم تدخل الخادمة حاملة بطاقة زائر ، فلا تقرأها سيدتها حتى تجيبها : « اخبريه انى لن استقبله ! » .. لكن اللورد النجورث يدخل فى أثر الخادمة قبل أن يؤذن له ، فتراه ربة البيت فى المرآة ، وتجفل ، لكنها لاتستدير اليه .. وانما تخاطبه عبر المرآة : «ماذا عندك لى اليوم ياجورج هارفورد ؟ فلتغادر هذا البيت فوراً !» .. لكنه يعدها بأن جيرالد ، وقد عرف الحقيقة كلها ، سوف يجد فيه منذ الآن أكرم أب !.. فتعود الى الالحاح عليه فى الخروج قبل أن يراه جيرالد ، فقد لاتستطيع حمايته منه كما حمته بالامس !..

اللورد (وهو يجلس ، غير مبال) : انها تلك الامريكية الحمقاء التى أفسدت الامر كله ليلة أمس ، لا لشىء سوى انى اردت تقبيلها !•• أى ضرر فى القبلة ؟
الأم (وهى تستدير فتواجهه) : قد تدمر القبلة حيـــاة امرأة يا جورج هارفورد !
اللورد : لم أجىء لاناقش هذه المســـألة ، وانما الذى جئت لاناقشه : مصير ابننا ! انى جد معجب به فى الواقع ، وقد يدهشك أن أعترف بأن مسلكه فى الدفاع عن تلك الدمية البلهاء ليلة أمس قد راقنى الى أبعد حد . انه نموذج للابن الذى طالما تمنيته لنفسى !•• وما أريد أن أقترحه هو ••
الأم : لا يهمنى ان اسمع منك اقتراحا ما يالورد النجورث !
اللورد (مستطردا) : انى طبقا لقانوننا الانجليزى السخيف عاجز عن الاقرار بنسب جيرالد الشرعى الى • لكن فى وسعى أن أورثه املاكى .. واقترح ان ...
الأم : قلت لك أن ذلك أمر لا يهمنى •• فلتذهب !
اللورد : سوف يبقى الفتى معك ستة أشهر من السنة ، ومعى أنا بقية السنة •• ولك أن تطلبى المال الذى تريدين ، ولا تخشى

حرمان جيرالد من الارث ، فما انا بحاجة الى ان أؤكد لك انى لست افكر البتة فى الزواج !

الام : لقد جئت متأخرا . لم يعد ابنى بحاجة اليك !

اللورد: ماذا تعنين يا راشيل؟

الام : فلتطل من النافذة على الحديقة (**ينهض فيتجه الى حيث تشير ، ولا يلبث ان يجفل مأخوذا !**) خير لك ان لا تدع بصرهما يقع عليك ، فان مرآك يثير ذكريات غير سارة !.. انها تحبه، كلاهما يحب صاحبه .. وقد بتنا فى مأمن منك ، وسوف نذهب بعيدا ..!

فلتطل من النافذة ...

اللورد : الى أين ؟

الام : لن نخبرك ، واذا عثرت يوما علينا فلن نعرفك ! تبدوعليك الدهشة ؟ وماذا غير ذلك تتوقع من الفتاة التى حاولت أن تدنس ليلة أمس شفتيها ، والفتى الذى جللت حياته بالخزى ، والام التى تستمد عارها منك ؟

اللورد : لقد غدوت قاسية يا راشيل !

الام : كنت ضعيفة يوما ، لكننى لحسن الحظ تغيرت ..!

اللورد : انى كنت يومئذ حدثا .. نحن الرجال نعرف الحياة مبكرين .

الام : ونحن النساء نعرفها متأخرات !

اللورد : راشيل ، أريد ابنى .. انه قد لا يكون الآن فى حاجة الى مالى ، أو الى شخصى ، لكننى أريد ابنى .. اجمعى بيننا يا راشيل . انك تستطيعين لو أردت .

الام : ليس فى حياة ابنى مكان لك . انك لا تهمه فى شىء !

اللورد : اذن فلماذا يكتب الى ؟
الام : ماذا تعنى ؟

.. فلقد لمح اللورد على المنضدة خطاب جيرالد الذى كتبه اليه ، فتناوله.. وعبثا تحاول المرأة أن تسترده منه قبل أن يقراه ، بحجة أن كاتبه قد ندم على ما جاء فيه بعد كتابته .. فان اللورد يمضى فى قراءته حتى يتمه :

اللورد : لست أقر جيرالد على ما يذهب اليـه من أن واجبى يقتضينى الزواج منك • لكنى فى سـبيل استرداد ابنى أبدى استعدادى لان أتزوجك يا راشيل ، وأعدك بأن تلقى منى على الدوام كل ما يليق بزوجتى من رعاية واحترام • انى منذ الآن رهن اشارتك •••
الام : لكنى أرفض الزواج منك يا لورد النجورث !
اللورد : أجادة أنت ؟
الام : كل الجد ••!
اللورد : هل لك أن تتفضلى على بذكر الاسباب؟ لا بد أنها شائقة!
الام : لقد أوضحتها لابنى ••!
اللورد : أحسبها أسبابا عاطفية محضة ، فأنتن معشر النساء تعشن بعواطفكن ومن أجلها • ليس لكن أدنى نصيب من فلسفة الحياة ••!
الام : أنت على حق ، فنحن نعيش بعواطفنا ومن أجلها • وان قلبى لينطوى على عاطفتين يا لورد النجورث : حبى لابنى وبغضى لك !•• ولن تستطيع أن تقتلع منه عاطفة منهما ، فان كلاهما تقتات من الاخرى !
اللورد : اذن فأنت ترفضين الزواج منى حقا ؟
الام : نعم •
اللورد : لانك تبغضيننى !
الام : نعم •
اللورد : وهل يبغضنى ابنى كما تبغضيننى ؟
الام : كلا •
اللورد : لكم يسرنى ذلك يا راشيل ••

الام : إنه يحتقرك فقط !!

◆ يجفل اللورد قليلا ، ثم يتمالك نفسه فينهض ويتجه متئدا نحو المنضدة التى ترك عليها قبعته وقفازيه .. وفيما هو يلبسهما يلتفت الى محدثته :

اللورد : أحسب أنه لم يبق لى ما أفعله هنا . أهو الوداع اذن ؟

الام : والى الابد هذه المرة فيما أرجو ، يا لورد النجورث !

اللورد : عجبا ! .. انك فى هذه اللحظة تبدين فى نفس مظهرك الذى بدوت فيه ليلة هجرتنى منذ عشرين عاما : نفس تعبير الفم ! أقسم بشرفى يا راشيل أن ما من امرأة أحبتنى يوما مثلما أحببتنى .. ولقد وهبتنى نفسك كالزهرة ، أفعل بها ما أشاء ! (**ينظر فى ساعته**) لقد حان موعد ذهابى الى دار ليدى هنستانتون . أعتقد أنى لن أراك هناك بعد الآن . انه أمر يؤسفنى حقا ، فلكم كان طريفا أن يعثر المرء بين أفراد طبقته الذين يحترمهم على .. خليلته !

◆ تختطف مسز اربثنوت «فردة» من قفاز محدثها وتلطمه بها على وجهه ، فيجفل منتفضا من الاهانة .. لكنه يعود فيتمالك نفسه ويتجه الى النافذة كى يلقى منها نظرة اخيرة على ابنه !.. ثم يتنهد ويغادر الغرفة .. بينما تتهالك المرأة على الكنبة وتنخرط فى البكاء !.. وبعد لحظات تسمع خطوات جيرالد وهستر تقترب ، فتجفف الام دمعها وتنهض :

جيرالد : انك لم تلحقى بنا فى الحديقة كما وعدت يا أماه ، فجئنا لنأخذك .. ماذا ، أكنت تبكين ؟ (**ينحنى راكعا بجانبها**) .

الام : ابنى ! ابنى ! ابنى ! (**تعبث بشعره بأصابعها**)

هستر : لكن لك الآن اثنين .. أفلن تجعلينى بمثابة ابنتك ؟

الام : هل تختارينني لك أما ؟

هستر : نعم ، بين جميع من عرفت من النساء !

◆ ويتجه ثلاثتهم متخاصرين نحو الباب المفضى الى الحديقة .. لكن جيرالد يلمح قفاز اللورد النجورث ملقى على الارض ، فيلتقطه متسائلا :

جيرالد : أماه ، قفاز من هذا ؟ من كان يزورك ؟

الام (تستدير اليه) : أوه ، لا أحد .. لا أحد ذو صفة .. رجل .. لا وزن له !

(ســـتار)

كتب الأولون

كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب أعتزم أن «أستخرج» لك بعون الله تراث الانسانية الخالد من الكنوز الذهنية القديمة التى لعلك طالما سمعت عنها أو قرأت اشارة اليها دون أن تتاح لك فرصة قراءتها أو الالمام بخلاصة وافية لها .. فتعال نقرأ معا ، فى هذا العدد والاعداد التالية : ديكاميرون (لبوكاشيو) ، الكوميديا الالهية (لدانتى) ، الالياذة والاوديسة (لهوميروس) ، العقد الاجتماعى و « اميل » (لجان جاك روسو) ، الامير (لمكيافللى) ، أصل الانواع (لداروين) ، السياسة (لارسطو) ، الجمهورية (لافلاطون) ، يوتوبيا أو الدولة المثالية (لتوماس مور) ، الفردوس المفقود (لملتون) ، التاريخ (لهيرودوت) ، دون كيشوت (لسرفانتس) ، رأس المال (لكارل ماركس) انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية (لجيبون) ، هكذا تكلم زرادشت (لنيتشة) ، الشخصيات (لبلوتارك) ، الاخلاق (لسنيكا) ، التربية (لهربرت سبنسر) ، كتاب الموتى (من تراث مصر القديمة) ، رباعيات عمر الخيام .. ولن أغفل تراث العرب الخالد ومنه : رسالة الغفران لابى العلاء المعرى ، الحيوان والبخلاء للجاحظ ، رسالة حى بن يقظان لابن طفيل ، طوق الحمامة لابن حزم الاندلسى ، تزيين الاسواق لداود بن عمر الانطاكى ، الصادح والباغم لابن الهبارية على طريقة كليلة ودمنة) .. الخ .

Tales From The
DECAMERON
By
Giovanni
BOCCACCIO
"ديكاميرون"
(ألف ليلة وليلة الإيطالية)
لزعيم كتاب عصر النهضة
چيوڤانى بوكاشيو

من أقاصيص « ديكاميرون » :

كيد النساء

كان يعيش فى باريس تاجر فلورنسى الاصل ، هاجر من موطنه بايطاليا فقيرا معدما ، ثم اشتغل بالتجارة فى العاصمة الفرنسية حتى أثرى .. وكان له ابن وحيد يدعى « لودوفيكو » لم يشأ له أن يشب صبيا في حانوت تجارته ، بل أرسله مع عدد من أنداده أبناء النبلاء كي يخدم فى بلاط ملك فرنسا .. وهناك لقن الفتى من آداب اللياقة وتقاليد القصور ما أهله لان يغدو « جنتلمانا » مهذبا ..

وذات يوم جمعه مجلس مع عدد من الفرسان العائدين من زيارة المدينة المقدسة « الفاتيكان »، فراحوا يتبارون فى التحدث عن أجمل ماشاهدوه فى البلاد التى زاروها ، ومن بينها انجلترا وفرنسا وايطاليا وغيرها .. **فقال أحدهم انه لم ير فى شتى أنحاء الارض ، وبين جميع النساء اللواتى وقع عليهن بصره ، امرأة أجمل من « بياتريس » زوجة الثرى « ايجانو دى جالوزى » الذى يقطن مدينة « بولونا »** !.. وأمن بقية الرفاق ، الذين كانوا مع الراوى حين رآها ، على رأيه هذا .. بل وراحوا يطنبون فى وصف جمال تلك المرأة ، حتى أحس الفتى « لودوفيكو » بشوق جارف الى أن يراها هو الآخر ، بحيث بات عاجزا عن التفكير فى أمر آخر طيلة الايام التالية ، اذ لم يكن قد ذاق الحب من قبل !

.. وانتهى به سهاده الطويل الى اعتزام السفر الى ايطاليا بحجة زيارة المدينة المقدسة ، على أن يعرج فى طريقه على البلدة التى تقيم فيها « بياتريس » كى يمتع منها بصره ، وما استطاع

من حواسه الاخرى ٠٠ ويبقى بالقرب منهـــــا ما طابت له الاقامة ٠٠!

وحين فاتح أباه برغبته فى الحج الى الفاتيكان ، رحب الاب بالفكرة ، فشد لودوفيكو رحاله الى حيث أراد ٠٠ **وفي اليوم التالى لوصوله الى « بولونا » تحققت أمنيته المشتهاة ، فقـــد رأى المرأة مطلة من نافذتها ، فأذهله جمالها الذى فاق كل ما طاف بخياله !٠٠ واعتزم أن يبذل أقصى جهده كى يتصل بها ويطارحها الهوى ، لعله يروق فى عينيها ٠٠!**

وهداه تفكيره الى حيلة تقربه من هدفه ، فبـــاع جياده وتخلص من خدمه الذين جاءوا من باريس فى ركابه ٠٠ ثم وسط صاحب الحانة التى كان قد نزل فيها كى يلحقه بخدمة السيد « ايجانو » ، الذى علم أنه يرحب بالخدم ذوى الطلعة الحسنة والمظهر المحترم ٠

وتم للشاب ما أراد ، فأتيح له أن يرى فاتنته صباح مساء٠٠ وحرص من جانبه على أن يؤدى عمله بهمة ونشاط زائدين ، حتى ظفر بثقة سيده فجعله وكيله المتصرف فى كل أعماله ، ولم يعد ينجز أمرا بغير مشورته !

وذات يوم حانت فرصة لودوفيكو المبتغاة ، حين خـــرج سيده للصيد فدعته سيدته كى يشـــاركها لعبة الشطرنج ، بقصد التسلية وقتل الوقت ، بغير أن تكون لدى المرأة أدنى فكرة عن العاطفة المضطرمة فى قلب الشاب نحوها ٠٠!

وتعمد لودوفيكو أن يجعل سيدته تربح فى البـــداية ، فاغتبطت وطربت لذلك ٠٠ وفى نهاية أحد أشواط اللعب أطلق الشاب من صدره تنهدة عميقة تلفت النظر ، فسألته بياتريس عما اذا كانت لتنهده صلة بخسارته فى اللعب؟٠٠ فأجابها بأن الامر أخطر من ذلك ، ولم يزد !٠٠ **وأثارت لهجته الغامضـــة المقتضبة فضولها النسائى ، فاستحلفته أن يصارحها بما يضايقه ،**

وألحت عليه فى هذا الصدد ، واعدة اياه بأن تصون سره فلا تبوح به لمخلوق !٠٠

واذ اطمأن الشاب الى هـذا الوعد ، باح لها ـ والدموع فى عينيه ـ بهواه المشبوب وقصته الكاملة ، منذ اليوم الذى سمع فيه حديث الفرسان عن جمالها ٠٠ وكيف أنه جاء من باريس خصيصا ليراها ، فلما وقع بصره عليها فى النافذة أحبها لفوره وراح يسعى حتى التحق بخدمة زوجها ٠٠٠ الخ ـ ثم ختم اعترافه مناشدا المرأة أن تترفق بحاله فتتقبل حبه المكظوم هدية منه وقربانا لحسنها الباهر ٠٠ أو فلتنس مكاشفته هذه لها وتتركه يتملى من جمالها عن بعد ، فى صمت ، كما كان٠٠ اذا رأت فى الاستجابة لهواه فضلا ومنة هما أعظم من أن يستحقهما مثلـه !

لم تحول المرأة بصرها عن الشـاب وهو يتكلم ، حتى اذا ما أفرغ قلبه فى أذنيهـا تنهدت بدورها تنهدتين أو ثلاثا ثم قالت له : «لودوفيكو ، فلتقر عينا ، فانك قد ظفرت فى هذه الدقائق المعدودة التى كاشفتنى فيهـا بهواك ، بما عجز عنه جميع السادة الذين يمطروننى بهداياهم وغزلهم كل يوم !٠٠ ولتثق بأننى منذ الآن لك ، أكثر مما أنا لنفسى ، فلقد استحققت حبى وسوف تناله !٠٠ وانى أعدك بأن هـذه الليلة لن تنقضى حتى يكون حلمك قد تحقق ، فتعال الى مخدعى عند منتصف الليل وسوف أترك لك الباب مواربا ٠٠ وأنت تعرف الجانب الذى أشغله أنا من الفراش والجانب الذى يشغله زوجى ٠٠ فلتتسلل فى حذر الى مكانى ، واذا وجدتنى مستغرقة فى النعاس فما عليك الا أن تلمسنى فى رفق ، فأفيق وأكافئك على انتظارك الطويل ٠ وتوكيدا لعهدى دعنى أعطيك الآن قبلة ، من قبيل

« العربون ! » ٠ ٠ ثم عانقته عناقا حارا وافترقا ، على أن يلتقيا في الموعد المضروب !

وبعد حين عاد الزوج « ايجانو » من الصيد متعبا منهوكا ، فتناول عشاءه على عجل ودلف الى مخدعه ، وفى أثره زوجته بعد أن تركت الباب مواربا كما وعدت ! ٠ ٠ **وفى الموعد المتفق عليه مضى لودوفيكو متلصصا الى داخـــل الحجرة ، حتى بلغ الجانب الذى تشغله « بياتريس » من الفراش فمد يده فى رفق الى صدرها ٠ ٠ وكانت مستيقظة ، فتشبثت بيده بكلا راحتيها ، بكل قوتها ، وتقلبت فى فراشها بحركة تعمدت منها أن توقظ زوجها ! ٠ ٠** فلما تنبه من نومه ابتدرته هامسة : « يا حبيبى ، لم أشأ ازعاجك فى المساء بما عنـــدى لانى لمحت على محياك علامات التعب والاعياء ٠ ٠ فدعنى أســألك الآن : « أى خادم عندك تفضله وتثق فى اخلاصه لك أكثر من سواه ؟ » فأجاب الزوج : « يا له من سؤال غريب ! ٠ ٠ أنت تعلمين أننى لم أعجب يوما بخادم وأوليه ثقتى مثلمـــا أفعل الآن مع لودوفيكو ٠ ٠ ولكن ما الذى يدعوك الى سؤالى ؟ »

٠ ٠ فى هذه الاثناء كان الشاب يسمع ما يدور بين الزوجين ، فدار بخلده أن سيدته قد خانته واعتزمت أن تشى به عنـــد سيده ٠ ٠ فحاول أن يخلص يده من قبضتها كى يلوذ بالفرار ، لكنه لم يستطع ! ٠ ٠ وسمع المرأة تجيب زوجها : « وأنا كنت مثلك أولى لودوفيكو ثقتى التامة وأعجب باخلاصه ٠ ٠ لكنى تبينت خطئى ، فلقد انتهز الماكر فرصة خروجك أمس للصيد فراودنى عن نفسى ! ٠ ٠ ولكى أثبت الامر تظاهرت له بالقبول ، وواعدته على اللقاء تحت شجرة الصنوبر التى فى الحديقة ، كى أعد له كمينا ! فاذا أردت أن تستوثق من غدره فما عليك الا أن ترتدى الآن معطفى وتضع على وجهك نقـــابى ثم تمضى

متنكرا فى هيئتى الى حيث تلقاه ! »

نهض الزوج من فوره فنفذ الفكرة بقدر ما أسعفه الظلام ، وتسلل الى الحديقة ليكمن فى انتظار الخائن !٠٠ فى الوقت الذى فيه كان هذا يخرج من مخبأه ، وقد اطمأنت مخاوفه ، كى ينعم مع عشيقته بثمرة هذه الخدعة المحكمة !٠٠ وحين رأت المرأة أن الوقت المناسب لانصرافه قد حان ، قالت له : « والآن أريدك أن تأخذ هراوة وتمضى الى لقاء زوجى فى الحديقة ، ثم تلقى عليه - باعتباره اياى - درسا قاسيا بالعصا ، متظاهرا « لى » بأنك قد ضربت لى هـذا الموعد كى تختبر مدى عفتى واخلاصى لزوجى !! »

مضى الشاب كما أوصته المرأة ، فلم يكد الزوج يلمحـه يقترب حتى خف للقائه متظاهرا باللهفة ٠٠ واذ ذاك ابتدره لودوفيكو موبخا : « أهذه أنت أيتها المرأة الآثمة ؟ أو حسبت أنى أقدم حقا على خيانة سيدى على هذا النحو ؟ سوف أجعلك تكفرين عن ضعتك ونذالتك !» ٠٠ ثم رفع عصاه فأهوى بها على جسم « الزوج » ، الذى لم يكد يحس لسعة الهراوة على لحمـه حتى أطلق ساقيه للريح عائدا من حيث أتى ، دون أن ينطـق بكلمة تنم عن حقيقـة شخصيته٠٠ بينما انطلق الشاب فى أثره صائحا : « سحقا لك

أيتها المرأة الخائنـة ٠٠ ولتثقى انى سأفضح فعلتـك لسيدى بمجرد أن يشرق الصباح ! »

٠٠ وأخيرا بلغ الزوج مخدعه لاهث الانفاس ، يئن من ألم الضربة التى أصابته من هراوة غريمه ، فاستقبلته زوجتـه متسائلة : « هل لقيت لودوفيكو ؟ » ٠٠ فأجابها ساخطا : « ليتنى ما لقيته ٠٠ لقد هرأ اللعين عظمى بهراوته وأشبعنى بأقذع السباب !٠٠ أتعلمين أنه لم يضرب لك هذا الموعد الا ليختبر اخلاصك لى ؟ » ٠٠ فقالت المرأة : « اذن فشكرا للسماء ، لقد امتحننى الرجل بالاقوال وامتحنك أنت بالافعال ! والآن بما أنه قد أثبت اخلاصه لك على هذه الصورة ، أفلا تنوى أن تكافئه ؟٠٠ فأجاب ايجانو : « بكل تأكيد » ٠٠!

ومنذ تلك الليلة صار ايجانو يتباهى مزهوا فى كل مناسبة بأنه رجل محظوظ ، قد اجتمعت له نعمتان يحسد عليهمـا أى انسان : زوجة هى أعف نساء الارض جميعا ٠٠ وخادم لا يوجد من يفوقه اخلاصا ووفاء ! »

٠٠ فى الوقت الذى كان فيه العاشقان يضحكان فى كميهما من غفلة الزوج ، ويشربان نخب بلاهته ٠٠ وقد اتسعت لهما منذ تلك الساعة فرصة اللقاء الآمن ، كل حين ، طيلة الفترة التى راق للشاب أن يقضيها فى خدمة السيد السند « ايجانو » ، عين أعيان مدينة بولونا !

❖

عزيزى القارىء :

والآن ، وقد قرأت هذه القصة الطريفة ، لعلك مشوق الى أن تعرف شيئا عن مؤلفها .. انه يدعى ((جيوفانى بوكاشيو)) ، عاش فى القرن الرابع عشر (١٣١٣ ـ ١٣٧٥) وقد أطلقوا عليه ((جيوفانى المرح)) لانـه كان قديرا على مواجهة المصائب بوجه بشوش ، بل كان من نعم الله عليه أن وهبه المقـدرة النادرة على اشاعة المرح فى نفوس الاخرين ايضا !.. واذ وجد نفسه فى مجتمع

يحفل بالنساء المتضايقات من سأم الحياة ، عكف على تسليتهن وتبديد ضجرهن .. ولاحظ من تجاربه أن لاشىء فى الدنيا يبدد الضجر مثل قصة حب! وان متعة المرأة الكبرى أن تلعب بالنار ، نار العاطفة ، سواء بنفسها أو طريق غيرها من بنات جنسها .. فهى اذا خشيت ان تحترق اصابعها من اللعب بالنار استعاضت عنه بمطالعة قصص غيرها من النساء اللواتى لعبن بالنار !.. وقد لاحظ بوكاشيو ان هذا الحب «بالنيابة» يكاد يمنح المرأة نفس المتع المثيرة التى يمنحها اياها الحب الفعلى ، دون أن ينطوى على اخطاره ! فهو اذن يحميها من الانقياد لنزواتها ، أو على حد تعبيره : « ان ماتفعله النساء المغامرات يحلو لاخواتهن الاقل منهن جراة ان يتخيلن انفسهن يفعلنه .. !»

وهكذا ، بفضل محاولة بوكاشيو تغذية خيال النساء «الاقل جرأة» صار خالق القصة الحديثة ..!

و«مخلوقات» بوكاشيو فى قصصه، سواءمن النساء اوالرجال، يتكلمون بلهجة طبيعية ، ويحيون حياة مليئة بالانفعالات و «الحرارة» ، بحيث نحس ونحن نقرأ مغامراتهم كاننا ما نزال نراهم ونسمعهم ونستمتع بصحبتهم ، رغم الاجيال التى تفصل عالمنا عن عالمهم ! .. وقد بلغ من توفيق بوكاشيو فى خلق «مرآة» صادقة للحياة ، بقصصه ، ان قال عنه أحد النقاد : «عندما خلق الله بوكاشيو، «ضاعف» الخليقة ! !»

يحذق الشعر .. والهوى

◆ وقد ولد بوكاشيو ، سنة ١٣١٣ ، ابنا « غير شرعى » لتاجر من تجار « فلورنسا » ، فى عصر كانت تغلب عليه مسحة الدين .. ثم تعلم فى كنف الكنيسة ، لكنه سرعان ما هجرها ليواجه خضم الحياة ، فترك المدارس فى سن العاشرة ليلتحق بمؤسسة رجل باريسى من أصحاب الاعمال . وبعد سنوات صار «مندوبا تجاريا» لابيه ، لكن الاب لم يكن يكف عن الشكوى من ابنه « الوغد الصغير الذى كان يشترى من الكتب اكثر مما يبيع من البضائع ! »

ولما كان الفتى أديبا بفطرته ، فانه سرعان ما اكتسب دراية بالادب تفوق ما كان لخريجى الجامعات فى أيامه !.. لكنه لم يزود نفسه بالادب وحده ، بل بالحياة ايضا .. فحذق فى وقت واحد نظم الشعر ومطارحة الهوى !.. كان شديد الولع بصحبة الكتب ، ولع[illegible] صحبة النسـاء !.. اما تجارته .. «فليتولاها ابى ، ففى عروقه يجرى [illegible] من الذهب .. اما انا فيجرى فى عروقى نهر من الدم الاحمر ! »

واذ خاب أمل أبيه فى أن يجعل منه تاجرا ، اعتزم ان يجعل منه محاميا ، فأرسله الى جامعة نابولى ، حيث بدأ جيوفانى يوطن نفسه ، فى جد ومثابرة، على كل شىء .. الا دراساته القانونية!

واستغل المرتب الذى يرسله اليه أبوه فى التزود بشتى ثمار المعرفـة «المحرمة» .. وفى الوقت الذى كان فيه مفكرو زمانـه «الجادون» ، بزعامـة «دانتى» ، يخوضون فى غوامض الالغاز الالهية ، كالجحيم والنعيم والمطهر .. كان بوكاشيو يركز فصوله فى محاولة الاهتداء الى لغز آلهى رابع كان فى نظره امتع الالغاز جميعا لانه أكثرها انسانية : هو لغز «الارض» ! .. وبينما وجه « دانتى » و « بترارك » ، أنظار العالم الى الحب « الروحى » لنساء مثل «بياتريس» و «لورا» ، ادار بوكاشيو عينيه ، وقلبه ، نحو الحب «الدنيوى» لنساء مثل « ماريا » الابنة غير الشرعية لروبرت ملك صقلية ، التى تورط بوكاشيو فى حبها ، وهو فى الثامنة والعشرين ، رغم انها كانت متزوجة ! وقد اطلق عليها اسم «فياميتا» أى (الشعلة الصغيرة) وسمح لنفسه فى استهتار بأن يستدفىء بنار حبها المسروق .. لكنه جازاها على ذلك بسخاء حين كتب رواية كاملة باسمها ، ثم خلدها كشخصية رئيسية من شخصيات كتابه الاعظم «ديكاميرون»

على نمط « ألف ليلة وليلة » !

◆ وحين كتب بوكاشيو « ديكاميرون » سنة ١٣٤٩ ، بعد عدة محاولات ادبية سابقة ، كان قد تعلم كيف يكتب بقلبه كما برأسه .. وابطال قصص الكتاب يفكرون بحرية ، ويتصرفون ايضا بحرية !.. ونظرتهم الى الحياة صريحة بقدر ماهى نزقة .. وهم لا يزعمون انهم يضطلعون «برسالة» لاصلاح مفاسد الارض ، وانما يكتفون باغماض اعينهم عن هذه المفاسد !.. فشعار حياتهم الوحيد : عش ليومك ودع غيرك يعش !.. وهم لا يذهبون فى الخير الى

حد تضحية المرء بنفسه من اجل الآخرين ، لكنهم لا يذهبون ايضا فى الشر الى حد التضحية بالاخرين من أجل أنفسهم !.. وبالاختصار فان فلسفتهم فى الحياة تصورها خير تصوير قصتهم الطريفة التالية :

قيل ان الحكيم الفيلسوف ديوجين التقى يوما بالاسكندر المقدونى ، فحاول اقناعه بسخف مطامعه من وراء حروبه وغزواته ، وسأله :

- ماذا تنوى أن تفعل بعد ان تغزو اليونان ؟
- سأغزو بلاد الفرس !
- وبعد ان تغزو بلاد الفرس ؟
- ساغزو مصر !
- وبعد أن تغزو مصر ؟
- ساغزو العالم !
- وبعد أن تغزو العالم ؟
- عندئذ استريح واستمتع بالحياة !

فكان جواب الحكيم الاخير عليه «لماذا اذن لا تستريح وتستمتع بالحياة من الآن ؟ »

وفى الوقت الذى كتب فيه بوكاشيو « ديكاميرون » كان العالم قد عاش قرونا ينوء تحت وطأة الشعور برهبة الخطيئة ويخشى عقابها .. كان الناس قد نسوا «اكسير» الضحك الناجع ، فجاء بوكاشيو وعلمهم كيف يضحكون!.. واكثر قصص الكتاب ليست من خلق بوكاشيو ، وانما هى مثل «الف ليلة وليلة» تراث عدة أجيال ، وكثير من العقول .. لكن بوكاشيو أخذ زبدة هذا التراث الفجة وهيكله الرئيسى ونفخ فيهما من خياله انفاس الحياة !

كيف وضع الكتاب ..

◆ فى سنة ١٣٤٨ تفشى فى مدينة فلورنسا بايطاليا طاعون مخيف ألجأ بوكاشيو الى الفرار من المدينة مع اكثر اهلها .. ولم يعد اليها الا بعد عامين، حين خفت حدة الوباء . وعندئذ عكف على كتابه هذا الخالد ، المحتوى على مائة قصة ، الف أكثرها بغرض تسلية محبوبته « فيامِتا » ومولاته ملكة نابولى .. وقد وضع الكتاب فى اطار فذ مبتكر : زعم أن أبطال الكتاب العشرة: وهم سبع نساء وثلاثة رجال ، يدعون : بامفيلو ، ديونيو ، نيفيل ، اميليا ، فيامتا ، فيلوستراتو ، بامبينيا ، فيلومينا ، اليزا ، لوريتا .. قد فروا من

فلورنسا حين اجتاحها الطاعون ، الى قصر يقع فى الريف البعيد الآمن ، حيث أقاموا نحو عشرة أيام يأكلون ويشربون ويغازلون .. وخلال تلك الايام دبروا أن يحتالوا على الضجر بان يقص كل منهم كل يوم قصة .. والقصة التى انتقيتها لك فى هذا العدد من «كتابى» - كيد النساء - ترويها «فيلومينا» فى اليوم السابع .. وهى وبقية قصص الكتاب تؤلف مهرجانا من الضحك ! .. حتى القصص الحزينة فى الكتاب لا تترك مرارة فى النفس، وكأن مؤلفها أراد أن يصور فيها الالم كى يجعل للفرح بالقياس اليه طعما .. ولئن قيل عن « فولتير » انه كان يضحك ليخفى دموع قلبه الباكى ، فان بوكاشيو كان يذرف الدمع من حين الى حين ، كى يستريح من الضحك !

ومنذ صدور كتاب «ديكاميرون» صار مصدر الوحى لكثير من ادباء الارض وفنانيها ، «ومنجما» للقصة لعله أغنى مناجمها منذ بدء الخليقة على الاطلاق ، وسفرا من أعظم أسفار العالم وكتبه فى جميع العصور ..!

يحاول التوبة .. فيفشل !

◆ وفى اخريات أيامه ، التزم بوكاشيو الجانب الآخر المضاد من الحياة ، الجانب الجاد .. فالقى سلسلة من المحاضرات عن « دانتى » ، وسافر فى عدة مهام دبلوماسية لدى دول مختلفة .. بل انه كاد يدخل «الدير» تكفيرا عن مجونه القديم ، لكنه لم ينفذ نيته ، وهكذا مات كما عاش .. خاطئا !.. وهو اليوم يحتل مكانة هامة فى موكب الخطاة الذين يحبون ويغفرون ، ويأملون أن يحبهم الناس ، ويغفرون لهم !

شجرة الحرية

قصص حياة أنبياء الوطنية في الشرق والغرب

عزيزى القارىء ...

.. أما فى هذا الباب فانا أريد أن تصحبنى فى جولة نتعرف فيها على قادة الشعوب وزعماء الحركات الوطنية فى شتى بلاد الارض ، كى نستمد من شعلة وطنيتهم نارا ومن قصص حياتهم وجهادهم قبسا من النور لعله ينير لنا السبيل الى ما ننشده لبلادنا من عزة ومجد .. ولن يخفى عليك أن نظرتنا أو نظرة غيرنا من الدول الى بعض هؤلاء القادة على أنهم أعداء لبلادنا أو بلاد غيرنا لا يغير شيئا من كونهم ، بالنسبة لاوطانهم ومواطنيهم ، وطنيين مخلصين!

فتعال معى نتعرف ، فى هذا العدد والاعداد القادمة ، على هؤلاء الافذاذ والابطال : ديفاليرا ، بارنل (ايرلندا) .. غاريبالدى ، كافور، مازينى ، دانونزيو، سفورزا (ايطاليا).. فنزيلوس (اليونان) .. بلسودسكى (بولونيا) أتاتورك (تركيا) فرانكو (اسبانيا) جان دارك ، ريشليو ، مازاران، كلمنصو ، بوانكاريه ميلليران ، ارستيد بريان ، فوش (فرنسا) جورج واشنطون (الولايات المتحدة) سيمون بوليفار (بوليفيا) ستامبوليسكى (بلغاريا) باتشيش (الصرب) اهرنتال (النمسا) تيسزا (المجر) غاندى ، نهرو (الهند) محمد على جناح (باكستان) شيانج كاى تشيك ، يوان شى كاى ، سن يات سن (الصين) .. دزرائيلى ، لويد جورج (انجلترا) فاندر فيلد (بلجيكا) كرانسين (روسيا) .. تيتو (تشيكوسلوفاكيا) .. الخ .

DE VALERA
By
SEAN
O'FAOLAIN
ديڤاليرا
زعيم إيرلندا الحرة
قصة حياته وكفاحه ضد الإنجليز!
للكاتب الإيرلندى "سين اوفولين"

نشـــأته

◆ **ولد** « ايمون ديفاليرا » يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٨٨٢ فى مدينة نيويورك ، من أب اسبانى مهاجر وأم ايرلندية مهاجرة . وكان هو الثمرة الوحيدة لزواج والديه الذى لم يعش غير عمر الزهور ، فقد مات أبوه بعد عام من مولده !.. وبعد نحو عامين انتقلت الام بطفلها اليتيم الى وطنها الاصلى « ايرلندا » حيث تكفل شقيق لها باعالتهما .. ثم لم تلبث أن تزوجت للمرة الثانية وأنجبت طفلين آخرين عاش أحدهما حتى غدا من كبار رجال الدين المصلحين ..

وقد ورث ديفاليرا من ملامح أمه الايرلندية الاصيلة ، انفها الطويل ، وأذنيها المدببتين ، وفمها المقوس ، بينما ورث من ملامح ابيه الاسبانية اتســـاع فمه ، وسمرة بشرته ، وعينيه العميقتين السوداوين ..

وعاش الصبى سنوات صباه الباكر فى مزرعة خاله بالريف ، على بعد سبعة أميال من أقرب بلدة بها مدرسة ، فكان يستقل اليها كل يوم قطار الصباح ثم يعود آخر النهار على قدميه ، كى لا ينتظر موعد القطار العائد بعد ثلاث ساعات !.. يعود ليلعب كرة القدم ، ويصطاد الطيور ، ويقضى وقتا كبيرا فى المطالعة ، متأثرا بخاله الذى كان على نصيب من العلم والثقافة أهله لان يخطب فى الاجتماعات السياسية ويبدى اهتماما بحركة حزب العمال الناهض ..

وأظهر ديفاليرا فى دراسته اجتهاداً وذكاء ، فحصل فى سن السادسة عشرة على الشهادة التى أهلته للالتحاق باحـــدى مدارس العاصمة « دبلن » ، وأثبت اتجاهـــه الدراسى ميله الفطرى للرياضيات وعلوم الطبيعة ، وسرعان ما عين « مدرسا » للفصول الصغيرة فى نفس المدرسة ، بينما واصل دراستـه للحصول على درجة جامعية ظفر بها سنة ١٩٠٤ .. ثم حصل على دبلوم التخصص فى العلوم الرياضية ، ودبلوم التربية ،

فعدة جوائز مالية للتفوق ، وتنقل فى مناصب التدريس من مدرسة داخلية ، الى معهد لتخريج المعلمات ، الى الجامعة ٠٠ وخلال تلك السنوات كانت تقارير رؤسائه تصفه بمثل هذه العبارات : « **مجتهد ، متوقد الذهن ، مثابر ، شغوف بالعلم والتحصيل ، محبوب للغاية سواء فى فصول الدراسة أو فى ميادين الالعاب الرياضية ، مواظب على أعماله ، دقيق فى مواعيده ، متألق فى مهنته ، أمين لعمله ، يعتبر نموذجا يحتذى فى التدين والرجولة وتقديس الواجب !** » ٠٠ وبفضل هذه الصفات اقترنت سنواته بين ١٩٠٠ ، ١٩١٠ بالنشاط الخارق والسعى الى عدة أهداف فى وقت واحد : كان يتولى التدريس فى « عدة » مدارس فى نفس الوقت الذى يواصل فيه دراساته فى مختلف أفرع العلوم ، من حساب الى هندسة الى فلك الى علم التحليل الطيفى الخ٠٠ وفى آخر العام يختار ممتحنا فى الحساب لطلبة المدارس الثانوية ، وممتحنا فى اللغة لطلبة الطب ، وممتحنا فى الطبيعيات لطلبة الجامعة ، ومدرسا للغة فى مدرسة أهلية ، وناظرا لمدرسة أخرى صيفية٠٠٠ **وفى احدى تلك المدارس التقى بمن تدعى « جانيت فلاناجان » فعقد زواجه عليها سنة ١٩١٠** ٠٠ وهنا ، وقد بلغ الثلاثين وتزوج ، بدا أن حياته قد بلغت مرحلة الاستقرار ٠٠ ولكن فى تلك الفترة ، بين عامى ١٩١١ و ١٩١٣ ، لاحت أعاصير السياسة فى الافق ٠٠ لكن للسياسة قصة أخرى :

الوعى القومى يستيقظ ٠٠

◆ فى الفترة السابقة من شباب ديفاليرا لم يكن يفكر فى السياسة من أهل ايرلندا غير قلة ضئيلة ٠ لكن هذه القلة « الثورية » كانت تعمل طيلة الوقت بصبر من يبثون الالغام ! وكانت تنقسم الى فريقين تخلفا عن ثورتى ١٨٤٨ و ١٨٦٧ وأحسن زعيم ايرلندا السابق « بارنل » استخدامهما فى أعمال العنف والنسف واقتحام السجون واغتيال أعداء البلاد ٠٠

ولم يلبث الفريقان أن اتحدا وأسسا حزب « السين فين » الذى تألف سنة ١٩٠٠ من اثنى عشر عضوا ، فلم يحل عام ١٩١٣ حتى اشتد ساعده وبأسه ، ففتح للشباب باب التطوع فى صفوفه • وقبل أن ينقضى العام بلغ عدد المتطوعين فيه نحو ١٧٠ ألفا !

وكان ديفاليرا فى مقدمة المتطوعين ، ويصفه لنا أحد مؤرخيه يومئذ بقوله: « كان ديفاليرا مجهولا من الرأى العام فى العاصمة جهلا تاما ، الا بالنسبة لتلاميذه من طلبة الجامعة • وكانت له قامة طويلة تزيد على الستة أقدام • ومظهر جاد صارم ، برغم شبابه •• على أن أغرب ما كان يميزه ثيابه الخشنة المصنوعة محليا ! » •• وترك أستاذ الجامعة أكثر مشاغله ودراساته ليلتفت الى هدفه الجديد ، وضاعف من نشاطه فصارت لياليه تحفل بالمناقشات السياسية الحامية• وكان الوطنيون الثوريون يلتقون ويدبرون خططهم فى عدد من المقاهى والمطاعم العامة بالعاصمة ، منها مقهى « القاهرة » ـ كافيه كايرو ـ بشارع جرافتون •• كما فتحت لهم قصور بعض أنصارهم من المترفين، ومنهم الكونتة « ماركيفتش » التى حكم عليها الانجليز فيما بعد بالاعدام !

◆ فى تلك الفترة نشبت الحرب العالمية الاولى ، سنة ١٩١٤ ، فانقسم متطوعو الحزب بشأن موقف ايرلندا منها الى فريقين : أقلية ضئيلة من نحو ١٢ ألفا تطالب بالتزام الحياد ، وأكثرية من ١٦٠ ألفا تنادى بالاشتراك فى القتال الى جانب انجلترا ! وقد كان •• فظلت ايرلندا تمد الجيش البريطانى برجالها حتى سقط منهم فى حومة الحرب خمسون ألفا، انتثرت جثث أكثرهم فوق أرض « الفلاندر » بفرنسا !•• ورغم ذلك فان أكثرية الشعب الايرلندى لم تكن تشارك الاقلية الثائرة حماسها وتطرفها ، ولم تعمد الى تعضيدها الا حين قامت هذه العناصر بثورتها المسلحة فى سنة ١٩١٦ ـ كما سيجىء ـ فأثارت

محاولات الانجليز أن يقمعوها بالقسوة الوحشية مشـاعر الجماهير ، التى تطورت من الرثاء للضـحايا ، الى الاعجاب ببطولتهم ، الى السخط على العدو الغاشم !

الاستعداد للثورة ..

وقد بدأ هدف زعمـاء « السين فين » ينحصر فى تدبير الثورة منذ مستهل سنة ١٩١٥ ، فراحوا يفاوضون ألمانيا سرا كى تمدهم بالعون والسلاح ، كما أرسلوا مبعوثا منهم الى أمريكا ليؤلب الرأى العام فيها ضد الانجليز .. واشترك ديفاليرا مع رجال المقاومة السرية فى انزال الاسـلحة الالمانية الى البر واخفائها فى جهات متفرقة من الشواطىء الايرلندية .. وهكذا لم يحل عام ١٩١٦ حتى كان كل شىء معدا لنشوب الثورة ، وحدد لها بالفعل يوم « الاثنين » الثالث والعشرين من ابريل ، غداة عيد الفصح .. لكن الامر التبس عـلى قائد الثوار فنشر فى الصحف صباح الاحد (يوم العيد) أمرا بالغاء الاستعراض الشعبى لطوابير المتطوعين ، الذى كان مقررا أن يتخذ ستارا لبدء الثورة! .. وهكذا أيقن زعماء « السين فين » أنهم لن يجدوا خمسمائة شخص تحت تصرفهم فى الغـد ، ومع ذلك قرروا أن يقوموا بالمحاولة اليائسة فى موعدها، وأرسلوا تعليمات بذلك الى قواد الطوابير الخاضعة لهم ، وكان ديفاليرا واحدا منهم ، فلما تلقى الاوامر أطاعها ، رغم عدم موافقته على تنفيذ الفكرة الجنونية فى تلك الظروف !

بطولة ديفاليرا أثناء الثورة

◆ وهكذا لم يحل ظهر الاثنين حتى تفرقت « حفنة » من المتآمرين لا يزيد عددهم عـلى الالف والخمسمائة الى المراكز التى حددت لهم ، فاستولوا عليها دون مقاومة ، واتخذوا دار البريد العامة مقرا لقيادتهم العليا ! وفوجئت الجماهير بقراءة منشور مطبوع بحروف ضخمة ألصق على جدران الدار يعلن اقامة الحكومة المؤقتة للدولة الايرلندية المسـتقلة !.. فكان

المارة يقرأونه فيضحكون ويواصلون سيرهم ٠٠ ولكن لم يلبث الجو أن تكهرب بالتدريج ، وامتلأت العاصمة بالشائعات لم يعد الامر مزاحا بل جدا ٠٠ وبعد أن كان الناس يصفون الثوار بأنهم « أطفال » صاروا يصفونهم بأنهم « مجانين » ٠٠ وصار الموقف يتطور بسرعة مخيفة ساعة بعد ساعة ، فأقيمت المتاريس فى الشوارع وحفرت الخنادق وحجبت النوافذ بأكياس الرمل ، وصودرت السيارات ، واحتلت ثلاث من محطات السكة الحديد ، وانهمر الرصاص من عدة اتجاهات ، وشاع أن الثوار قد اقتحموا « قصر دبلن » مقر المستعمرين الانجليز ، وأن القوات الالمانية قد نزلت على الشاطىء ٠٠ الخ

وهكذا جنت الشائعات ٠٠ وفى تلك الاثناء صدرت الاوامر الى ديفاليرا ، قائد الاورطة الثالثة ، بأن يسد الطريق الذى ستسلكه القوات الانجليزية التى أرسلت لقمع الثورة ٠٠ ولم يكن جنوده يزيدون على المائة ، وزع كل ثلاثة منهم على منزل من المنازل المشرفة على الطريق ٠٠ وحين وصل الاعداء وبدأت المعركة صار يتنقل بين المتاريس ويواجه النيران بشجاعة خارقة ، غير عابىء بالرصاص المتناثر حوله كالمطر ! ٠٠ وبعد قتال جبار استمر خمس ساعات ، وقتل فيه من الانجليز ٢٣٤ ، أحدقت مدفعيتهم بالطاحونة التى اتخذها ديفاليرا مقرا لقيادته وأشعلت فيها النيران ، ثم شق طابورهم طريقه الى دار البريد العامة ، مقر قيادة الثوار ، مارا بطرقات خالية الا من الجثث المتناثرة وحطام المبانى المهدمة ٠

واستمر القتال بين الثوار والانجليز أياما ، أخلى الثوار خلالها دار البريد التى أضرمت فيها النيران ونقلوا قيادتهم الى دار خلفها ٠٠ وفى صباح الاحد التالى كان القتال ما يزال دائرا ، يختلط فى الاسماع بدقات أجراس الكنائس ٠٠ لكن قائد الثوار أصدر أخيرا أمره الى رجاله بالتسليم ، فصاروا يمرون فيلقون أسلحتهم كارهين عند قاعدة تمثال الزعيم « بارنل » ! وكان

الانجليز قد قطعوا جميع المواصلات بين مواقع الثوارفلم تصل رسالة القائد الى ديفاليرا الا بعد حين ، عندئذ قرأ فيها مستاء هذه السطور : « حقنا لدماء المواطنين وأملا فى انقاذ أرواح أتباعنا من هذه المذابح ، بعد أن أحدق العدو بهم وتفوق عليهم فى العدد والعدة بنسبة كبيرة، قرر أعضاء الحكومة المؤقتة التسليم بلا قيد ولا شرط » .

وبشق النفس استطاع ديفاليرا اقناع رجاله باطاعة هذا الامر !.. أما الخسائر فى الارواح فقد بلغت من الجانبين ثلاثة آلاف ، حتى أن مقبرة « جلاسنفين » وحدها استقبلت أثناء ذلك الاسبوع الدامى ٢١٦ جثة !

ديفاليرا يواجه حكم الاعدام

◆ لكن ذيول تلك الثورة كانت أفظع .. فقد أعدم الانجليز على أثرها من الثوار والوطنيين البارزين ١٦ ، منهم قائد الثورة، كما حكموا بالاشغال الشاقة على ٧٣ ، وبالنفى على ٢٣٠٠ !.. **وفيما كان ديفاليرا فى زنزانته بسجن « بولزبريدج » سنحت له ذات يوم فرصة آمنة للفرار ، لكنه أبى التخلى عن زملائه المعتقلين .. وفى يوم ٨ مايو مثل أمام المحكمة العسكرية التى حكمت على زملائه بالاعدام ، فواجهها بهدوئه ووقاره المألوفين ، متوقعا نفس المصير .. وقد صرح لاحد الذين زاروه فى سجنه بقوله انه لا يأسف على مصيره الا حين يفكر فى زوجته واولاده!**

.. ولكن يبدو أن احتجاجات العالم الحر على اعدام زملائه

الاثنى عشر الذين نفذ فيهم الحكم قبله كانت قد بدأت تنتج أثرها ، فلما أعلن الحكم الخاص به يوم ١١ مايو كان نصه « حكمت عليك المحكمة بالاعدام ، ثم استبدلت الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة » .. فلما حمل اليه رسول الخبر ـ وكان يطالع وقتئذ كتاب « اعترافات القديس أوغسطين » ـ رفع رأسه فشكر الرسول ثم عاد الى كتابه ، فقد أدرك أنه مقبل على مواجهة سنوات لا نهاية لها من الالم والعذاب ..!

الامانة والبساطة : أهم مؤهلات الزعامة

◆ وفى السجن صار ديفاليرا يحرض زملاءه ، وكانوا ٦٤ ، على التمرد والاضراب عن الطعام كل حين . وكانوا يقدرون له أنه آخر من كف عن مقاتلة الانجليز فى الثورة ، وانه تعرض للاعدام ، وكان أقرب المقربين الى كل الذين أعدموا .. ومن هنا اختاره المسجونون زعيما لهم . وكان لهذا الاختيار فضل كبير فى الزعامة السياسية التى آلت اليه فيما بعد ..!

فى تلك الآونة كانت انجلترا تنشد عون أمريكا فى الحرب العالمية ، وكان الايرلنديون ذوو النفوذ فى الولايات المتحدة قد ألبوا رأيها العام ضد انجلترا .. وزادت الموقف سوءا وتعقيدا شدة « لويد جورج » فى معالجته ، وامعان الانجليز فى التنكيل بالوطنيين ، قتلا واعتقالا ، الامر الذى أحدث رد فعل مباشر أجبر انجلترا آخر الامر على الافراج عن ديفاليرا وزملائه يوم ١٦ يونية سنة ١٩١٧ ، فوصلوا الى دبلن يوم ١٨ ، **حيث استقبلوا ـ لدهشتهم ـ استقبال الفاتحين !** ومضت العربات التى تقلهم تشق طريقها وسط خضم متلاطم من الجماهير المتحمسة التى صمت هتافاتها آذانهم ، والتى ارتفعت حناجرها تنشد « نشيد الجندى » الذى صار منذ ذلك اليوم بمثابة نشيد ايرلندا الوطنى !.. وفى ذلك اليوم رأى الشعب لاول مرة وجه زعيم المستقبل ، ذا القامة الطويلة والعينين المتوقدتين ..

ثم شهد صيف وخريف ١٩١٧ ارتفاع ديفاليرا من مرتبة الرجل المغمور نسبيا الى مرتبة السياسى المرموق والزعيم الوطنى !٠٠ ثم جاءت الانتخابات المحلية التالية فتفوق فيها على منافسيه بنسبة ٢ الى ١ بعد نضال جبار تعلقت به أنظار العالم كله٠ وفى اكتوبر اجتمع المؤتمر السنوى لحزب السين فين فى دبلن وانتخب ديفاليرا رئيسا له، رغم كونه من أضعف الخطباء فى تاريخ ايرلندا، وأعجزهم عن اثارة مشاعر السامعين!٠٠ وكان أهم ما أعجب الشعب فيه أمانته وبساطته واستقلاله فى الرأى٠

السجن مرة أخرى !

◆ وخلال الستة أشهر التالية انحصر نشاط متطوعى السين فين فى هدف واحد : جعل بقاء الانجليز فى ايرلندا مستحيلا !٠٠ لكن ذلك لم يؤد الا الى امعان المستعمرين فى عدوانهم ففرضوا على البلاد حكم الارهاب الغاشم ، وفى ١٨ مايو سنة ١٩١٨ قبضوا على جميع أعضاء السين فين البارزين ، وفى مقدمتهم ديفاليرا ، الذى قضى فى السجن هذه المرة قرابة العام ٠٠ ورغم ذلك فحين أجريت الانتخابات العامة فاز هذا الحزب « غير القانونى » بثلاثة وسبعين من مقاعد المجلس المائة والستة ، وبين النواب الفائزين كان ٣٦ فى السجن ، وثلاثة منفيين ، وستة هاربين من مطاردة البوليس !

وطيلة الوقت لم يكف أنصار الحزب ، وفى مقدمتهم « كولنز » عن تدبير خطة سرية لتهريب المعتقلين من سجنهم ، ونجحت الخطة ففروا جميعا يوم الثالث من فبراير سنة ١٩١٩ !٠٠ وبينما تولى كولنز قيادة حركة الكفاح الاجماعى ضد المستعمر فى ايرلندا ذاتها ، انطلق ديفاليرا الى أمريكا حيث قضى ثمانية عشر شهرا ينشر الدعاية لوطنه فى طول البلاد وعرضها ، فيعقد الاجتماعات ويلقى الخطب ، ويؤلب الرأى العام الامريكى ضد بريطانيا ، ويجمع الاموال والاكتتابات لحكومته الاسمية التى كانت ما تزال حبرا على ورق ٠٠ وقد

نجح فى مهمته نجاحا هائلا ، وأثار اعجاب العالم بنشاطه ومثابرته . كان يعمل ستة عشر ساعة كل يوم ، وقطع خلال تلك المدة عشرة آلاف من الاميال .. لكنه فشل فى مهمته السياسية : فى اقناع ساسة « فرساى » الاربعة الكبار بسماع قضية ايرلندا ، وتحقيق أمانى شعبها فى الحرية .. وهكذا كانت ايرلندا أولى الدول الصغرى التى أزاحت القناع عن خدعة مؤتمر فرساى ومزاعم الرئيس ويلسون فى صدد حق تقرير المصير !

مذابح الوطنيين فى ايرلندا

عاد ديفاليرا الى وطنه فبلغه يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وكان الصراع بين الوطنيين الايرلنديين بزعامة « كولنز » وقوات « بلاك اند تانز » الانجليزية قد بلغ أقصى حدته ووحشيته ، فاشتدت من جانب الاولين عمليات المقاومة والحرب الخفية ، واشتدت من جانب الاخيرين « غاراتهم » الليلية على دور الثوار وقتلهم بالرصاص فى التو واللحظة أمام أبصار زوجاتهم وأولادهم ، أو انتزاعهم من عربات الترام واعدامهم فى وضح النهار !.. الى غير ذلك من الجرائم الوحشية ، مثل حرق المبانى والمتاجر والمصانع والمحاصيل بواسطة جنود الاحتلال السكارى بغية نشر الفاقة والمجاعة .. **ثم مذابح المدنيين بأيدى قوات « التاج » ، التى أعادت ذكرى فظائع الاتراك أو البلاشفة ، أو ذكرى أسوأ مراحل حروب العصابات بين الانجليز واليهود فى فلسطين ، وبينهم وبين الهنود فى الهند ..!**

واستمرت الحال على هذا المنوال سبعة أشهر كان ديفاليرا خلالها ــ وهو الرئيس الرسمى المنتخب للجمهورية الجديدة ــ دائم التنقل من مخبأ الى مخبأ ، شاحب الوجه من فرط الاجهاد والمسؤولية والقلق ، والاحتجاب عن الشمس والهواء !... وأخيرا ، وبعد عدة محاولات لجس نبض زعماء ايرلندا ، اضطر لويد جورج ــ تحت ضغط اشمئزاز الرأى العام العالمى ــ الى

العدول عن سياسة العنف والقوة ، فأرسل الى ديفاليرا خطابا يقترح عليه فيه عقد مؤتمر فى لندن للبحث فى امكان الوصول الى اتفاق !

وبعد مفاوضات استمرت خمسة أشهر قدم الانجليز فى ٢ ديسمبر ١٩٢١ اقتراحا انقسم بصدده مجلس الوزراء الايرلندى ، فقبله « كولنز » و« جريفث » وآخر ، ورفضه وزيران ، يؤيدهما ديفاليرا رئيس الجمهورية .. فعاد الوفد الايرلندى لاستئناف المفاوضات ، وفى احدى الجلسات هدد لويد جورج مفاوضيه باشعال نار حرب رهيبة مدمرة بين البلدين فى خلال ثلاثة أيام اذا لم يقبلوا الشروط المعروضة !.. وتحت ضغط هذا التهديد قبل الوفد الايرلندى المعاهدة المعروضة ووقعوها فى الساعة الثانية والربع من صبيحة الثلاثاء ٦ ديسمبر سنة ١٩٢١ .

الحرب الاهلية ..!

◆ لكنهم حين عادوا الى وطنهم واجتمع مجلس الوزراء لبحث الموضوع اصطدم الموقعون برفض ثلاثة وزراء للمعاهدة الجديدة ، وكان ديفاليرا على رأس المعارضين !.. ثم اجتمع الحزب فى ١٤ ديسمبر ، وظل يدرس المعاهدة ثلاثة أسابيع ، **كانت من أمر الاسابيع التى مرت بايرلندا .. فقد احتدم فيها الجدل والشقاق ، وانقسم الحزب على ذاته ، بل انقسم كل بيت على ذاته !** وانحازت الصحافة بأجمعها الى صف المؤيدين للمعاهدة ، المعارضين لرأى ديفاليرا.. وقد أظهر الزمن أن كتلة الشعب أيضا كانت فى صف معارضى ديفاليرا ، بل ان الحقيقة والواقع كانا فى صف معارضيه ، اذ لم يكن فى طاقة ايرلندا أن تواجه حربا ثانية ضد الانجليز ، سيما وهى فى تلك الحال من الانقسام وتفرق الكلمة !.. وهكذا لم يكن فى صف ديفاليرا غير شىء واحد : الرمز .. سيادة ايرلندا .. الحلم الوطنى القديم !

وظهر الانقسام رسميا حين عرضت المعاهدة على البرلمان فأيدها ٦٤ نائبا وعارضها ٥٧ ٠٠ واذ ذاك نهض ديفاليرا وقد بلغ به الانفعال غايته، كى يطالب بحفظ النظام٠٠ لكنه لم يلبث أن خار وتهالك فى مقعده يبكى ، وقد دفن وجهه بين يديه !

ثم بلغت المهزلة أقصاها حين اجتمع النواب الذين أقروا المعاهدة فألفوا حكومة وقتية ، وبذلك صارت لايرلندا ثلاث حكومات ـ وثلاثة جيوش ! ـ عدا الحكومة البريطانية التى كانت ما تزال تسيطر على الجزء الجنوبى منها !

وكانت تلك بداية الحرب الاهلية: بين جيش أنصار ديفاليرا، أو « الثوار » كما صار يطلق عليهم ، من جانب ٠٠ وجيش أنصار المعاهدة وعلى رأسهم الزعيمان كولنز وجريفث من جانب آخر !٠٠ واستمر القتال المروع المدمر بين الجيشين طيلة ذلك الصيف ٠ وفى ١٣ أغسطس مات جريفث من فرط الاجهاد ، وفى ٢٢ أغسطس مات كولنز وهو يقاتل ٠٠ **وازداد القتال عنفا وضراوة يوما بعد يوم ، حتى فاقت وحشية الوطنيين فى مقاتلة بعضهم البعض وحشية الانجليز فى مقاتلتهم !٠٠** وفى الخريف بدأت حركة اعدام الاسرى من الثوار ، ثم الانتقام لهم من قاتليهم ! فأعدم من الاولين ٧٧ أسيرا ٠ وخلال تلك الفترة عاش ديفاليرا حياة أشبه بالجحيم، وبدت على وجهه آثار ما عاناه ! ان كل ما قاتل من أجله وكرس له حياته قد بات الآن أنقاضا ٠٠ انه الآن فى الاربعين ، وقد أقصته أكثرية الشعب عن مركز الزعامة ، ولم يلتفت اليه الباقون الا حين أيقنوا من أن الدائرة قد دارت عليهم ، وعندئذ استداروا اليه فقط كى يعهدوا اليه بمهمة اعلان الهزيمة !

ومع تقدم الربيع ازداد وجوب التسليم وضوحا ٠ كان قد سجن من الثوار اثنا عشر ألفا ، وصار جيشهم عصابة يائسة منهوكة القوى ٠٠ وأخيرا ، فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٣ ، أصدر ديفاليرا وقائد جيشه بيانا مشتركا بالكف عن القتال٠٠ وكانت

تلك ذروة مأساة الرجل « المثالى »، فى عالم يقوم على المساومات!

ثم تتابعت الاحداث بسرعة ٠٠ فأجريت الانتخابات العامة فى أغسطس ، ورشح ديفاليرا نفسه فيها ٠٠ **وفيما هو يخطب الجماهير قبض عليه ـ بواسطة حكومة بلده هذه المرة ! ـ وزج به فى السجن ، للمرة الثالثة ، حيث بقى فيه قرابة عام ،** يقرأ كتب « اينشتين » وغيره من علماء الرياضيات ، أو يلعب كرة اليد مع الضباط الشبان فى فناء السجن !٠٠ وفى يوليو سنة ١٩٢٤ فتحت له أبواب السجن ، وتركوه يخرج حرا ٠٠ فقد أمسى فى نظرهم رجلا لا خطر منه ، ولا وزن له !

ديفاليرا يتولى الحكم ٠٠

◆ لكنه استأنف زعامته النشطة لحزب السين فين ، وبعد عامين حدث انقسام فى الحزب فاستقل ديفاليرا وأنصاره وكونوا شعبة جديدة أو حزبا جديدا باسم « فيانا فيال » ٠٠ وعلى آثر انتخابات سنة ١٩٣٢ تولى ديفاليرا الحكم ، فعمل على تنفيذ برنامج واسع النطاق يهيىء ايرلندا «للاكتفاء الذاتي» بمواردها والاستغناء عن المعونة الانجليزية خاصة والخارجية عامة٠

وفى سنة ١٩٣٣ ثم فى ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ انتخب ديفاليرا رئيسا لجمعية عصبة الامم، فكانت سياسته قائمة على المعارضة فى فرض العقوبات العسكرية على الدول الخارجة على ميثاق العصبة ٠ كما كان حازما بصفة خاصة فى تأييد سياسة عدم التدخل فى الحرب الاهلية الاسبانية ٠ وفى سنة ١٩٣٨ عقد اتفاقا مع رئيس الوزارة البريطانية « نيفل تشمبرلين » حصل لبلاده بمقتضاه على عدة قواعد بحرية هامة ، مقابل تأييده لسياسة التهدئة ٠٠ وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية التزم حياد ايرلندا المطلق فى النزاع بين بريطانيا والمحور ، رغم الاعاصير التى أحاطت بهذا الموقف والصعوبات التى اكتنفته!٠٠

واليوم، وقد بلغ السبعين من عمره، ما يزال ديفاليرا الزعيم الشعبى لايرلندا ، الذى ترمقه العيون وتحوطه القلوب والافئدة!

الحياة قصة

روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ...

لاشك أنك تحس أحيانا بالشوق الى مطالعة روائع القصص العالمية ((الطويلة)) التى طالما سمعت عنها ولم تقرأها ، لأن وقتك لم يسعفك.. فدعنى أتيح لك اليوم هذه الفرصة فالخص لك كل شهر فى هذا الباب امتع ما كتب اعلام القصة فى جميع البلاد والعصور ، وهم : زفايج ، ترجنيف ، تولستوى ، دستويفسكى ، جوركى ، جوجول .. موروا ، مورياك ، بورجيه ، جيد ، رومان رولان ، اناتول فرانس ، موباسان ، لوتى ، زولا ، هوجو ، بلزاك ، ديماس ، دوديه ، فلوبير ، بريفو ، جوتييه ، شاتوبريان ، فولتير ، روسو ، لامرتين ، بروست ستندال .. ديكنز ، سومرست موم ، ويلز ، جوازورثى ، لورنس ، جين أوستن ، جورج اليوت ، مارى كوريللى ، جراهام جرين ، برومفيلد ، شارلوت واميلى برونتى ، والترسكوت ، كبلنج ، كولنز ، دى موربيه .. سنكلير لويس ، مارك توين ، بيرل بك ، روبرت لويس ستيفنسون ، هوثورن ، هيمنجواى .. توماس مان ، جوته ، هاينى ، سودرمان ، هاوبتمان .. بلاسكو ابانيز ، جيوفانى فيرجا ، بيرانديللو ، دانونزيو ، مترلنك ، سلما لاجرلوف ، كاترين مانسفيلد ، كونيت .. الخ .

ستيفان زفايج
غرام
تحت سماء الشرق!
AMOK
par
STEFAN ZWEIG

في مارس سنة ١٩١٢ وقع أثناء تفريغ شحنة احدى السفن الالمانية الكبرى في ميناء نابولي حادث غريب اختلفت بشأنه الروايات وتضاربت أقوال الصحف في تفسيره وتعليله !.. ورغم انى لم أكن من شهود ذلك الحادث - اذ كنت قد آثرت ، مثل أكثر الركاب ، تجنب الضجيج الذى يصحب تفريغ السفينة وشحنها ، فمضينا كي نقضى الامسية على الشاطىء متسكعين بين مقاهى المدينة وملاهيها - لكن المصادفة البحتة أتاحت لى مع ذلك أن أقف على حقيقة الحادث المذكور وأسبابه الخفية !.. واليوم ، بعد انقضاء أعوام طويلة على وقوعه ، لست أرى سببا يبرر احجامى عن قطع حبل الصمت الذى التزمته بشأنه حتى الان .. !

كنت قد ركبت تلك السفينة من ((سنغافورة)) ، بعد أن تلقيت برقية تدعونى الى قطع جولتى فى أنحاء بلاد ((الملايو)) والعودة على عجل الى المانيا . وكانت السفينة مزدحمة بالركاب بحيث لم أجد لنفسى فيها غير قمرة (كابينة) صغيرة حارة ومعتمة ، بجوار عنبر الآلات ، حيث الهواء الخانق الراكد المشبع برائحة الزيوت ، وحيث ضجيج المحركات المستمر الرتيب ينبعث من أسفل ، ووقع خطوات الركاب التى تخفق فوق ظهر السفينة يهبط من أعلى .. وهكذا لم أكد ارتب متاعى حتى فررت من قمرتى الى السطح حيث جلست أجرع انفاسا عميقة من نسيم البحار الجنوبية المعطر ..

لكن زحام المسافرين وثرثرة النساء وهن مسترخيات فى مقاعد السطح المريحة لم تلبث أن أثارت أعصابى وحرمتنى من الراحة التى كنت أنشدها بعد رحلتى الشاقة فى الملايو وبورما وسيام .. فلبثت ثلاثة أيام عاجزا عن الخلوة بنفسى سواء فوق السطح أو فى صالون السفينة الزاخر بالركاب ، وكنت قد حفظت وجوههم جميعا عن ظهر قلب ، فلم أكد أنفض يدى من الغداء بعد ظهر اليوم الثالث حتى جررت ساقى عائدا الى قمرتى الخانقة ، حاملا معى بضع زجاجات من البيرة رجوت أن تعيننى على النعاس ..

واغفيت فعلا .. وحين صحوت كان الظلام حالكا ، وقد انتصف الليل ، والجو الخانق فى ((نعشى)) الضيق أشد وطأة مما كان .. فنهضت وأخذت طريقى الى سطح السفينة ، حيث كان السكون تاما شاملا ، والهواء مشبعا بعطر الجزائر الاستوائية البعيدة .. ولاول مرة منذ ركبت السفينة احسست

بشوق لا يقاوم الى أن أحلم ! بل برغبة شبه حسية فى أن أسلم جسدى ، كما تسلمه المرأة ، الى عناق الليل الناعم. أردت أن أستلقى على ظهرى وأسرح بصرى فى السماء التى تطل منها النجوم كأنها ثقوب تتخلل «ستارة» من القطيفة السوداء .. فجلست فى مؤخرة السفينة مسندا ظهرى الى حاجزها ، واغمضت عينى وأسلمت نفسى لسحر ذلك الليل الثمل ..

حتى أعادتنى الى حواسى سعلة جافة بالقرب منى ، وعندئذ فقط تنبهت الى شبح كان قد قبع بلا حراك فى أحد الاركان ، فلم يبد منه فى الظلام غير لمعة نظارته وبصيص ضئيل لجمرة غليون يدخنه ..

وانتابنى على الفور شعور بأننى تطفلت على خلوته ، فغمغمت معتذرا دون وعى : «آسف !» .. لكنه اجابنى متأدبا : « لا داع للاسف » .. وخيل الى أنه يحدق فى كما أحدق فيه ، دون أن يستطيع أحدنا أن يميز الآخر ! وفى غمرة الحرج الذى اوجدنا فيه صمت كلينا بعد تلك التحية الاولى تناولت سيجارة فاشعلتها ، وعلى ومضة الثقاب الخاطفة لمحت وجه الرجل ، فبدا لى أشبه بوجه غول شرير ، وأيقنت أنى لم أره فى أى مكان من السفينة من قبل ..!

وعاد يضرب بيننا ذلك الصمت الثقيل ، الشبيه بجو قمرتى الخانق.. حتى ضقت به آخر الامر فنهضت لانصرف ، محييا الرجل بقولى : « طاب مساؤك» ، فرد تحيتى بمثلها ومضيت .. لكنى لم ألبث أن تبينت خطاه تتبعنى ، واذا هو يرجونى ـ لاسباب تخصه ـ أن لا أشير لاحد بحرف الى أنى رأيته منفردا بنفسه فى ذلك المكان أثناء الليل ! فطمأنته وانصرفت ..

لكن غرابة أطواره شغلت أفكارى أكثر من مرة خلال اليوم التالى ، وأنا الشغوف بالالغاز النفسية ، فوجدتنى ـ كأنما بتأثير احساس داخلى ـ أستيقظ من نومى فى نفس الموعد من الليلة التالية وبى شوق الى لقاء ذلك الرجل ! .. فنهضت وصعدت الى السطح ..

ولمحته من بعيد ، فى نفس المكان ، فترددت لحظة ، ثم ندمت فهممت بالرجوع ، خشية أزعاجه .. لكنه أحس بى فدعانى مرحبا الى مجالسته.. وبعد أن تبادلنا بضع عبارات واشعلنا سيجارتين ادركت من مسلك الرجل أن عنده قصة يتحرق شوقا الى الافضاء بها ، لولا أن قوة داخلية تعوقه ! .. وبالفعل لم تنقض لحظات حتى صارحنى بأن الافكار التى تطن فى رأسه قدبلغت درجة ينبغى معها أن يستأصلها منه ، والا انفجر رأسه ! .. فقاطعته مؤكدا له ترحيبى بسماع قصته ، واذ ذاك اعتدل فى جلسته قليلا ، كمن يتأهب لحديث طويل ، وقال :

❖

« ينبغي أن تعلم أولا أنني طبيب ، وأنني من طول ما ألفت تجرد مرضاى أمامي مما يستر عورات أجسامهم ونفوسهم لا أرى غضاضة فى أن أتجرد أمامك ، وأنت الغريب عنى تماما ، من كل خجل زائف ونفاق يستر عورة نفسى وروحى ، فأكشف لك دخيلتي على حقيقتها ، بما لها وما عليها ٠٠ !

« على أثر انتهائى من دراسة الطب عينت طبيبا فى مستشفى بمدينة « ليبزج » ٠ ولو رجعت الى المجلات الطبية الصادرة فى ذلك العهد لوجدت فيها آثار الضجة التى أحدثها اكتشافى لعلاج جديد لاحد الامراض الشائعة !٠٠ لكننى وأنا أتسلق سلم النجاح على هذه الصورة السريعة أصبت بغرام مدمر كان السبب فى تحطيم مستقبلى ، **فقد أحببت امرأة خطرة دفعتنى الى أن أسرق من خزانة المستشفى ـ فى نوبة جنون ـ مبلغا من المال!٠٠ واكتشف الحادث بالطبع ، فكان فيه القضاء المبرم على كل أمل لى فى ممارسة مهنتي فى المدينة** !٠٠ وصادف أن سمعت فى تلك الآونة أن الحكومة الهولندية مفتقرة الى أطباء يخدمون فى مستعمراتها الاستوائية ، بمرتب مغر ، فهرعت الى « روتردام » حيث وقعت عقدا بالعمل فى تلك البلاد النائية لمدة عشرة أعوام ٠٠ نعم ، وقعت العقد ثم أبحرت الى مقر عملى الجديد وأنا أجهل كل شيء عن ذلك الركن السحيق اللعين من الشرق الأقصى ، حيث لا أنيس للمرء أو رفيق سوى الوطنيين الصفر من أهل تلك البلاد ، والحيوانات !٠٠ وحيث الوحدة القاتلة والوحشة المخيفة التى تلتهم الروح من جسم الانسان وتمتص النخاع من عظامه ! »

ويبدو أنني أبديت هنـا دون وعى حركة خفيفة تنم عن الاحتجاج ، فقد أردف محدثى من فوره : « آه ، أرى انك من المتحمسين للشرق ، ولعلك معجب بالمعابد وأشجار النخيل ، مفعم النفس بسحر المناطق الاستوائية التى طفت بها كسائح

ينشد المتعة ، لمدة شهر أو اثنين ٠٠ لكن الذى يعيش هنـاك زمنا طويلا يجد الحياة أشبه بالحياة داخل ناقوس من الزجاج ذى جدران خانقة غير منظورة ! انها تستنفد حيويتك وتجعلك خاملا خائر القوى كالسمك خارج الماء! ومهما ابتلعت من أقراص الكينين فانك تصاب بحمى الملاريا الخبيثة كل حين ٠ وهكذا تجد الاوربى الذى يقضى عليه بالعيش هناك لا يلبث أن يدمن عادة من العـــادات السيئة اللعينة ، فترى البعض يدمنون الشراب ، وآخـــرين يتعلمون من الصينيين تدخين الافيون ، وغيرهم يجدون راحتهم فى ممارسة الوحشية « السـادية » والنزوات الجنسية الشـاذة !٠٠ ولكم يعانى المرء هناك من الحنين الى الوطن ، الى السير فى شوارع مرصوفة ، بين مبان مشيدة ، والجلوس فى حجرات ذات نوافذ زجاجية ، بين رجال ونساء من البيض !

« لكنى أكاد أشرد عن الموضوع ٠٠ قلت اننى وقعت العقد ثم أبحرت الى مقرى الجديد بعد أيام ٠ **أبحرت وأنا أحلم بالحياة الخلابة تحت سماء الشرق ، وبأشـجار النخيل السامقة ، والغابات الرائعة ، والوحدة، والسكون!** ٠٠ لكنى سرعان ما نلت كفايتى من الوحدة والسكون ٠ فانهم لم يعينونى فى « باتافيا » أو « سورابايا » أو سواهما من المدن الكبرى ، حيث يوجـد اناس بيض وناد وساحة للعب الجولف ، وكتب وصحف ٠٠ وانما أرسلونى الى مكان ناء عن العمران ، يبعد عن أقرب بلدة مسيرة يوم كامل ! وكان « المجتمع » فى ذلك المكان يتألف من اثنين أو ثلاثة من الموظفين البيض الاغبياء الذين لوحت الشمس بشرتهم ، وواحد أو اثنين من « المولدين » ٠ وكان مقرى المشيد من الخشب و « الحصير » يقع وسط غابات وأدغال ومستنقعات لا يبلغ البصر نهايتها ٠٠٠

« ورغم ذلك فقد احتملت المعيشة فى هذا الجو فى البداية ، مستعينا على انفاق وقتى بالدراســة والبحث الطبى ، حتى

استنفدت متعة الحياة « الجديدة » ، واستنفد الطقس الحار ما بقى من طاقتى الحيوية التى جلبتها معى من أوربا ، فبدأت أدمن الشراب وأفرط فيه ، لعلى أستعين به على احتمال حياتى فى ذلك المنفى الجهنمى حتى نهاية مدة العقد ... »

◆ وفيما هو ينطق بالعبارة الاخيرة كانت يده تتحسس ما حوله فى الظلام ، حتى اصطدمت بشىء تبينت من هيئته أنه زجاجة ، رفعها الرجل فى يده وصب منها فى كاس قدمها لى . كانت كاسا مترعة من الويسكى الجيد !.. فقبلتها منه كى أشجعه على الاستطراد ، بينما رفع هو فوهة الزجاجة نفسها الى فمه ، لعدم وجود كاس اخرى ، وجرع منها جرعة كبيرة.. ثم ساد الصمت لحظة سمعنا خلالها ساعة السفينة تدق الثانية والنصف ، صباحا .. فاستطرد محدثى :

« على هذا المنوال سارت حياتى عاما بعد عام ، أو بالاحرى « وقفت » ! فقد عشت خاملا جامدا أشبه بعنكبوت قابع فى قلب نسيجه .. وخلال موسم الامطار الاخير لبثت أسابيع أنصت الى قطراتها تنقر السقف بلا انقطاع ليل نهار ، دون أن يطرق بابى أو تقع عينى على انسان أبيض ! كنت وحيدا فى المسكن مع خدمى الوطنيين وزجاجة الويسكى .. وبلغ حنينى الى العالم المتحضر الذى غبت عنه سبع سنوات انى عندما كنت أقرأ ، فى قصة ، عن الشوارع المضاءة والنساء البيض .. كانت يدى ترتعش انفعالا !

« فكم بالاحرى يكون شعورى وقد دخل على خادمى ذات يوم ، بعد انقطاع الامطار ، فاغر الفم مدهوشا .. ليخطرنى بأن امرأة قد جاءت لترانى .. امرأة « بيضاء » !؟

« وساءلت نفسى حائرا وأنا أهبط من الطابق الثانى لالقاها : ترى من تكون ؟ وماذا بحق الشيطان يمكن أن تفعل امرأة بيضاء فى هذه الادغال ؟!.. ولمحتها جالسة فى الحجرة الداخلية ، وقد وقف خلف مقعدها غلام صينى ، هو خادمها ولا شك . وحين هبت لتحييني رأيت وجهها مغطى بنقاب كثيف ! وابتدرتنى بالانجليزية فى لهجة سريعة كمن تلقى خطابا محفوظا : « طاب

يومك يا دكتور ، ولتغفر لى قدومى على هذا النحو المفاجىء ، دون موعد سابق ، لكننى كنت مارة بسيارتى فى المستعمرة وتوقفت السيارة لعطب طارىء فتذكرت أنك تعيش هنا . ان الجميع يمتدحون براعتك منذ شفيت نائب الحاكم من كسر ساقه .. »

« واستمرت تثرثر فى عصبية ظاهرة أثارت بدورها أعصابى أنا ، فساءلت نفسى وأنا أستمع اليها : لماذا لا تفصح لى عن شخصيتها ، وتنزع نقابها ؟ ترى أهى محمومة ، أم مجنونة ؟.. وانتهزت فرصة توقفها عن الكلام بعض لحظة فدعوتها الى الطابق العلوى ، وهنا أشارت الى خادمها أن ينتظر حيث هو ثم تقدمتنى الى السلم . لكنها لم تكد تدخل حجرة الاستقبال حتى استأنفت ثرثرتها وهى تنقل بصرها بين كتب الادب التى حفلت بها رفوف مكتبتى ، مبدية اعجابها ببعضها ، معلقة بغير ذلك على البعض الآخر !.. وحين سألتها ان كانت ترغب فى قدح من الشاى أجابتنى وهى تواصل تصفح الكتب : « كلا ، شكراً يا دكتور ، فلست أنوى البقاء غير بضع دقائق .. آه ، أتقرأ الفرنسية أيضا ؟ يا لكم من شعب رائع أيها الالمان . انهم يعلمونكم لغات كثيرة فى المدرسة ! »

« ثم أردفت وهى تتصفح أحد الكتب ، متجنبة أن يلتقى بصرانا ، انها قد فكرت فى استشارتى بشأن عارض ألم بها : « انه لا شىء ذو خطر .. مجرد دوار ، ونوبات اغماء وغثيان تنتابنى أحيانا ، لا سيما فى الصباح .. » فسألتها : « منذ متى بدأت تحسين هذه الاعراض ؟ » وأجابتنى : « منذ بضعة أسابيع .. ما رأيك يا دكتور ، انها لا يمكن أن تكون أعراض مرض من الامراض الاستوائية الخطيرة ؟ » فأجبتها وأنا أقترب منها : « ينبغى أن أقيس أولا نبضك وحرارتك » .. لكنها أجفلت معترضة : « كلا يا دكتور ، أنا واثقة من أن حرارتى طبيعية . انى أقيسها كل يوم .. كما أن معدتى منتظمة على مايرام »

« وهنا ترددت برهة قبل أن أعلق على قولها ، فان غرابة أطوارها أثارت شكوكى . أدركت أنهـا تبغى شيئا منى ، اذ لا يعقل أن تقطع مئات الاميال فى الغابات كى تتصفح كتب الادب !.. فتركتها تنتظر دقيقة أو اثنتين قبل أن أجيبهـا : « هل لى أن أوجه اليك بضعة أسئلة واضـحة يا سيدتى ؟ » فأجابتنى دون أن تدير وجهها الى : « بلا شك، فهذا من حقك. »

– هل رزقت بأطفال ؟

– نعم ، بولد واحد .

– وهل شعرت يومئذ فى الاشـهر الاولى للحمل ، بنفس الاعراض الحالية ؟

– نعم ..

– هل يحتمل اذن أن يكون ما بك الآن أعراض حمل ؟

– نعم !..

– اذن دعينى أفحصك كى أعطيك رأيى القاطع ..

وهنا استدارت أخيرا فواجهتنى .. وكدت أحس نظرتها الباردة النافذة تثقب نقابها لتستقر على ، وهى تجيبنى : « كلا ، لا حاجة بنا الى ذلك يادكتور، فليس لدى أدنى شك فى الامر ! »

❖

◆ وصمت الصوت المتحدث فى الظلام ، وكان سكون الليل شاملا بحيث استطعت ان اسمع مقدم السفينة وهو يشق لها الطريق وسط الامواج ، واتبين «نبض» محركاتها يخفق من بعيد .. ودقت الساعة الواحدة ، فتنبه محدثى من شروده ورفع زجاجة الويسكى الى فمه ، ثم استطرد :

« كان ما أرادته المرأة منى واضحا غاية الوضوح .. ولم تكن تلك أول مرة تأتينى فيها نساء يلتمسن منى هذا الامر .. لكنهن كن يجئن متوسلات باكيات ، يناشدننى أن أنقذهن من مأزقهن !.. أما هـذه المرأة فكانت ذات ارادة « مسترجلة » غير عادية ، أشعرتنى من البداية أنها أقوى منى ، وأنها قد تستدرجنى الى الاذعان لرغبتها بالرغم منى !.. فثار فى أعماقى

شعور بالمرارة والتمرد عليها ، ولبثت برهة صامتا ، صمتا عنيدا ، أحسست خلاله أنها ترمقني من وراء نقابها ، كأنها تتحداني وتريد أن ترغمني على الكلام ! فزادني ذلك عنادا ورغبة في ارغامها على الصراحة · أردتها أن تتوسل الى كما كان غيرها يفعلن ! أردت ذلك من فرط تشامخها في ايضاح الامر لى ، وتعويضا عن شعورى بضعفى أمام غطرستها !·· ومن هنا أجبتها اجابة توحى بأنى لم أفهم الغرض الذى ترمى اليه · قلت لها ان الاعراض التى تشكو منها طبيعية ومألوفة فى حالات الحمل ، ولا خطر منها · ورحت أثرثر فى هذا المعنى حتى اضطررتها الى أن تقاطعنى زاعمة أن الذى يزعجها من الحمل فى هذه المرة أنها تشكو ضعفا فى القلب !

« وأمعنت فى التغابى ، فعرضت عليها أن أفحص قلبها ! لكنها أوقفتنى قائلة بلهجة « عسكرية » آمرة انها لا تريد اضاعة وقتى ووقتها فى الفحص ، وانها ترجو منى أن أثق بكلامها ، كما وثقت هى بى !·· وكان هذا بمثابة اعلان « الحرب » ، أو القاء القفاز من جانبها·· فلم أتردد أنا من ناحيتى فى التقاطه، قلت لها : « الثقة يا سيدتى توجب المصارحة التامة، فواجهينى بطلبك · ولكن قبل كل شىء انزعى نقابك واجلسى · دعى الكتب جانبا واكشفى أوراقك ، فالمرضى لا يضعون نقابا حين يزورون الطبيب ! »

« وقبلت التحدى ، فجلست ورفعت نقابها · كان وجهها من الوجوه الانجليزية ذات الجمال النادر · وكانت فى مقتبل العمر ، ذات عينين غبراوين مفعمتين اعتدادا وثقة بالنفس ، وان لاح فى أعماقهما ما ينم عن الرغبة المحتدمة ! ولبثنا لحظات نحدق كلانا فى الآخر ، حتى قطعت هى حبل الصمت قائلة :

ـ يا دكتور ، أتفهم أم لا تفهم ما أريده منك ؟

ـ أستطيع أن أستنتج أنك تريدين استئصال حملك ·· فهل تقدرين خطورة هذا الامر بالنسبة لكلينا ؟ وهل تعلمين

أن هذه الجراحة محرمة قانونا ؟
– أعلم كل ذلك ، لكنى أعلم أيضا أنها تباح أحيانا !
– هذا صحيح ٠٠ عند ما يكون لها مبرر طبى ٠
– فى وسعك ايجاد هذا المبرر ، فانك طبيب ٠٠

« ونظرت الى دون أن يختلج لها طرف ، كأنها تصدر أمرا ، بينما ارتجفت أنا مذهولا من قوة عزيمتها ٠٠ لكنى صممت على المقاومة حتى تستسلم هى وترضخ مستضعفة ، فأجبتها :

– قد يتعذر أحيانا العثور على مبرر كاف ، لذلك أستحسن عقد « كونصلتو » مع طبيب آخر من زملائى ٠
– لست أريد أحدا غيرك ، لقد جئت أستشيرك أنت !
– ولم اخترتنى أنا بالذات ؟ هل لى أن أسأل ؟

« فحدجتنى بنظرة باردة ثم قالت : « لست أرى بأسا فى أن أجيبك ٠ لقد اخترتك لانك تقطن فى منطقة نائية ، ولانك لا تعرف شخصيتى ، ثم لانك مشهود لك بالبراعة ٠٠ وأخيرا – وترددت ، لاول مرة ! – لانك لن تمكث طويلا فى هذه البلاد ، لا سيما اذا حصلت فى يدك على مبلغ كبير من المال تحمله معك الى وطنك !

« وسرت فى جسمى قشعريرة من هذه « الحسبة » التجارية !٠٠ لا دموع ولا توسلات ، وانما هى قد وزنتنى وقدرت لى ثمنا ثم جاءتنى واثقة من رضوخى لارادتها ! لكن مسلكها هذا أثار حقدى وغيظى ، فسألتها متهكما :

– لكنك تقدرين طبعا أن رحيلى سيكلفنى معاشى ؟
– المبلغ الذى أعرضه سوف يعوضك عن ذلك ويزيد !
– بودى لو تزيديننى صراحة فتذكرين المبلغ الذى حددته ٠٠؟
– مائة ألف « جولدن » ، بشيك على بنك أمستردام !

« ارتجفت من الغضب والدهشة معا ! انها قد « اشترتنى » قبل أن ترانى ، وتصرفت فى بملء ارادتها كما لو كنت سلعة !

وجرح هذا التصرف كبريائى بحيث وددت لو صفعتها على وجهها ، فنهضت واقفا وكيانى يهتز انفعالا ٠٠ لكنى لم أكد أنظر الى عينيها حتى أحسست فجأة بأن منظر فمها الابى الذى يتمرد على التوسل ، ووميض عينيها المتغطرستين ، وجبهتها المتعالية التى تأبى أن تنحنى ، تثير كلها الوحش فى أعماقى ٠٠ فاشتعل كيانى بغتة بالرغبة العنيفة المحتدمة !٠٠ ولابد أن شيئا فى تعبير وجهى قد وشى بما يدور فى نفسى ، فقد رفعت المرأة حاجبيها كما يفعل المرء مع شحاذ خرج عن أدبه !٠٠ فى تلك اللحظة أسفر بغضنا المتبادل وانكشف بكل حدته ، فقد أبغضتنى هى لانها كانت محتاجة الى ، وأبغضتها أنا لانها طلبت معونتى فى عجرفة بدلا من أن تستجدينى اياها !٠٠ وفى تلك اللحظة من « الصمت » تبادلنا حديثا طويلا صريحا !٠٠ وفجأة ، كما لو كان قد عضنى ثعبان سام ، وثب الى ذهنى خاطر رهيب ٠٠ فقلت لها ٠٠ قلت لها ٠٠٠

« لكنك ستسىء فهمى اذا لم أوضح لك أولا كيف نبتت فى رأسى تلك الفكرة المجنونة !

❖

◆ واطرق محدثى ، وجرع مزيدا من الخمر .. وحين استطرد كان صوته اقوى واعنف :

« لست أحاول أن ألتمس لنفسى الاعذار ، وانما أريد فقط أن أنصف نفسى من سوء ظنك ٠ كنت قد قدمت معونة مماثلة لنساء كثيرات أثناء عملى فى « ليبزج » ، مدفوعا بشهامة الرجل الذى تلجأ اليه امرأة فى محنتها المرة كى ينقذها من الموت أو ما هو أقسى من الموت !٠٠ أما هذه المرأة فقد جاءتنى متخذة مظهر « الليدى » الباردة المترفعة ، التى لا أعدو فى نظرها أن أكون مجرد « أداة » تنفذ لها مشيئتها ، ولا تزيد قيمتى عندها على التراب الذى تطأه بقدميها !٠٠ فلم أملك خيالى من أن يتصورها كما لا بد قد كانت قبل شهرين أو ثلاثة ، ليلة ألقت

بنفسها مضطرمة الحواس بين ذراعى والد هذا الجنين الذى تبغى الساعة أن تهلكه !٠٠ ذلك هو الخاطر الذى تملكنى وتسلط على ، بحيث لم أعد أرى غير جسدها العارى تحت ثوبها ، أو أفكر الا فى أن أنالها ! انها قد جاءتنى وملء نفسها الاحتقار الشامخ ، لكن فى مقدورى أن أذلها بكل سطوة الرجولة والقوة والحرارة التى نالها بها وأذلها ذلك العاشق المجهول !٠٠ فى مقدورى أن أضغط هاتين الشفتين الصارمتين المختلجتين ، وأحس بهذه النفس الابية المتغطرسة ٠٠ مغلوبة على أمرها !

« هذه هى الفكرة التى أريدك أن تفهم تصرفى على ضوئها ٠ لم أكن قد حاولت قط من قبل أن أستغل صفتى كطبيب ، ولئن فعلت هذه المرة فما كان ذلك عن شبق أو شهوة بهيمية ، لمجرد الاستمتاع بالسطوة الجنسية ٠٠ وانما كان دافعى الحقيقى شوقى الى أن أذلها وأقهر كبرياءها ، وأثبت لها تفوقى وتسلطى عليها !٠٠ سيما وانى كنت أحس « ضعفا » خاصا نحو هذه الفئة من النساء المتغطرسات ، الباديات البرود !٠٠ أضف الى ذلك أنه كانت قد انقضت على سبع سنوات لم أضم فيها الى صدرى امرأة بيضاء ، أو أصادف مقاومة من أنثى ٠٠ فان فتيات تلك البلاد الوطنيات لسن سوى مخلوقات مستضعفة متهيبة ترتجف نشوة وذهولا حين يتنازل سيد أبيض فينالها ! انهن دائما على استعداد لان يمنحن أنفسهن عند الطلب ، فى مذلة واحترام وخضوع يفقد المتعة الجنسية طعمها ٠٠

« وهكذا تستطيع أن تقدر مبلغ انفعالى برؤية تلك المرأة المترفعة الابية ، المفعمة غموضا ، والتى تحمل فى أحشائها ثمرة عاطفة حديثة العهد ٠٠ تدخل بلا تهيب الى « قفص » رجل مثلى ، وحش بشرى منفرد ، جائع ، معزول عن مجتمعات الآدميين !٠٠ تلك هى الافكار التى اجتاحت رأسى فى تلك اللحظات ، والمشاعر التى تملكتنى فجعلتنى - بوحى رغبة شريرة فى أن أرى غريمتى المتغطرسة متجردة ذليلة ، مستسلمة

لشهوتها – أتحامل على نفسى فأقول لها متكلفا البرود وعدم المبالاة :

– مائة ألف « جولدن » ؟ كلا ، لن أقبل هذا المقابل !

« فنظرت الى وقد شحب وجهها ، وسألتنى : »

– كم تطلب اذن ؟

– دعينا نكشف أوراقنا ونتصارح . انى لست تاجرا ، وليست هذه هى الطريقة التى تحصلين بها منى على ما تريدين !

– اذن فأنت ترفض ؟

– أرفض المال مقابلا لما تطلبين !

« خيم السكون على الغرفة لحظة بحيث سمعت أنفاسها تتردد :

– وماذا غير المال تستطيع أن تطلب ؟

– أطلب أولا أن تخاطبينى كرجل ، لا كتاجر .. بحيث اذا وجدت نفسك فى حاجة الى لم تجيئينى مسلحة بذهبك ، هذا السم الذى يتلف النفوس ، وانما توجهت الى بالرجاء

– أنا الكائن البشرى – كى أساعدك ..

– اذن فسوف تساعدنى اذا رجوتك ؟

– لم أقل ذلك . انك مازلت تحاولين المساومة ، ولا تريدين التوسل الا اذا نلت منى وعدا .. كلا ، بل توسلى أولا وعندئذ أجيبك !

« فهزت رأسها فى تحد ، كفرس أصيلة :

– لن أتوسل اليك كى تساعدنى .. لخير لى أن أموت !

ـ حسنا ، اذا لم تتوسلى فسأطلب أنا !٠٠ أعتقد أن لا حاجة بنـا الى الكلمات ، فأنت تعرفين ما أبغى ٠٠ وحين تمنحينني اياه أمنحك معونتى !

« **حدقت فى برهة ، ثم ـ كيف أصور لك فظاعة الامر ! ـ لانت قسماتها المتصلبة، وانفجرت ضاحكة٠٠ ضحكت في احتقار هائل ، سحقنى سحقا ، وأثارنى فى الوقت نفسه ٠٠ أصابنى بما يشبه الصاعقة !٠٠** ولم يطل الموقف أكثر من لحظـة ، استدارت المرأة بعدها وانفلتت نحو الباب ، فلما بلغته التفتت الى قائلة فى لهجة آمرة :

ـ حذار من أن تتبعنى أو تحاول أن تعرف من أنا ٠٠ فاذا فعلت فسوف تدفع ثمن ذلك !

« وفى طرفة عين كانت قد ذهبت !

❖

◆ **وعاد محدثى الى تردده .. وصمته .. ثم انبعث صوته يثقب الظلام مرة اخرى :**

« اختفت زائرتى وراء الباب ، بينمـا بقيت أنا مسمرا فى مكانى ، وكأن عبارتها الناهية قد نومتنى مغناطيسيا !٠٠ فقد سمعتها تهبط السلم ، وسمعت الباب الخارجي يصفق خلفها ، سمعت كل شىء ، ووددت أن ألحق بها ٠٠ لماذا ؟ لالثم قدميها مستغفرا ؟ أو لاضربها ، أو أخنقها !؟ لست أدرى ٠٠ على أية حال فان روحى راحت تعدو وراءها ، لكن قدمى عجزتا عن التحرك ، وكأن عبارتها الاخيرة قد أصابتنى بالشلل !٠٠ ومرت الدقائق ٠٠ خمس ، أو ربما عشر ٠٠ قبل أن أستطيع التحرك٠ ولكن بمجرد أن خطوت الخطوة الاولى زال القيد الذى كان يغل قدمى ، فانطلقت أهبط السلم وأعدو فى الطريق بأقصى سرعتى ٠٠ ولكن دون جدوى ، فانهـا كانت قد بلغت مكان سيارتها فاستقلتها وانطلقت بها بأقصى سرعتها ٠٠!

« لكنها وان أفلتت منى فقد عرفت كل ما أردت معرفتـه

عنها ، ففى جاوة يتناقل الاهالى أنباء الاوربيين أو « البيض » القلائل بسرعة واهتمام • وكان سائق سيارتها قد قضى فترة زيارتها لى فى الثرثرة مع أهل المنطقة •• فعرفت منهم اسم المرأة ، وعرفت انها انجليزية ، متزوجة من تاجر هولندى واسع الثراء ، وأنهما يقطنان فى عاصمة الاقليم على بعد مائة وخمسين ميلا ، وأن الزوج متغيب منذ خمسة أشهر فى أمريكا لامور تتعلق بتجارته ، لكنه سيعود فى خلال أيام ليأخذ زوجته فى رحلة الى وطنها انجلترا ••

« زوجها متغيب منذ خمسة أشهر ؟ وكان واضحا أن حملها لا يرجع الى أكثر من ثلاثة شهور !!

◆ « حتى هذا الموضع كان من السهل على أن أوضح لك كل شىء ، فان دوافعى الى الوقائع السالفة كانت واضحة لى • أما بعد ذلك فقد صرت أشبه برجل فى غيبوبة • فقدت سيطرتى على نفسى تماما ، ورغم علمى بحماقة تصرفاتى فانى مضيت فيها •• هل سمعت عن الاصابة بما يسمى « أموك » ؟

ـ تقصد ذلك الخبل أو الثمل المنتشر بين أهل الملايو ؟

ـ انه أكثر من ثمل ، بل أكثر من خبل • انه حالة تجعل الانسان يتحول الى شبه كلب مسعور ، أو قاتل مجنون •• أو قل انها اضطراب عقلى غريب مخيف ينشأ فى الغالب من طقس تلك البلاد الخانق الرطب المغبر الذى يرهق الاعصاب حتى تختل ، ويظهر خللها عند أول أزمة نفسية تصادف الشخص ، كالغيرة الشديدة أو الخسارة الفادحة فى القمار ، فتراه يهب فجأة واقفا ويتناول خنجره ثم ينطلق فى الطرقات يطعن به كل من يلقاه •• وكلما سالت دماء ضحاياه ازداد هياجا وصراخا وتمزيقا ، وقد انتثر الزبد والرغاء على فمه ، فيفر الناس من طريقه صائحين محذرين بعضهم بعضا : « أموك ! أموك ! »، وهو ماض فى القتل والذبح •• حتى يرديه أحدهم برصاصة كما تقتل الكلاب المسعورة !

« وهكذا كانت حالى أنا فى مطاردة تلك المرأة ! لم أكد أعرف اسمها وأين تقطن حتى عدت مسرعا الى منزلى فجمعت حوائجى الضرورية فى حقيبة ثم انطلقت فى سيارة على عجل الى أقرب محطة للسكة الحديد ، بغير أن أخطر ضابط المنطقة أو أدبر احلال طبيب آخر مكانى !٠٠ ثم ركبت أول قطار الى العاصمة فبلغتها بعد اثنى عشر ساعة ، واتجهت مباشرة الى دارها حيث أعطيت الخادم بطاقتى ٠٠ لكنه عاد يقول لى أن سيدته ليست على ما يرام ولا تستطيع أن تستقبل أحدا !٠٠ فخرجت أتسكع فى الطرقات حتى صادفت فندقا استأجرت فيه غرفة وطلبت زجاجتى ويسكى جرعتهما عن آخرهما فى تلك الليلة ، بل وجرعت فوقهما جرعة قوية من « الفيرونال » قبل أن أغيب أخيرا عن وعيى فى اغفاءة عميقة كانت بمثابة فترة الراحة الوحيدة فى ذلك السباق الرهيب بين الحياة والموت ٠٠! »

❖

❖ **ودقت الساعة الثانية ، فازعجت دقاتها المفاجئة محدثى ، الذى رفع كعادته زجاجة الخمر الى فمه قبل أن يتمالك روعه فيستطرد :**

« ومن العسير أن أصف لك حالى فى الصباح التالى ، فقد كنت أشبه بمحموم ، بل كنت أعانى ثورة نفسية تقرب من الجنون! كيف لا ولم يكن قد بقى على موعد وصول الزوج الغائب غير ثلاثة أيام تعسة هى كل فرصتى لانقاذ المرأة من مأزقها !؟٠٠ وكنت الآن على استعداد لان أرتكب جريمة كى أتمكن من انقاذها وأعتذر لها عن حماقتى الجنونية ٠٠ ولكن ، كيف السبيل الى ذلك وهى تجهل نيتى ومن ثم ترفض رؤيتى ؟!٠٠ كان موقفى أشبه بموقف شخص يعدو وراءك كى يحذرك من قاتل ، فاذا أنت تحسبه هو بعينه القاتل فتمعن فى الفرار منه، نحو حتفك!

« وفى غمرة يأسى وحيرتى خطر لى أن أزور نائب الحاكم ، الذى كنت قد عالجته من كسر ساقه ، كى أشغل نفسى عن التفكير المضنى فى مشكلتى بعض الوقت ٠٠ فرحب الرجل بى

أيما ترحيب ، ودعانى الى حفلة ساهرة تقام فى المساء فى دار الحاكم العام ويحضرها علية القوم وزوجاتهم ٠٠ ووثب الى ذهنى خاطر مشجع : ترى هل ستحضرها « هى » ؟

« وقبل موعد الحفلة بأكثر من ربع ساعة كنت هناك ٠ وبعد فترة خلتها دهرا بدأ المدعوون الآخرون يتوافدون ٠٠ وفجأة ، رأيتها تدخل القاعة ! هى بعينها ! وكانت ترتدى ثوبا للسهرة من الحرير الاصفر تبدو منه كتفاها العاجيتان عاريتين ٠٠ ورغم أنى تعمدت الاقتراب من مكانها أكثر من مرة ، فانها لم ترني ، أو بالاحرى لم ترد أن ترانى ! ورأيتها تتحدث وسط جماعة من المدعوين فى طلاقة ومرح ٠٠ فجن جنونى ، رغم يقينى بأن مرحها متكلف ! كيف لا وقد كنا فى مساء الاربعاء ، وزوجها قادم يوم السبت ؟٠٠ ورحت أحدث نفسى فى غيظ : « كيف تستطيع أن تبتسم هكذا فى غير مبالاة ، وتعبث بمروحتها ، بدلا من أن تحطمها بقبضتها المتقلصة ؟٠٠ أنا الغريب كنت أرتجف هلعا مما ينتظرها ٠٠ أنا الغريب تألمت يومين كاملين لالمها ، فهل يمكن أن تكون ابتسامتها الا قناعا يخفى العاصفة التى تصطرع فى أعماقها ؟

« وانبعثت من القاعة المجاورة أنغام موسيقى الرقص ، فتقدم ضابط فى منتصف العمر يطلب مراقصتها ، فأعطته ذراعها وسارت معه نحو حلبة الرقص ٠ وكان لابد أن تمر بالقرب منى ، فلما التقى بصرانا أجفلت قليلا ، لكنها تمالكت نفسها

فأومأت الى بحركة ودية وغمغمت بصوت ناعم : « طاب مساؤك يا دكتور » ثم مضت فى طريقها !٠٠ واستبدت بى الحيرة : ما الذى جعلها تحيينى علانية ؟ أهى محاولة منها للتقرب ، وعرض للصلح؟ أم أنها فعلت ذلك بتأثير المفاجأة ؟ كل ما أستطيع الجزم به أن عبارتها ونظرتها قد أثارتا من جديد كامن انفعالى ، فلم أستطع نقل بصرى عنها طيلة الرقصة ٠٠ فلما مرت بى بعد انتهائها وهى متعلقة بذراع مراقصها رمقتنى بنظرة غاضبة آمرة ، كأنهـــا تقول : « لا تلفت الانظار الى على هـــذا النحو الفاضح ! » ٠٠ وانى لموقن الآن ــ وأنا أعض اصبع الندم ــ أننى لو انصرفت ساعتئذ فى هدوء ثم طرقت فى الغد بابها فانها كانت ستستقبلنى مرحبة ٠٠ فقد كان كل ما تبغيه منى أن أتصرف بحكمة وتكتم ! لكنى برغم ادراكى ذلك وجدتنى مسوقا بقوة لا تقاوم الى ملاحقتها بخطواتى ونظراتى الفاضحة أينما تحركت ، كانسان يسير فى نومه أو دمية شـــدت اليها بخيوط غير منظورة !٠٠ حتى نفد صبر المسكينة آخر الامر فاستأذنت من مضيفيها فى الانصراف ، متعللة بالتعب ، وأومأت لنا برأسها ايماءة ودية شملتنى مع الآخرين ، ثم استدارت مبتعـــدة ٠٠ لكنها لم تكد تبلغ أقصى القاعة حتى تنبهت أنا فجـــأة الى أن الفرصة التى طالما تحينتها للتفاهم معها والتكفير عن فعلتى توشك أن تفلت منى ، ربما الى غير رجعـــة ٠٠ **فلم أدر الا وقد انطلقت أعدو عبر القاعة الفسيحة محاولا اللحاق بها!٠٠ وتطلعت الانظار كلها الى بطبيعة الحال ، فغلبنى الاحساس بالعار، لكنى عجزت مع ذلك عن التوقف حتى لحقت بها فعلا عند الباب ، فاســـتدارت الى وعيناها تقدحان بشرر خفى ، وخياشيمها تختلج ازدراء ٠٠ لكنها فى طرفة عين تمالكت غضبها وانفجرت ضاحكة ، ثم قالت ببديهة حاضرة وصوت مسموع من الجميع :**
« آه ، أحسبك قد تذكرت أخيرا يا دكتور تذكرة الدواء التى طلبتها منك لابنى الصغير ٠٠ يا لضعف ذاكرتكم يارجال العلم !»

« وأعجبنى حسن تخلصها ، واستجبت لحيلتها البارعة ، فأخرجت دفتر تذاكرى الطبية من جيبى ونزعت منه تذكرة « بيضاء » قدمتها اليها وأنا أتمتم معتذرا .. فتناولتها منى مبتسمة وحيتنى ثم انصرفت !.. وأيقنت أنهـا قد أنقذت الموقف ، لكنى أيقنت أيضا أن موقفى الشخصى منها قد صار ميؤوسا منه ، وانها لا بد باتت تمقتنى وتزدرينى بحيث أنى مهما طرقت بابها فسوف تردنى فى كل مرة خائبا كالكلب !

« وفى نوبة يأسى الغامر اتجهت صوب البار ، وقد تمزقت أعصابى ، فجرعت أربع كؤوس متوالية من الخمر ثم تسللت الى الخارج من باب جانبى ، كاللص ، متجنبا تعريض نفسى للعيون الساخرة .. **وحين احتـوانى الطريق سرت بمحاذاة أرصفة الميناء ، أحدق فى المياه السوداء ، وضحكة الازدراء التى قابلت بها المرأة مراودتى الدنيئة لها فى لقائنا الاول ترن فى أذنى كالطبل المدوى ، مختلطة بضحكتها ــ الامر والانكى ــ التى تسترت بها الليلة على حماقتى الجديدة !..** وشعرت بأسف موجع على أنى لم أحمل معى مسدسى ، كيما أفرغ رصاصة فى رأسى وأنهى آلامى فى قاع هذه المياه الساكنة .. وتمكنت منى هذه الفكرة فمضيت أجرجر ساقى المتعبتين نحو غرفتى بالفنـدق وقد اعتزمت أن أضع لحياتى حدا !

« ولئن كنت قد تراجعت عن عزمى فى تلك الليلة ، فما كان تراجعى بدافع الجبن .. بل بدافـع الفكرة التى تملكتنى كالكابوس المروع فجن لهـا جنونى : فكرة أن المرأة ما تزال فى حاجة الى ، فقد كنا مقبلين على صباح الخميس ، ولن ينقضى يومان حتى يصل زوجها ! ولم يكن يساورنى أدنى شك فى أن هذه المرأة الابية لا يمكن أن تعيش لتواجه العار الذى يلحقها من انكشاف زلتها !.. وهكذا قضيت تلك الليـلة أذرع غرفتى كالمجنون وأنا أدير هذه الافكار فى رأسى ، وأبحث عن مخرج للمرأة من ورطتها ، ولى من ورطتى !.. كيف أصل اليها ،

وأقنعها بحسن نواياى ؟

« وأشرق على الصباح وقد استقر رأيى على الكتابة اليها ٠٠ فتهالكت على مقعدى وبدأت أكتب لها ، أى شىء ، كل شىء ، خطابا ذليلا سألتها فيه الصفح والمغفرة ، واصفا نفسى بالشر والخبل ٠٠ ثم ناشدتها أن تثق بى ، وتضع نفسها بين يدى ، رغم ما حدث ، كى أنقذها من محنتها الحاضرة ٠٠ وأقسمت لها اننى سوف أختفى بعد ذلك من البلدة ، من المستعمرة ، بل من الدنيا كلها ، ان أرادت !

« وسودت من هذا الكلام عشرين صفحة ٠٠ كان خطابا عجيبا أشبه بهذيان مخبول أو محموم ! وحين فرغت منه كنت أتصبب عرقا ، والغرفة تدور بى ٠٠ وفجأة خطر لى أن أضيف عبارة قد تلمس قلبها ، فاختطفت الريشة وكتبت على ظهر الورقة الاخيرة : « سأنتظر منك كلمة صفح ، فاذا لم تصلنى حتى الساعة السابعة مساء فسوف أطلق الرصاص على نفسى ! » ٠٠ ثم غلفت الخطاب وأرسلته مع أحد الخدم ٠٠ ولم يبق أمامى غير انتظار الرد !

❖

◆ وعاد محدثى يتلمس فى الظلام زجاجة الخمر ، ويجرع منها جرعة كبيرة. وفيما هو يعيدها الى مكانها بحركة عصبية انقلبت وسال ما بقى فيها ، فطوح بها بكل قوته الى البحر .. وبعد لحظات من الصمت الاخرس استطرد فى انفعال المحموم :

« انى لم أعد أومن بالله ، أو أخاف الجحيم ٠٠ فانه لا يمكن أن يكون أفظع مما قاسيته خلال الساعات التالية التى انقضت على فى تلك الحجرة الضيقة التى ألهبتها شمس الظهيرة ، وأنا أحدق فى عقارب الساعة الموضوعة على المنضدة أمامى ، والمسدس المجاور لها ٠٠ دون أن أتحرك ، أو آكل ، أو أشرب أو حتى أدخن ٠٠ وانما أتابع عقرب الثوانى فى دورانه اللانهائى وأنتظر ، وأنتظر ٠٠ كلا ، محال أن أصف لك عذاب ذلك اليوم ! حسبى أن أقول لك أنى لست أفهم كيف يمكن أن يقاسى

انسان تلك التجربة ولا يفقد عقله !؟

« وفى الساعة الثالثة والدقيقة الثانية والعشرين سمعت طرقا على الباب ، ورأيت أمامى غلاما يحمل ورقة مطوية ، بلا ظرف .. فاختطفتها منه ، وغامت السطور أمام عينى ! لم أستطع أن أميز حرفا حتى غمست رأسى فى الماء البارد فهدأ رونى قليلا وأمكننى أن أقرأ هذ العبارة : « فات الاوان ! ومع ذلك يحسن أن تبقى حيث أنت ، فقد أضطر الى استدعائك فى النهاية » !

« وكانت الرسالة بغير توقيع ، ومكتوبة بخط مضطرب ، ينبىء بالانزعاج، أو العجلة، أو الرعب، لست أدرى!. فانقبض قلبى ، لكنى أحسست مع ذلك بشىء من الارتياح الخفى : انها قد كتبت الى آخر الامر .. وصار حتما على أن أعيش كى ألبى نداءها حين تستنجد بى ! وأرضت هذ الفكرة غرورى فسبحت فى دوامة من الخيالات والآمال المجنونة ، كنت خلالها بين السبات واليقظة .. وفجأة انتفضت منها ساعة الفسق على صوت طرق لحوح على الباب ، وفى قفزة واحدة كنت أفتح الباب للغلام الصينى ، الذى هتف بى وقد شحب وجهه : « سيدى ، أسرع ! » .. فهبطت معه السلم عدوا الى حيث كانت عربة تنتظر أمام الباب . وسألته والعربة تنطلق بنا : « ماذا حدث ؟ » فنظر الغلام الى ، واختلجت شفتاه ، لكنه لم ينطق بحرف !.. ومضت العربة بنا من الحى الاوربى الى الاحياء الوطنية المزدحمة بالمارة ثم الى الحى الصينى ، حيث دلفت بنا الى حارة ضيقة .. ثم توقفت أمام منزل عتيق كئيب فى مدخله حانة أو ماخور من مواخير ممارسة الرذيلة وتدخين الافيون وايواء اللصوص ، التى تديرها فئة وضيعة من الصينيين فى جميع المدن الكبرى ببلاد الشرق الاقصى ..

« وطرق الغلام الباب ، ففتح مواربا فى حذر وأطلت منه عجوز صينية ، فدفعت الباب بكتفى واقتحمت المكان عبر ممر

ضيق قادنى الى غرفة صغيرة معتمــة تنضح برائحة الخمر والدم! ·· وسمعت صوت أنين فاتجهت نحو مصدره وأنا لا اكاد أميز شيئا فى الظلام ·· وهناك وجدتها ، راقدة على حشية قذرة تتلوى من الالم وتئن وتحشرج ، فمددت يدى أتلمس يدها ، واذا هى ملتهبة من الحمى ! وارتجفت وأنا أدرك حقيقــة ما حدث : لقد لجأت التعسة الى هذا المــاخور القذر فى طلب الخدمة التى ضننت بها عليها ! التمستها من قابلة جاهلة عاثت فى جسدها افسادا وشعوذة ·· !

« وصرخت فى طلب النــور ، فجاءتنى الشمطاء الكريهة بمصباح بترول ذى فتيلة مدخنة ! وددت لو أزهق أنفاسها ، ولكن ماذا كان يجدى ذلك فى الموقف؟ ·· وانطرح ضياء المصباح الشاحب على جسد الضحية المهيضة ، وللحال نسيت غضبى وانفعالى وصرت ــ فى طرفة عين ــ الطبيب الذى يخف بعلمه وفنه لاسعاف مريضة تتألم ، ويقبل على الاشتباك فى معركة مع قوى الفناء والعدم !

« ومررت بيدى على الجسد العارى الذى اشتهيته منــذ قليل ، فلم أر فيه الآن غير جسد مريض ينازع الموت بكل ما بقى من قواه · وتبينت أن المعركة تكاد تكون خاسرة ، ما لم تحدث معجزة ·· فقد غاض من الجريحة دم الحياة أو كاد ، ولم يكن حولى فى الماخور القذر شىء أستعين به على ايقاف النزيف ، ولا حتى وعاء نظيف وماء غير ملوث ! ·· فهتفت بالجريحــة فى لوعتى : « يجب أن أنقلك الى المستشفى فورا » ·· لكنهــا ناشدتنى متوسلة بصوت باك اجتمع فيه عذاب النفس الى عذاب الجسم : « لا ، لا ، بل أفضل أن أموت ·· ينبغى ان لا يعلم أحد ! خذنى الى البيت ·· »

« وفهمت ·· كانت سمعتها أغلى عندها من حياتها ! ·· فهمت ، وأطعت ·· فحملناها نصف ميتة على محفة الى مخدعها حيث بدأ الصراع ·· الصراع الطويل العقيم ، مع الموت !

❖

◆ **وهنا ضغط محدثى ذراعى بغتة حتى كدت أصيح من الالم والدهشة ، واقترب بوجهه منى فلمعت اسنانه وزجاج نظارته فى ضوء النجوم الشاحب قيد شبر من أنفى .. وحين أستأنف أعترافه كان صوته مزيجا من الفحيح والحشرجة .. كان ينشج بقدر ما كان يتكلم :**

« .. هل تفهم معنى أن ترى انسانا يموت ؟ هل جلست يوما على حافة فراش شخص يحتضر ، ورأيت الرعب المروع يرتسم فى عينيه ؟ لقد قاسيت أنا – كطبيب – هذه التجربة مرارا ، ودرست الموت كواقعة « طبية » ، لكنى لم ألمسه عن كثب غير مرة .. مرة واحدة عشت مع انسان ، ومت معه !.. مرة واحدة فقط ، منذ بضع ليال ، حين سهرت أمام فراش ضحيتى أنهش ذهنى تنقيبا عن طريقة لايقاف سيل الدماء النازفة ، واطفاء حدة الحمى التى كانت تفترسها أمام عينى ، وأنا عاجز عن انقاذها !.. هل تعرف معنى أن تكون طبيبا ، مهمتك الوحيدة اغاثة المرضى ، ثم تجلس مع ذلك مسلوب الحول والطول أمام فراش محتضر ، تجس نبضه وهو يضعف ويغيض رويدا رويدا ؟.. كانت يداى مغلولتين، لم يكن فى وسعى غير أن أجلس وأرقبها تموت !.. ولست أفهم كيف يبقى الانسان حيا بعد تجربة كهذه ، لماذا لا يموت مع الميت ؟ وكيف يستطيع أن ينهض فى الصباح التالى فيغسل أسنانه ويعقد رباط رقبته ، ويواصل نظام حياته المألوف ، كأن شيئا لم يحدث !

« وضاعف من عذابى وأنا أشهد الحياة تضمحل من بدنها ببطء ، احساسى بنظرة ثابتة تكاد تثقب ظهرى ! كان الغلام الصينى قد جلس ورائى القرفصاء ، يغمغم مصليا بلغته الخاصة ، ويرمقنى كل حين بنظرة ملتاعة متوسلة ، ككلب أمين يلتمس غوثا ، ثم يرفع يديه الى – كما يبتهل الى آله – أنا المخلوق الضعيف العاجز الذى كنت أعلم عقم المحاولة ، بل أعلم أن وجودى فى الحجرة لم يكن فيه نفع للمريضة أكثر من أية حشرة ضئيلة تسعى على الارض !

« وقرب مطلع الفجر استردت المحتضرة وعيهـــا ، أفاقت من تأثير حقنة المورفين التى أعطيتها لها كى تخفف من آلامها ٠٠ وعندئذ فتحت عينيها اللتين لم تعودا مترفعتين ، باردتين ، وانما تأجج فيهمـــا لهيب الحمي ـ وأجالت بصرها فى أرجاء الغرفة ، فلما وقع على تريث برهة حائرا ، منكرا ٠٠ ثم عرفتنى آخر الامر ، فحاولت أن تتكلم ، لكن تنفسها الشاق لم يسعفها ٠٠ فانحنيت أنا عليها كى أسمع أخفت همسها ، واذ ذاك نظرت الى نظرة تفطر القلب، واختلجت شفتاها : « لن يعرف الحقيقة أحد ؟٠٠ أبدا ؟ » ٠٠ فأجبتها مطمئنا : « لا أحـــد ٠٠ أعدك بذلك ! »

« لكن نظرتها ظلت قلقة ٠٠ وبمجهود عنيف استطاعت أن تتنفس هذه الكلمات : « اقسم لى ٠٠ أن ٠٠ أحـــدا ٠٠ لن يعرف ٠٠ اقسم لى ! » ٠٠ فرفعت يدى وأقسمت ٠٠ وعندئذ نظرت الى ، رغم ضعفها ، نظرة شكر وامتنان ٠٠ نعم ، برغم كل الضرر الذى أصابها منى فانها شكرتنى أخيرا ، وابتسمت!٠٠ وبعد لحظات بدأ صراع النزع الرهيب ، وحشرجته المروعة ٠٠ واستمرا ساعة كاملة ٠٠ وقبل أن يشرق النهار ، كان كل شئ قد انتهى !

❖

◆ وصمت محدثى ، واستند الى الوراء منهوك القوى .. ولم تلبث ان دقت الساعة الثالثة . كانت النجوم قد شحبت ، وهبت نسمات منعشة رقيقة ، تبشر بالفجر الذى يشرق مبكرا فى المناطق الاستوائية .. فبدأت أتبين طلعة محدثى بوضوح ، وقد ارتسم عليها البؤس والتعاسة .. وما غتم ان استطرد ، بلهجة تنضح بالمرارة :

« انتهى كل شئ بالنسبة لها هى ، وليس لى!٠٠ فقد كنت وحيدا مع الجثة، فى بيت غريب، فى بلدة تنتشر فيها الشائعات بسرعة النار فى الهشيم !٠٠ وأخذت أتدبر موقفى : لقد أقسمت للفقيدة أن أصون سرها ، وقد كانت امرأة ذات مركز مرموق فى مجتمعات المستعمرة، ومنذ ليلتين فقط كانت ترقص فى سهرة

الحاكم العام، وهى فى أتم صحة! ٠٠ فكيف أعلل موتها المفاجىء، والى أى مرض أعزوه ؟ وكيف أواجه سيل الاسئلة الذى ستواجهنى به السلطات المسؤولة ٠، والاصدقاء والزوج !

« وبدأت فأوصيت الغلام الصينى بالكتمان التام ، تحقيقا لرغبة سيدته الاخيرة ، ثم جعلته يزيل بقع الدم من أرض الغرفة ومحتوياتها ٠٠ وزعمت بعد ذلك أن المرأة قد أصيبت بحمى من تلك الحميات المفاجئة المستوطنة ! ٠٠ ولكن بقيت أمامى المهمة الكبرى المستعصية : أن أقنع بمزاعمى هذه طبيب الصحة المختص بتحرير شهادة الوفاة والترخيص بالدفن ، بعد الكشف على الجثة !

« وكان الطبيب المذكور بحكم منصبه رئيسى ، وكان يحقد على بسبب السمعة الطيبة التى ذاعت عنى فى المنطقة فجعلت منى ، دون قصد ، منافسا خطيرا له ! ٠٠ فلما التقينا عند فراش الراحلة وضيق على بأسئلته الخناق ، اضطررت للاعتراف له بالسبب الحقيقى لوفاتها ، وطالبته بمعاونتى على الوفاء بوعدى المقدس لها بصيانة سرها ٠٠ لكنه أبى واستكبر أن يضع توقيعه على شهادة زائفة ! وهنا لم أجد بدا من تهديده باطلاق الرصاص عليه فى التو واللحظة اذا لم يستجب لطلبى ، واعدا اياه فى مقابل ذلك بالرحيل من البلاد نهائيا على أول باخرة ، واراحته من منافستى مدى الحياة !

« وحين اطمأن الوغد الى هذا الوعد كتب الشهادة المطلوبة ، بل وتعهد باغلاق النعش وختمه فورا ، قبل وصول الزوج الغائب ! ٠٠ ثم شد على يدى محييا وانصرف ٠٠ وبانصرافه خذلتنى البقية الباقية من قواى فسبحت الغرفة أمام عينى وسقطت بجوار فراش الميتة مغشيا على ٠٠!

« وبعد فترة لا أدرى مداها تنبهت من اغمائى على صوت الغلام الصينى يدنو منى مغمغما أن شخصا جاء ليرى سيدته ٠٠ فلما نهيته عن ادخاله بدا عليه التردد والحياء ، شأن من يريد

الكلام ولا يجرؤ ! كان المسكين يتعذب ٠٠ فصحت به : « من يكون الزائر؟ » ٠٠ واذ ذاك ارتجف ككلب لوح له سيده بهراوة ، واكتفى بأن قال فى وجل : « انه هو ! »

« وأدركت من يعنى ٠٠ فتملكنى فضول شـديد الى رؤية الفارس المجهول الذى كانت الاحداث السابقة قد أنستنى وجوده تماما ٠٠ الرجل الذى أحبته هذه المرأة ومنحته من نفسها ما ضنت به على !٠٠ ولو كنت رأيته فى اليوم السابق فقط لوددت أن أمزقه وأنهش لحمه ، أما الآن فقد شعرت أنى أحببته ٠٠ لانها أحبته !

« ودلفت الى الحجرة المجـاورة ، فرأيت فى وسطها شابا حدثا ، نحيل الجسم ، شاحب الوجه ، يرتدى زى الضـباط ويبدو عليه الحياء والارتباك ٠٠ كان أشبه بطفل ، وان حاول جهده أن يظهر بمظهر الرجل ! ورأيت هيئته تطابق الصورة المثالية التى تمنيت أن يكون عليها عشيق تلك المرأة ، صورة الفتى الرقيق المراهق ، لا النذل الواثق من نفسه ، المحترف اغواء النسـاء ٠٠!

« وكأنما زادت من ارتباك الفتى نظرتى الفاحصة ، فاختلج وجهه كمن يوشك أن ينفجر باكيا ، ثم تمالك نفسه فقال : « لست أريد أن أقحم نفسى ، ولكن بودى لو أستطيع رؤية (مدام بلانك) ٠٠ مرة أخيرة ! »

« ودون أن أدرى ما أنا فاعل أحطت كتفيه بذراعى وقدته الى مخدع الراحلة ، حيث تركته أمام فراشها وانسحبت الى أقصى الغرفة ٠٠ وعلى حين غرة تهـاوى الشاب على ركبتيه وانخرط فى البكاء المر ! وحين هدأ انفعاله أنهضته على قدميه وأجلسته على كنبة مجاورة ، وجلست بجانبه أربت على شعره الاشقر الناعم ، فأخذ يدى فى يده وضغطها بتأثر ثم قال :

– صارحنى بالحقيقة يا دكتور ٠٠ ألم تقتل نفسها ؟

– كلا ٠٠

ـ وهل يوجد شخص يلام على موتها ؟
ـ كلا ..

« قلتها وأنا أقمع هاتفا داخليا يصرخ فى أعماقى : « نعم .. أنا! .. أنا ، وأنت.. كلانا ملوم، وثالثنا كبرياؤها التعس!».. لكنى قمعت هذه الصرخة وعدت أكرر على مسمعه : « كلا ، لا أحد يلام على موتها .. وانمـــا هو قدرها المحتوم ! » ..
فاستطرد حائرا : « انى .. عاجز عن ادراك الامر . انه يبدو لى عسير التصديق.. فمنذ ليلتين فقط كانت فى الحفلة الساهرة، وأومأت لى وابتسمت .. فكيف حدث ذلك ، كيف تموت بهذه السرعة .. والسهولة ؟ »

« وسردت عليه سلسلة من الاكاذيب !.. حتى عن عشيقها كان ينبغى أن أصون سرها !.. وهكذا لم يعلم الغرير أنهـا حملت منه ، وماتت ضحية محاولتها التخلص من ثمرة حبهما !.. وقضينا ذلك اليومْ واليومين التاليين فى أحاديث « أخوية » ، وقد شعرنا كأن ذكرى الميتة تربط بيننا بأوثق رباط .. وفى هذه الاثناء وصل الزوج الغائب ، بعد أن أغلق النعش وختم ، فثارت شكوكه .. وانتشرت الشائعات فى البلدة كلها ، فراح التعس يبحث عنى فى كل مكان ، كى يسمع منى تقريرا مباشرا مفصلا عما حدث !.. لكنى تجنبت لقاءه ، اختبأت أربعة أيام بلياليها فى منزل العشيق المكلوم ، وخلالها حصل الفتى لى على جواز ســـفر باسم مستعار ، فتسللت تحت جنـــح الظلام ـ كاللص ! ـ الى السفينة الصغيرة المبحرة الى سنغافورة ، تاركا ورائى كل ممتلكاتى ، وثمرة عملى وأبحاثى طيلة سبع سنوات ، بل وحقى فى المكافأة المدخرة لى .. فانى لم أطق أن أواصل العيش فى ذلك البيت ، فى تلك البلدة ، فى ذلك العالم الذى يذكرنى كل ما فيه بها ، وبنذالتى معها ..!

« لكن محاولتى كانت عقيمة .. فعلى أثر ركوبى السفينة رأيت صندوقا ضخما يرفع الى ظهرها : كان نعشها ! نعشها

الذى فررت منه قد تبعنى ، وجاء يطاردنى ! ومعه زوجها ٠٠ انه فى طريقه الى انجلترا ، حيث وطنها وأهلها ، ولعله ينوى أن يعيد فتحه هناك للكشف على الجثة وتحقيق أسباب الوفاة !٠٠ وفى سنغافورة انتقلت الى هذه الباخرة، وانتقل معى النعش ، والزوج !٠٠ لكنى ما زلت أسهر على حراستها ، وسأحرسها الى النهاية ٠٠ انه لن يعرف سرها ! سوف أدافع عنها الى آخر نسمة ضد الرجل الذى لقيت حتفها هربا منه !٠٠ انه لن يعرف شيئا على الاطلاق ، فان سرها يخصنى وحدى ، ولا يخص أحدا فى الوجود سواى !٠٠ أتفهم ؟ أتفهم لماذا أنفر من بقية المسافرين ولا أطيق سماعهم يضحكون ويثرثرون ويرقصون ويتبادلون غزلهم الاحمق ، فى الوقت الذى يرقد فيه جسدها فى قاع السفينة بين صناديق الشاى والبندق البرازيلى ؟ انى أعرف ما تنتظره منى ٠ لقد بقى أمامى شىء أفعله أيضا من أجلها ، فان سرها لم يصبح بعد آمنا ٠٠ وحتى يصبح كذلك سيظل وفائى بقسمى لها ناقصا ! »

◆ وانبعث من وسط السفينة ضجيج خطوات واصوات البحارة وقد هبوا من رقادهم ليشرعوا فى تنظيف السطح وغسله .. فقفز محدثى واقفا وقد بدا عليه القلق ، وغمغم : «يجب أن انصرف الان !» .. ثم مضى عنى وهو يحدجنى من عينيه الحمراوين ـ بتأثير البكاء والشراب ـ بنظرة يختلط فيها اليأس ، والندم ، والخجل من نفسه لكونه فتح قلبه لى ، وكشف عورته ..!

ولم اره مرة اخرى ، رغم بحثى عنه فى كل مكان من السفينة !.. اختفى تماما كان البحر قد ابتلعه .. بحيث كنت لاتهم نفسى بانى لم اره الا فى وهمى وهذيانى ، لو لم اصادف بين الركاب رجلا يضع على ذراعه شارة الحداد ، قيل لى انه هولندى ماتت زوجته حديثا بالحمى !.. وكان منزويا منطويا على نفسه ، يجتر حزنه العميق فى صمت ، فكنت كلما التقيت به اشيح بوجهى عنه خشية ان يقرا فيه انى اعرف عن ماساته اكثر مما يعرف هو !

وفى ميناء نابولى وقع الحادث الذى اشرت اليه فى البداية ، والذى لم اكن لاهتدى الى تفسيره الا على ضوء قصة ذلك الغريب !.. كان اكثر الركاب

قد نزلوا الى البر كما ذكرت ليطوفوا بمعالم المدينة .. وكنت قد قضيت امسيتى فى الاوبرا ثم تعشيت فى أحد مقاهى حى « فيا روما » الزاهرة .. واثناء عودتى فى الزورق الشراعى الى السفينة رايت حركة غير عادية تجرى حولها : قوارب تروح وتجىء برجال يحملون مشاعل وبطاريات يفحصون الماء على ضوئها .. وبحارة على السطح يتهامسون فى خفوت !.. وحين وصلت سألت أحدهم عما هنالك ، لكنه راغ منى فى الاجابة ، شان من أوصى بالكتمان التام !.. وفى الصباح التالى ، ونحن فى عرض البحر ، اصطدمت بنفس التحفظ .. حتى بلغنا «جنوا» فقرأت فى احدى صحفها وصفا لما حدث فى الليلة السالفة فى ميناء نابولى : قالت الجريدة ان نعشا يضم جثمان سيدة رفيعة المقام من سكان جزر الهند الهولندية كان يدلى من السفينة الى القارب الذى اعد لحمله الى الشاطىء ـ تمهيدا لنقله برا الى انجلترا ـ وبينما النعش يتوسط المسافة بين ظهر السفينة والزورق ، وكان يجلس فيه زوج تلك السيدة ، فوجىء الجميع بسقوط جسم ثقيل من السطح جرف النعش معه الى قاع البحر ، بعد أن اصطدم بالزورق فاغرقه ! وكان من حسن الحظ ان من فيه انقذوا فلم تقع خسائر فى الارواح .. اما النعش فقد تعذر انتشاله ..!

ثم اضافت الجريدة : «ان سلطات السفينة فسرت الحادث بأن شخصا مخبولا القى بنفسه فى تلك اللحظة من فوق السطح فاصطدم بالنعش صدمة قطعت الحبل الذى كان يدلى بواسطته !.. ولكن لعل قصة ذلك الجسم الثقيل الذى قيل أنه سقط فوق النعش قد اخترعت لتغطية خطأ المسؤولين عن انزاله من السفينة بواسطة حبل ضعيف بال لم يحتمل ثقله فانقطع وهوى به من حالق ! »

.. وفى مكان آخر من نفس الجريدة نشر خبر صغير مؤداه انه قدانتشلت من ميناء نابولى جثة رجل مجهول الشخصية فى نحو الخامسة والثلاثين !.. لكن احدا لم يخطر بباله أن يربط بين النبأين !

اما انا فلم اكد اطالع تلك السطور حتى قفز الى خيالى فجاة من بين ثناياها ذلك الوجه الشاحب التعس ذى العوينات البراقة ، الشبيه بوجه شبح !.. وجه محدثى الدكتور «..» الذى سردت قصته فيما سبق ...

رياضة الذهن

غوامض القصص البوليسى !

عزيزى القارىء ...

يخطىء من يغض من قدر القصص البوليسية - أقصد الجيد منها - ويصفها بالتفاهة وضآلة النفع .. فمما لاشك فيه انها تنمى فى الذهن ملكة الخيال وتزيده سعة فى الافق .. ومما يؤثر عن الفيلسوف المعاصر « برتراند رسل » - الفائز بجائزة نوبل الادبية فى العام المنصرم - انه رؤى يحمل تحت ابطه ثلاث روايات بوليسية قرأها فى ليلة واحدة !

وسوف اقدم اليك فى هذا الباب بين الحين والحين قصة من اقوى ماكتب اساطين القصة البوليسية فى العالم ، وهم : اجاثا كريستى ، ادجار الان بو ، آرثر كونان دويل ، ادجار والاس ، موريس لبلان ، فيليبس أوبنهايم ، وعشرات غيرهم من كتاب القصة البوليسية العالميين ..

وعن طريقهم سوف تستمتع بتتبع مغامرات أصدقائك المحبوبين : شرلوك هولمز ، آرسين لوبين ، هركول بوارو - بطل قصة هذا العدد - واوجست دوبان .. الخ

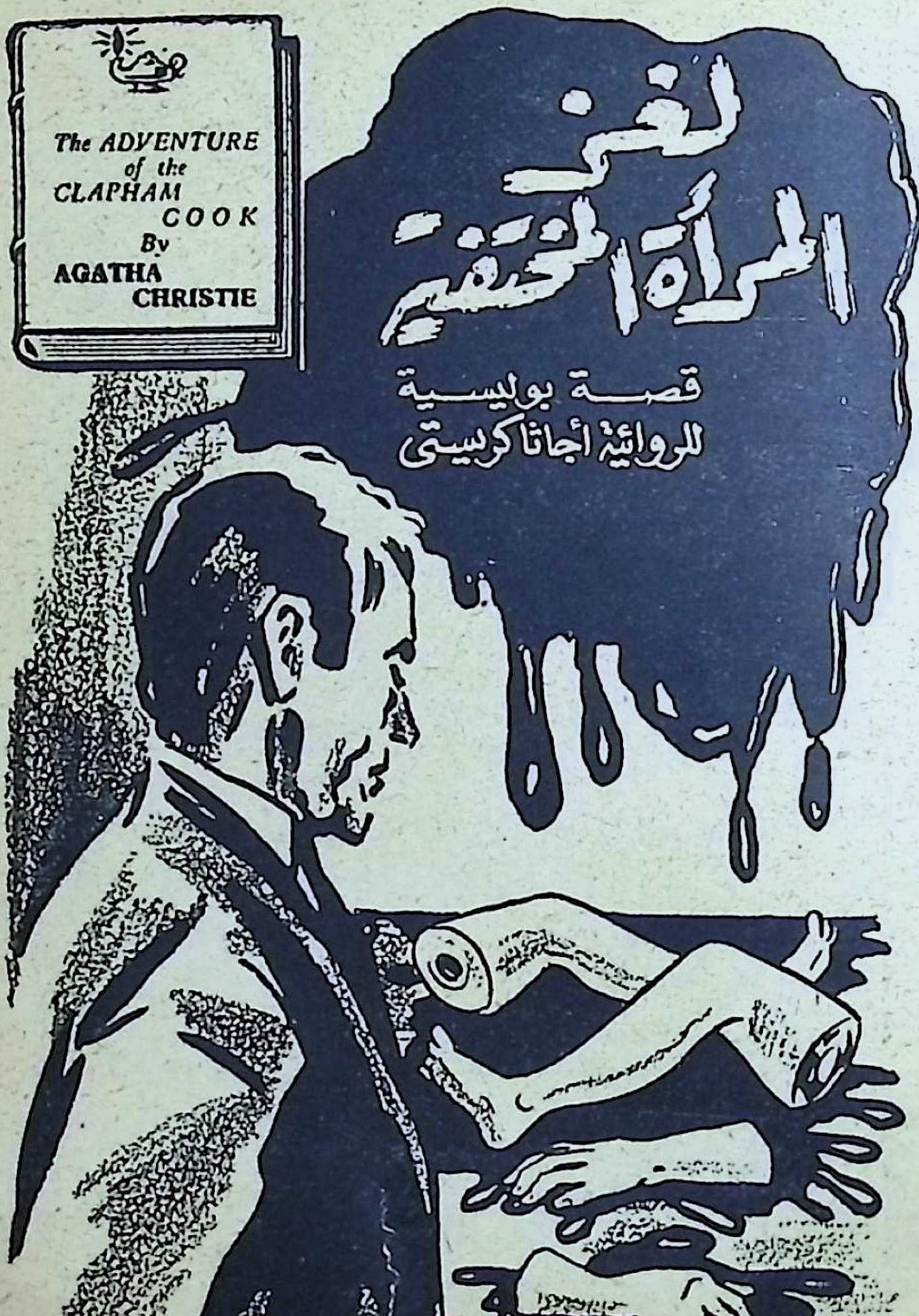
The ADVENTURE of the CLAPHAM COOK
By AGATHA CHRISTIE
لغز المرأة المختفية
قصة بوليسية
للروائية أجاثا كريستي

اختفاء غامض !

◆ فى الفترة التى كنت فيهـا أشارك فى المسكن صديقى « هركول بوارو » ـ رجل البوليس السرى البلجيكى المشهور ـ اعتدت أن أقرأ له كل صباح العنـاوين الرئيسية التى تملأ صدر الصـحيفة المعروفة « ذى ديلى نويز » The Daily Noise التى كانت تحسن استغلال كل فرصة لاثارة فضـول القراء وانفعالهم ، فلم تكن أنباء السرقات وجرائم القتل تختبىء فيها فى الصفحات الخلفية ، بل كانت تطالعـك فى أبرز مكان من الصفحة الاولى ، وبأضخم الحروف !

وفى اليوم الذى تبدأ فيه حوادث هذه القصة كانت تملأ صدر الصحيفة العناوين المثيرة التالية :

« موظف فى بنك يفر بخمسين ألف جنيه ! »
« زوج ينتحر !٠٠ مأساة حياة بيتية تعسة »
« اختفاء فتاة فى الحادية والعشرين !٠٠ أين هى ؟ »

لكن « بوارو » لم يبد أدنى اهتمام بهذه الجرائم ، بل اكتفى بأن هز رأسه فىهدوء وقال: « انى أشعر اليوم بتكاسل عجيب، بحيث لن تغرينى بالتحرك من مقعدى الا قضية شائقة حقا ! »

وفى هذه الاثناء دق جرس الباب ، وكانت الطارقة سيدة ذات وجه أحمر وجسم يميل للبدانة ، وكانت تلهث من صعود السلم ، فغاصت فى أقرب مقعد وهى تسألنى : « هل أنت مسيو بوارو ؟ » ٠٠٠ فأجابها صديقى : « أنا هو يا سيدتى ٠٠» وعندئذ حدجته بنظرة تنم عن خيبة الامل ، وقالت : « انك لا تشبه فى شىء الصورة التى كانت فى ذهنى لك !٠٠ ولكن دعنا من هذا ، ولاذكر لك ما أريده منـك ٠ أريدك أن تعثر على طاهيتى ٠٠ »

نظر بوارو الى المرأة فى دهشة ، وقد خانه لسانه اللاذع لاول مرة ، بينما أشحت أنا بوجهى لاخفى الابتسامة العريضة التى لم أستطع قمعها ٠٠ فى حين واصلت الزائرة كلامها : « ان الذى يفسد الخادمات فى هذه الايام تلك الآراء الحديثة ٠٠ فهن جميعا يردن أن يصرن كاتبات على الآلة الكاتبة ، أو يقمن بأى عمل عدا الخدمة فى البيوت !٠٠ والا فما الذى تستطيع خادماتى الشكوى منه ؟ انى أمنحهن أجازة نصف يوم كل اسبوع ، علاوة على يومى أحد كاملين كل شهر ! وهن يتناولن نفس الطعام الذى نأكله نحن ، وهو طعام ممتاز لا ينقصه شىء ! »

ثم توقفت المرأة لتلتقط أنفاسها ، فانتهز بوارو هذه الفرصة ليجيبها بلهجة الاباء والترفع وهو ينهض واقفا : « أخشى أن تكونى قد أخطأت الطريق يا سيدتى ، فليس من شأنى أن أحقق شكاوى الخدم وأخوض فى ظروف حياتهم ، وانما أنا رجل بوليس سرى خاص ٠٠ »

فقالت الزائرة متعجبة : « أعلم ذلك ٠ألم أذكر لك أنى أريدك أن تبحث لى عن طاهيتى ؟ لقد خرجت من البيت يوم الاربعاء دون أن تترك أى ايضاح ، ولم تعد ثانية ! »

فأجابها بوارو فى اصرار :« أنا جد آسف يا سيدتى ، لكنى لا أشتغل بمثل هذه الامور ٠٠٠ سعدت صباحا ! »

فأخرجت الزائرة من حنجرتها « زئيرا » غاضبا ، وصاحت : « حقا ، أيها الرجل الشهم ؟ أرى أنك شديد الاعتداد بنفسك ! انك لا تهتم بغير أسرار الحكومات وجواهر السيدات الارستقراطيات ؟٠٠ اذن دعنى أقول لك أن الطاهية البارعة بالنسبة لامرأة من طبقتى لا تقل أهمية عن حلية من الماس ، فهى نادرة الوجود ، ونحن حين نفقدها نحس بمثل الخسارة التى تحسها بعض السيدات حين يفقدن جوهرة ثمينة ! »

لم يسع بوارو الا أن يضحك ويجلس ، قائلا لزائرته الساذجة الطيبة : « سيدتى ٠٠ ان ملاحظتك عادلة فى الواقع ، ولسوف تكون هذه القضية شيئا جديدا بالنسبة لى ، ولعلها هى القضية الخطيرة الشائقة التى كنت أطلبها من الاقدار قبل قدومك بلحظات ! حسن جدا ٠٠ تقولين ان طاهيتك « الماسية » خرجت يوم الاربعاء ولم تعد ؟ تعنين ان ذلك حدث أول أمس ؟

ـ نعم ، وقد كان يوم أجازتها الاسبوعية ٠

ـ ولكن لعلها أصيبت فى حادث ٠٠؟

ـ هذا ما فكرت فيه أمس ٠ لكنى فوجئت هذا الصباح بارسالها شخصا من طرفها لاخذ صندوق ثيابها ٠ ولم تعبأ الخائنة حتى بأن ترسل الى معه كلمة ايضاح ! آه لو كنت وقتئذ فى البيت ، لما تركت الرجل يأخذ صندوقها ، بعد أن عاملتنى هذه المعاملة !

ـ هل لك أن تصفى الطاهية لى ؟

ـ كانت امرأة فى منتصف العمر ، بدينة الجسم ، وقورة تعمل فى خدمتى منذ عشر سنوات ٠٠ وهى تدعى « اليزا دن »

ـ أو لم يقع بينكما أى خلاف يوم ذهابها ؟

ـ بتاتا ٠٠ وهذا ما يدهشنى ويحيرنى ؟

ـ كم من الخدم فى بيتك يا سيدتى ؟

ـ اثنتان ، والاخرى « آنى » هى التى تنظف البيت ٠٠

ـ وهل كانت العلاقة بينها وبين الطاهية على ما يرام ؟

ـ نعم ، ولو أنهما كانتا تختلفان أحيانا خلافات تافهة ٠

ـ وهل لم تستطع الفتاة القاء أى ضوء على الحادث ؟

ـ انها تزعم أنها لا تعرف شيئا يتصل باختفاء زميلتها ، لكنك أدرى بعقلية هؤلاء الخدم وتسترهم على بعضهم البعض !

ـ لن نغفل هذا الاحتمال ٠٠ أين تقطنين يا سيدتى ؟

ـ فى شارع « البرنس البرت » رقم ٨٨ ، « بحى كلافام »

ـ أعدك اذن بزيارتك فى بيتك خلال هذا النهار ٠٠

المرأة التى اختطفت !

◆ **وبعد** خروج الزائرة « مسز تود » ببعض الوقت انطلقت مع بوارو الى شارع البرنس البرت ٠٠ فلما بلغنا المنزل رقم ٨٨ فتحت لنـا الباب خادم نظيفة الهندام جميلة الوجـه ، ثم اسـتقبلتنا مسز تود مرحبة ، فانحنى لهـا بوارو فى أدب وطلب منها السماح باستجواب الخادمة « آنى » على انفراد ، فأدخلتنا ربة الدار الى حجرة استقبال صغيرة ثم انصرفت ، كارهة ٠٠ فبدأ بوارو أسئلته للفتاة ، وكانت بادية الفزع :

ـ والآن يا آنسة آنى ، دعينى أنبهك الى أن كل ما ستذكرين لى سوف يكون على أعظم جانب من الاهمية ، فأنت وحدك التى تستطيعين القاء الضوء على هذه القضية الغـامضة ، وبغير مساعدتك لن أستطيع أن أفعل شيئا !

واذ ذاك اختفى فورا من محيا الفتاة طابع الخوف ، وأجابت :

ـ حسنا يا سيدى ، سأذكر لك كل ما أعرف ٠

ـ عظيم !٠٠ والآن ما هو تفسيرك الشخصى لاختفـاء « اليزا » ؟ يبدو لى أنك فتاة ذكيـة ، فما رأيك الخاص فى المسألة ؟

ـ أعتقد يا سيدى أنها لابد قد اختطفت كمـا يحدث فى أمريكا ، وأن خاطفيها سـوف يحتفظون بها حتى تدفع الفدية المطلوبة منها ٠٠ أنا واثقة من ذلك !

قمع بوارو ابتسامته جاهدا ، ثم سأل الفتاة :

ـ لا شك أنها فكرة معقولة .. ولكن لو أنها قد اختطفت ، أكانت ترسل فى طلب صندوق ثيابها ؟

ـ لا أدرى ، لكنها لن تستغنى طبعا عن ثيابها أينما كانت !

ـ ومن الذى جاء يطلب الصندوق .. أكان رجلا ؟

ـ نعم يا سيدى ، من شركة « كارتر باترسون » للنقل .

ـ وهل أنت التى وضعت الثياب فى الصندوق وحزمته ؟

ـ بل لقد وجدته معدا ، ومحزوما بحبل ..

ـ معنى هذا أنها ذهبت وهى تنوى أن لا تعود ؟

ـ هذا صحيح يا سيدى . لقد فاتنى ذلك !

ـ وهل صرحت لك أليزا قبل رحيلها بأية عبارة يفهم منها عدم رضاها عن عملها فى هذا البيت ؟ هل كنتما سعيدتين هنا ؟

ـ انها لم تشر قط الى فكرة ترك البيت ، فالعمل هنا لا بأس به والطعام جيد وكثير . ونحن ننال أجازة اسبوعية ، هى يوم الاربعاء وأنا يوم الخميس .. ثم لو أن اليزا أرادت ترك الخدمة بمحض رغبتها لاخطرت على الاقل سيدتى بذلك قبل رحيلها بشهر ، كى لا تفقد أجر الشهر الاخير الذى يحق لسيدتى الآن خصمه منها ..!

ـ وهل عملك أنت هنا يرهقك ؟

ـ كلا يا سيدى ، رغم انى أخدم أيضا الساكن الآخر الغريب الذى يدفع لسيدتى أجرا . لكنه لا يتناول غداءه هنا بل فى عمله ، مثل سيدى ..

وألقى بوارو على الفتاة عددا آخر من الاسئلة ثم أذن لها فى الانصراف .. واستدعى ربة البيت ليستفسر منها عن زوجها ، فعلم أنه يعمل فى احدى الشركات فى وسط المدينة ولا يعود الى البيت عادة قبل الساعة السادسة مساء ! واستطرد بوارو :

ـ لا شك أن زوجك الآن منزعج ومهموم لهذه المسألة ؟

ـ انه لا ينزعج لشىء يا سيدى ! كل ما عساه يقوله فى حالة كهذه : « لا بأس يا عزيزتى ، يمكنك جلب طاهية أخرى . »

– وهل فى المنزل سكان آخرون يا مسز تود ؟

– يوجد مستر « سمبسون » ، الساكن بالاجر ٠٠ وهو لا يعبأ بغير تناول افطاره وعشائه فى الميعاد !

– ما هى مهنته يا سيدتى ؟

– انه يعمل فى بنك (٠٠٠)

– بودى أن أتحدث الى هذا الرجل والى زوجك بضع دقائق اذا لم يمانعا ، وسأعود لهذا الغرض فى المساء ٠٠

وودعتنا المرأة حتى الباب ، وحين دلفنا الى الطريق قلت لبوارو : « انه لامر يلفت النظر أن ذلك الموظف المدعو « ديفيز » الذى اختلس خمسين ألف جنيه وفر بها ، يعمل فى نفس البنك الذى يعمل فيه سمبسون هذا ٠٠ ترى هل يمكن أن تكون بينهما أية صلة ؟ »

فابتسم بوارو وأجاب : « من العسير تصور أية صلة بين حادث الموظف المختلس وحادث الطاهية المختفية ، اللهم الا اذا افترضنا أن ديفيز هذا قد زار زميله سمبسون فى بيت مسز تود ، فوقع فى غرام الطاهية وأغراها بالفرار معه ٠٠ !

اعداد الفخ

◆ وفى المساء عدنا الى منزل حى « كلافام » حيث قابلنا كلا من تود وسمبسون ٠ وكان الاول رجلا هادئا فى نحو الاربعين لم يكد بوارو يسأله عن رأيه حتى قال : « أوه ، ان الخدم جميعا يفعلون ذلك ، وقد قلت لزوجتى مرارا : ابحثى عن طاهية أخرى ، فلا جدوى من البكاء على اللبن المسكوب ! » ٠٠ أما « سمبسون » ، وكان شابا هادئا بدوره ، يضع عوينات على عينيه ، فقد وجدناه عاجزا هو الآخر عن تفسير لغز اختفاء الطاهية ، قائلا انه لم يرها منذ سكن المنزل غير مرات ، بعكس الخادمة الاخرى « الظريفة » التى تقدم له طعامه كل يوم ٠٠

وهكذا لم نخرج من استجواب الرجلين بمعلومات ذات بال ٠٠ وفى الصباح فوجئنا بخطاب من مسز تود تخطر فيه

بوارو بأنها لم تعد بحاجة الى خدماته ، بعد اذ تبينت سخف اللجوء الى البوليس السرى من أجل مسألة بيتية خالصة كهذه • ثم طوت المرأة خطابها على جنيه واحد « أجر المسيو بوارو مقابل استشارته » !•• فلم يكد بوارو يقرأ الخطاب حتى غضب وثار ، ورجح أن يكون مستر تود هو الموحى لزوجته بهذا الاجراء !•• ثم أقسم أن لايدع القضية قبل أن يهتدى الى حلها ، ولو أنفق عليها من جيبه الخاص مئات الجنيهات !•• وحين هدأت ثائرته أملى على الاعلان التالى ، طالبا نشره فى جميع الصحف لمدة أسبوع، وهذا نصه: « المرجو من « اليزا دن » أن تتصل بعنوان (•••) كى تسمع نبأ يسرها »

ثم خرج بوارو من البيت على الاثر ، وحين عاد فى المساء قال لى :« لقد تحريت فى مقر عمل تود ، فعلمت أنه لم يتغيب يوم الاربعاء ، وأنه شخص مستقيم الخلق طيب السمعة •• ثم تحريت عن سمبسون فعلمت انه كان مريضا يوم الخميس فلم يذهب الى البنك ، لكنه كان فيه يوم الاربعاء •• وقيل لى انه كان على صلات عادية طيبة مع زميله المدعو ديفيز ، السارق الهارب •• وفيما عدا ذلك لم تفض أبحاثى الى جديد !

وانقضت ثلاثة أيام •• وفى اليوم الرابع دق جرس الباب ، واذا الطاهية المختفية « اليزا دن » واقفة أمامنا بلحمها ودمها !•• وابتدرتنا قائلة : « لقد جئت استجابة لاعلانكم ، وان كنت أرجح أن هناك ولا بد خطأ فى الامر ، ولعلكم لم تعلموا انى تسلمت وصيتى فعلا • » فقال لها بوارو : « حقيقة الامر ان سيدتك جد قلقة عليك ، حتى لقد خشيت أن تكونى أصبت فى حادث ! » •• فبدت الدهشة الصادقة على وجه المرأة وتساءلت : « ماذا ؟•• أو لم تتسلم خطابى اذن ؟ » •• فأجابها بوارو : « انها لم تتلق منك أدنى ايضاح !•• يحسن أن تصارحينى بالقصة كلها ، هيا ولا ترددى •• » ولكنها لم تكن فى حاجة الى من يستحثها ، فقد انطلقت على الفور :

« كنت عائدة الى بيت سيدتى مساء الاربعاء ، بعد انتهاء أجازتى الاسبوعية، حين تصدى لى على بعد خطوات من المنزل رجل طويل القامة ذو لحية صغيرة وقبعة عريضة ، قائلا انه قد سأل عنى فى بيت مخدومتى فقيل له انه قد يلقانى عائدة على بعد خطوات ، نظرا لان موعد عودتى قد حان ٠٠ وأضاف الرجل أنه قد قدم من استراليا خصيصا كى يلقانى ويسلمنى ارثا آل الى من صديقة ثرية لجدتى التى تعيش هناك، بعد اذ ماتت الصديقة دون أن تنجب نسلا ٠ وينطوى نصيبى من الارث على منزل صغير هنا فى انجلترا ، وايراد سنوى قدره ثلاثمائة جنيه !٠٠

« وحين لحظ الرجل دهشتى وارتيابى أبرز لى خطابا يحمل اسمى « هيرست وكرتشيت » المحاميين باستراليا ، ثم بطاقته الخاصة الدالة على أنه هو ثانيهما ٠٠ واستطرد يحدثنى : « ٠٠ على أن الموصية ـ وكانت امرأة غريبة الاطوار ـ اشترطت أن تتسلمى المنزل المتروك لك ، ويقع فى بلدة كارليل ، قبل ظهر غد ، والا حرمت منه نهائيا ٠٠ كما اشترطت أن تتركى الخدمة فى البيوت ٠ ولكى يتحقق الشرط الاول يتعين عليك أن تستقلى قطار الليلة الذى يقوم من محطة « كنجز كروس » بعد نحو ساعة ! وسأقرضك عشرة جنيهات لتنفقى منها مؤقتا ، وفى وسعك أن تكتبى الى مخدومتك من المحطة رسالة تخطرينها فيها بتركك الخدمة ، وسوف أتكفل أنا بتسليمها

اليها بنفسى وأشرح لها الامر كله ٠٠ »

« ووافقت طبعا ٠٠ وبعد ساعة كان القطار يتحرك بى الى كارليل وأنا فى شبه نوبة من الذهول ٠ وحين وصلت الى البلدة فى الصباح هرعت الى العنوان الذى أعطانى اياه ، وقد ازداد اشفاقى من أن يكون الامر خدعة سخيفة ٠٠ لكنى وجدت المنزل الصغير الذى حدثنى الرجل عنه معدا لاستقبالى ، ووجدت فى انتظارى محاميا سلمنى مبلغ مائة وخمسين جنيها قيمة ايرادى لمدة ستة أشهر ، ولم يكن يعرف عن الامر أكثر من ذلك ٠٠ ولم يلبث مستر كروتشيت أن أرسل الى متاعى وحوائجى التي كانت فى بيت مخدومتى ، لكنى لم أتلق من مسز تود نفسها أية رسالة ٠ وأعتقد أنها لا بد قد غضبت لخروجى ، فقد احتفظت بصندوق متاعى وأرسلت لى محتوياته من الثياب فى طرد ملفوف بالورق ! »

أصغى بوارو الى قصة الطاهية بكل انتباه ، فلما فرغت منها قال لها مغتبطا : « أشكرك يا آنسة ، واليك نفقات الرحلة التى جشمتك عناءها ٠٠٠ ولكن دعينى أهمس فى أذنك بنصيحة : لا تنسى فن الطهى ، فمن الخير للانسان دائما أن تكون له مهنة يرتزق منها اذا ساءت الاحوال !٠٠ »

مفتاح اللغز !

◆ **ولم** تكد المرأة تخرج حتى طلب بوارو استدعاء سيارة « تاكسى » على عجل ، وبعد أن أدلى لسائقها بعنوان منزل مسز تود التفت الى قائلا : « كل ما أخشاه أن نصل متأخرين فنجد طريدنا قد أفلت ! » فسألته حائرا : « ومن هو طريدنا ؟ » وكم كانت دهشتى حين أجابنى : « انه الرجل الهادىء الطيب مستر سمبسون ! » فصحت دون وعى : « ماذا ؟ » ٠٠ فقال صديقى مداعبا : « أوه ، كفى تغابيا يا هيستنجز ، لا تزعم لى أن الامور كلها لم تنكشف لك الآن » ٠٠ فقلت وأنا أحاول الاستنجاد بذكائى : « لقد فهمت أن الطاهية أبعدت عن بيت

مخدومتها بتلك الحيلة البارعة ، ولكن لماذا ؟ لمــاذا يرغب سمبسون بالذات فى ابعادها ؟ »

فأجابنى بوارو باسما : « لانه كان حريصا على أن يحصل على شىء فى حوزتها . كان يبغى الاستيلاء على صندوق ثيابها الصفيحى القديم ! »

حسبت بوارو يســخر منى ، لكننى قرأت فى عينيه انه لا يمزح ، فصحت به منكرا : « أو ما كان فى وسعه أن يشترى صندوقا جديدا مثله لو أراد ؟ » .. فأجابنى : « انه لم يرد صندوقا جديدا ، بل أراد صندوقا قديما ولكن فى حالة جيدة كى لا يثير الارتياب ! » .. وهنا كان صبرى قد نفد ، فصحت بصديقى : « اصغ الى يا بوارو ، هذه ترهات لا تصدق .. أواثق أنت أنك لا تمزح ؟ »

فأجابنى جادا : « بل اصــغ أنت الى ياهيستنجز . انك لست على شىء من ذكاء مستر سمبسون وقوة خياله ! والآن اليك ما حدث : فى مساء الاربعاء أبعد سمبسون الطاهية عن طريقه . لم يكن عسيرا عليه أن يطبع بطاقة وخطابا بأسماء خيالية ، ويتوسل باللحية التنكرية والقبعة واللهجة الاسترالية كى يضلل المرأة فلا تتعرف عليه !.. كما لم يتعذر عليه أن يضحى فى سبيل نجاح خطته بالمائة والخمسين جنيها وقيمة ايجار ذلك المنزل الصغير الذى «استأجره» للطاهية فى كارليل، سيما وقد كان يدفىء جيبه مبلغ الخمسين ألف جنيه الذى سرقه من البنك فى نفس اليوم ..!

ـ سرقه ؟.. ان السارق هو ديفيز !

ـ آه لو تركتنى أكمل قصتى يا هيســتنجز !.. كان سمبسون ، وهو يسرق المبلغ يوم الاربعاء ، يعلم أن السرقة لن تكتشف قبل « مساء » الخميس ، فلم يذهب الى البنك فى « صباح » ذلك اليوم، بل كمن فى انتظار خروج ديفيز من البنك ساعة الغداء كى يتحدث اليه ويستدرجه الى الذهاب معه الى

غرفتـــــه . وكان ذلك المساء ـ الخميس ـ موعد اجازة الخادمة « آنى » الاسبوعية ، وكانت مسز تود قد خرجت لشراء بعض الحاجيات ، وهكذا لم يوجد أحد فى البيت فى تلك الساعة . وقد رتب سمبسون أمره على أساس أن السرقة ستكتشف عصر ذلك اليوم ، فى الوقت الذى يختفى فيه ديفيز ، الى غير رجعة ، ومن هنا يجزم الجميع بأن ديفيز هو السارق ! أما سمبسون فيعود الى عمله صباح اليوم التالى ، الجمعة ، آمنا من كل شبهة ..!

ـ وديفيز ؟

فهز بوارو رأسه حسرة وأجاب : « ان الجريمة تبدو فى منتهى القسوة والاحكام .. فأنت تعلم ان الصعوبة الرئيسية التى تواجه القاتل هى التخلص من جثة ضحيته ، وقد دبر سمبسون أمر هـــذه المشكلة قبل أن يسرق المال وقبل أن يقتل ديفيز كى يلصق السرقة به ، نتيجة لاختفائه الغامض المفاجىء !.. والواقع أنه قد لفت انتباهى ، من تفصيلات القصة ، قول الخادمة « آنى » ان الطاهية قد خرجت مساء الاربعاء دون أن تبدى ما يدل على أنها لا تنوى أن تعود ، ومع ذلك فان زميلتها قد وجدت صـــندوق متاعها ـ حين جاء الحمالون لاخذه ـ معدا ومربوطا بحبل ! وكان سمبسون هو الذى أعده وربطه مســـاء الخميس ، وهو الذى كلف شركة « كارتر باترسون » للنقل بأن ترسل مندوبا عنها يوم الجمعة لنقل الصندوق الى العنوان الذى أعطاه اياه .. وأية ريبة يمكن أن يثيرها ارسال الطاهية حمالا لاخذ متاعها ، بعد تركها الخدمة ؟

« أما المرحلة الباقية من الخطة فبسيطة : يذهب سمبسون مساء السبت ، فى زيه التنكرى الاسترالى ، الى العنوان الذى أعطاه لشركة النقل ـ وقد يكون قلم الامانات بمحطة لندن ذاتها ! ـ فيطالب بالصندوق ، ثم يشحنه لتوه بالسكة الحديد

الى أية جهة ، على أن يبقى فيها حتى يطلبه المرسل اليه ـ وهو شخص وهمى لا وجود له طبعا ! ـ فاذا ما مرت الايام ولم يذهب أحد لاستلام الصندوق ، وارتابت السلطات فى أمره ففتحته ·· فكل ما سيعرف يومئذ عن مصدره أن شخصا ذا لحية ولهجة استرالية قد شحنه يوما من محطة لندن !·· وهكذا لن يستطيع أحد أن يربط بينه وبين سكان المنزل رقم ٨٨ بشارع البرنس البرت !·· أرأيت ؟ »

وكان استنتاج بوارو صحيحا ، فحين وصلنا الى منزل مسز تود قيل لنا أن سمبسون قد انتقل من المنزل منذ يومين ، ولم يترك عنوانه الجديد !·· لقد فر الماكر !

لكنه لم يكن لينجو من العقاب ·· فقد عثر عليه ـ بفضل اللاسلكى ـ بين ركاب السفينة « أوليمبيا » ، وكان فى طريقه الى أمريكا !!

وبعد أيام أثار ارتياب السلطات المسؤولة فى محطة سكة حديد « جلاسجو » صندوق من الصفيح مودع باسم مستر « هنرى ونترجرين » ··· فلما فتح عنوة وجدت به جثة « ديفيز » التعس ، وقد قطعت الى أجزاء !

أما الشيك « بجنيه واحد » الذى أرسلته مسز تود الى بوارو أتعابا له عن مجهوده فى البحث عن طاهيتها ، فانه لم يرسله قط الى البنك ليصرفه ، بل آثر أن يضعه فى اطار يعلقه على جدار حجرة مكتبه !

عزيزى القارىء ...

المجتمع السليم هو الذى يتألف من افراد سليمى الاجسام والنفوس والعقول . واذا كانت صحة الاجسام سبيلها التربية الرياضية والطبية ، فان صحة العقول والنفوس سبيلها التربية «النفسية» .. وهذا الباب بمثابة «عيادة نفسية» تقدم لك أحدث الكتب التى تبسط لك فى أسلوب عملى شائق افضل الطرق التى تكفل لك ولاولادك سلامة النفس من كل عقدة أو مركب نقص .. وتعينك على مواجهة الحياة ومتاعبها ومشكلاتها كما ينبغى أن تواجه ..

ولما كان الجنس هو القوة الرئيسية المعمرة فى الحياة ، والمؤثرة فى النفس، فان فهمه واستخدامه على الصورة الصحيحة يعينان اكبر العون على تكوين بيوت أسعد ، ومواطنين أفضل ، ومجتمع يقوم على دعائم سليمة البنيان.

ولسوف تقرأ فى هذا الباب ، فى الاعداد التالية من كتابى : طريق السعادة الزوجية ، مركب النقص والعقد النفسية ، حواء الجديدة ، فن الحياة .. ثم سلسلة كتب : كيف تقهر الخوف والخجل .. والقلق .. وكيف تنمى شخصيتك .. الخ

حوافز الحياة

النفس والجنس .. والمجتمع ..

How to Tell Children
ABOUT SEX
By
R. MACDONALD
LADELL
(M. B., Ch. B.)
مشكلة كل أب وأم ...
كيف تصارح أولادك
وبناتك بالحقائق الجنسية
أصدق كتاب للعالم النفساني
ماكدونالد لاديل

هدف الكتاب

«أم» و «أب» كلمتان تثيران فى النفس طائفة من المشاعر الرقيقة ، وتعبران عن رابطة جميلة المعنى والدلالة .. وهل هناك امرأة - أياكانت ضعة مكانتها الاجتماعية - لاتستمد من أمومتها نبلا وسموا ؟.. أو هناك رجل لا يحس بالزهو والفخر بمجرد علمه بأنه قد صار أبا ؟

فاذا كان الامر كذلك ، فلماذا تتردد - أو تترددين - فى اطلاع أولادك وبناتك على معنى كون الانسان ابا ، أو أما ؟ لماذا تخفى الحقائق بالتغطية والتهرب والاكاذيب ؟ لماذا تزعم لطفلك مثلا - اذا سألك من أين جاء - انك قد وجدته فى سلة متروكة تحت شجرة او خميلة فى الحديقة ؟ أليس ادعى الى غرس احترام الذات فى طفلك أن يعلم مدى صلته اللصيقة بأمه منذ بداية خلقه ؟

ولسوف يشرح لك هذا الكتاب ثلاث مشكلات رئيسية : لماذا ينفر الوالدان من مصارحة ابنائهما بالحقيقة .. ثم الضرر الذى يفضى اليه هذا النفور .. وأخيرا ، الطريقة المثلى لتعريف أطفالك بشتى الحقائق الجنسية .. وخير ما أنصح به الوالدين أن يعيدوا قراءة هذا البحث مرة كل عام أو كل ستة أشهر ، كى لا ينسوا ان يطبقوا التعليمات الواردة فيه على أولادهم فى الوقت المناسب ، مرحلة بمرحلة .

مشكلة كل أب وأم

◆ من المقطوع به والمفروغ منه - فى كل ما يخرج عن نطاق المسائل الجنسية - انه من الخطأ البين أن نخدع أطفالنا أو نكذب عليهم ، وانما ينبغى أن نشبع فضولهم ونجيبهم على أسئلتهم الكثيرة بكل ما فى وسعنا من صدق وصراحة ، فكلما عرف الطفل المزيد من الاشياء والمسميات بأسمائها الحقيقية ، نما عقله وشخصيته ، وشب سليم النفس من كل عقدة تنغص عيشه .. وكلنا نخبر أطفالنا بأن الدجاجة تضع البيض ، وأن البيض حين يفقس تخرج منه الكتاكيت !.. ولكن لما كانت القطط مثلا لا تضع بيضا ، فاننا نخفى عن الطفل أن القطط تلد قططا صغيرة ، وانما نتركه يتصور أن هذه القطط الصغيرة تخلق هكذا ، من لا شىء ، وتأتى من مكان مجهول !.. أما فى صدد الاطفال فأكثرنا يزعم لابنه أو ابنته أنه يعثر عليهم فى سلة تحت شجرة ، أو يأتى بهم الطبيب المولد فى حقيبته !!

لماذا ينفر الآباء من المصارحة ؟

◆ ولو سألت الاب أو الام، لماذا ينفران من مصارحة أبنائهما بالحقيقة ، لاجاباك بقولهما مثلا أن الصبى مايزال صغيرا وليس **من المستحب أن يعرف هذه الامور من الآن !**٠٠ ولو ألححت فى سؤال الاب لماذا لا يستحب ذلك ، لاجابك : « انى أخجل من مصارحته ، ولا أدرى من أين أبدأ ! » ٠٠٠ **اذن فليس هناك من سبب حقيقى يبرر هذه الخطة ، وانما المسألة مسألة « شعور » لا أكثر ولا أقل** !٠٠ لكن الامر ليس كذلك فى الامور الاخرى ، التى يوجد لتصرفنا فى كل منها سبب مقبول ، فنحن نحذر الطفل من لمس السكين لئلا يجرح ، أو من الاقتراب من البحر لئلا يغرق ٠٠ ولكن ما من أب يستطيع أن يبين الضرر الذى يصيب الطفل لو عرف الحقائق الجنسية!٠٠

فالحقيقة اذن أن الوالدين يشفقون من مصارحة أطفالهم ، لا لان المصارحة سوف تضر الطفل ، وانما لانهم هم يخجلون من الكلام فى هذه الموضوعات ، من فرط ما نشأوا يشعرون أن المسائل الجنسية ينبغى كتمانها واخفاؤها عن النشء ! ومعنى هذا أن الرجال والنساء يخجلون فى الواقع من الاجسام التى أعطاهم اياها الخالق ، والمتعة المتبادلة التى أباحها لهم٠٠

الخجل من المسائل الجنسية فكرة وثنية !

◆ ورغم خطأ هذه التربية فان من الصعب مقاومتها ، لانها متغلغلة فى نفسية الاجيال المتعاقبة منذ زمن بعيد ٠ ويرجع منشأها الى العصور الوثنية ، حين كان البشر يلتمسون

رضى آلهتهم الوثنية بالتنازل عن أقوى متع أجسامهم ، وهى المتعة الجنسية · ومن ذلك الوقت ارتبط الصوم عن الطعام وعن المتعة الجنسية بالمشاعر الدينية ، **فكان أسلافنا الوثنيون يصومون عن المتعتين فى بعض المواسم ، وينغمسون فيهما الى حد التخمة والفسق فى مواسم أخرى ، باسم الدين فى الحالين!**

·· وفى عصور المسيحية الاولى أخذ رجال الدين عن الوثنيين فكرة ربط الحرمان من المتع الجسدية بالدين ، فكانوا ينادون بأن العزوبة والعذرة والتبتل أفضل فى نظر الدين من الحياة الجنسية الطبيعية ·· ومن ثم ترادفت كلمتا « الجنس » « والخطيئة » حتى يومنا هذا ، وان اختلفت درجة فهم الناس للعفة بين عصر وعصر ···

ولا شك أن الجيل الحالى من الشباب وأسلافهم المباشرين قد سلكوا فى المسائل الجنسية مسلكا أقرب الى الصحة - الجسمية والنفسية - من آبائهم وأجدادهم ·· ورغم ذلك فان الكثيرين ما يزالون يرتدون الى أفكار النهى والردع والتحريم القديمة حين يواجهون أسئلة محرجة من أطفالهم فى هذا الشأن ، وذلك بسبب صعوبة تخلص الكبار من أثر **البيئة التى نشأوا فيها والتعاليم التى تعودوها منذ الصغر.**

ثلاث عقبات « عاطفية » !

◆ **والصعوبة الاولى** التى ينبغى على الآباء أن يواجهوها ويتغلبوا عليها هى حيرتهم فى تسمية الاعضاء الحساسة فى جسمى الرجل والمرأة تسمية سليمة يصح تلقينها للنشء بحيث تغنيهم عن الالتجاء الى الالفاظ السوقية المبتذلة التى يتهامسون بها سرا ·· **والصعوبة الثانية** هى أن أعضاء الجسم التى تفرز فضلات الطعام والشراب وثيقة الصلة بالوظائف الجنسية بحيث أن ألفاظ « القذارة » و « النجاسة » التى تطلق على الفضلات والمفرزات تلتبس فى أذهان الصغار بالمسائل الجنسية فيألفون اعتبارها بدورها قذرة دنسة ، فى

حين ينبغى أن يعلم الآباء والابناء أن لا شيء « قذر » فى الامور الجنسية ما دامت قواعد النظافة الصحية متبعة مرعية ..

أما **الصعوبة الثالثة** التى يواجهها الآباء فهى الخلط بين « البراءة » و « الجهل » ، فهم يشفقون على أطفالهم من السن التى يكبرون فيها فيواجهون مسؤوليات الحياة ومشاكل الجنس ، أى أنهم يعتبرون الميول الجنسية من الحقائق الكريهة الحقيرة التى ينبغى أن يحموا صغارهم منها أطول مدة ممكنة !

الجهل والاكاذيب الضارة

◆ وهذه الفكرة خاطئة وضارة معا ، لاننا اذا لم نصارح أولادنا وبناتنا بالحقائق ، بالطريقة السليمة اللبقة التى سيأتى شرحها ، فانهم سوف يعرفونها حتما على صورة مشوهة من همسات الآخرين المختلسة وصفحات النشرات الممنوعة وبجميع الطرق غير السليمة ! **ويترتب على ذلك ازدياد انحرافهم ونظرهم الى كل الامور المتصلة بالجنس باعتبارها شائنة مزرية ، وأضرار هذا الانحراف لا تحصى ، فهو يجعل المرء يخجل من أفكاره ومشاعره الطبيعية ، وبالتالى فانه يصبح فى حرب مع نفسه ! والصبية الذين ينشأون هذه النشأة يشبون مرضى النفوس بالخجل المقوت والانطواء والنفور من الاختلاط بالآخرين ، فضلا عن الامراض العصبية و « النورستانيا » التى تصيبهم فى طور المراهقة فتجعلهم أفرادا عاجزين فى الحياة فاشلين فى المجتمع** .. وحتى الذين لا تظهر عليهم هذه

الاعراض يصابون بأضرار أخرى « خفية » ، أهمها حرمانهم من التوافق الجنسى بعد الزواج ، نتيجة لشعور عقلهم الباطن بأنهم يرتكبون أمرا منكرا ! ولا يخفى أنه بدون التوافق الجنسى يستحيل أن تتحقق سعادة زوجية بالمعنى الصحيح ، مهما اتفق الزوجان فى جميع النواحى الاخرى .. والواقع أن التربية الخاطئة والمعلومات الجنسية الناقصة مسؤولة عن أكثر مآسى الزيجات التعسة وحالات الطلاق أو الانفصال .

فضول الاطفال

◆ وقد يستغرب البعض أن تشغل هذه الامور ذهن الاطفال أو الصبية ، لكن الواقع أن الطفل يفكر أول ما يفكر فى اللغز المحيط بكيفية مجيئه الى هذا العالم ، ومجيء اخوته الاصغر منه ، وذلك بدافع حاجته النفسية الى الشعور بالامن أو الطمأنينة ، وهو شعور يقوى أو يضعف وفقا لمدى فهم الطفل للعالم الذى يجد نفسه فيه .. فاذا هو استيقظ مثلا ذات يوم فوجد طفلا جديدا قد ولد فى البيت فاستأثر بعناية والديه ، دون أن يكون الوالدان قد نبهاه تدريجيا الى قرب وقوع هذا الحادث أو أوضحا له الامر بالطريقة اللبقة التى سيجىء بيانها ، **فان شعور الطفل بالامان يتزعزع ويصاب بهزة عنيفة .. يقول له عقله الساذج أنه ما دام هذا المنافس قد هبط فجأة من حيث لا يعلم ، دون انذار أو مقدمات ، فان أية كارثة أخرى يمكن أن تحدث : قد تنطبق السماء على الارض ، ويسقط السقف على من تحته .. وقد ، وقد .. الخ ..** وهنا يحس الطفل أو الصبى أن من الخير له أن يظل طفلا عن أن يكبر ليواجه هذا الكون المختل المضطرب الملىء بالمفاجآت ! ومن هنا ينبع تمسك بعض الصبية بمسلك وأفعال الاطفال الى سن متأخرة ، بل وارتدادهم أحيانا الى التصرفات الصبيانية بعد أن يصبحوا شبانا بل رجالا ..

اذن فما هى الطريقة السليمة لافهام الطفل كل ما ينبغى

أن يفهمه بشأن كيفية مجىء اخوته الى هذا العالم ـ أو مجيئه هو ، اذا لم يكن هناك مولود جديد يتخذ فرصة مناسبة لمصارحته بالحقائق ؟ لهذه المصارحة عدة مراحل ومناسبات ، أوضحها فيما يلى :

◆ **المصارحة المبكرة** : قد يقال : وما ضرورة العجلة في هذه الامور ؟ ولم لا ننتظر حتى يتعلم الصبى أو الصبية هذه الحقائق فى المدارس ؟ والجواب أنه بفرض ادخال هذا البرنامج فى جميع المدارس دون استثناء ، فان العلم به فى هذه الحالة يجىء متأخرا ، بعد أن تكون بذور الاضطرابات العصبية والنفسية قد تأصلت فى النشء فعلا !.. **ذلك أن الخمس سنوات الاولى هى الحاسمة فى تكوين نفسية الطفل وتحديد نظرته الى العالم الذى يعيش فيه !..** ثم أن تأخير مصارحته بما يستطيع أن يهضمه الى ما بعد سن الثالثة أو الرابعة قد يعوق النمو الطبيعى لعقله ، اذ يضع حائلا بينه وبين اشباع فضوله الى معرفة كل ما يحيره من غوامض .

◆ **تهيئة الجو للمصارحة** : ان ما تقوله للطفل لا يقاس فى الاهمية الى جانب الطريقة التى تقوله بها ، فالاطفال شديدو الحساسية فى التأثر بلهجة من يخاطبهم ، لذلك ينبغى قبل أن تكلم الطفل فى أمر محرج كالمسائل الجنسية ، أن تتخذ مظهر المتحدث فى أمر عادى واقعى لا حرج فيه .. **أما اذا تلعثمت أو احمر وجهك فسوف يفهم الطفل فورا أن فضوله غير مستحب فينطبع في ذهنه أن الكلام فى هذا الموضوع أمر منكر لا يليق ،** فى حين أن هدف التربية السليمة أن تجعله ينظر الى مسائل الجنس باعتبارها وظيفة عادية من وظائف طبيعته البشرية وحياته ، وبغير هذه النظرة لا تكون للطفل فى المستقبل حياة عاطفية وجنسية سليمة من كل انحراف !

◆ **المصارحة السلبية** : ينبغى أن يكون مسلكك أمام طفلك طبيعيا لا تكلف فيه فى كل ما يتعلق بالعرى وكشف أجزاء

الجسم الحساسة فى المناسبات العادية ، أثناء تغيير الثياب أو العلاج الطبى أو قضاء الحاجة أو الاستحمام ٠٠ الخ ٠ أما اذا خجلت ـ سواء كنت أبا أو أما ، وأيا كانت سنك ـ من أن يراك طفلك عاريا فى الحمام مثلا أو حجرة النوم ، فانك بذلك تلقى فى روعه شعورا ضارا خاطئا ٠٠ والامر نفسه ينطبق فيما يتعلق بالصلة بين الاخوة والاخوات ٠٠ **فالعرى يجب أن يتقبل فى الاوقات المناسبة باعتباره أمرا عاديا لا يصدم الشعور بالمرة ٠٠ والا أصيب الطفل حين يكبر « بمرض » الحملقة واختلاس النظر الى سيقان النساء ، أو تسليط المنظار المكبر على مخادع الجيران من وراء النوافذ !٠٠ الخ** ٠ وكذلك الفتاة ، اذا قمعت فضولها « الجنسى » فى طفولتها ، نشأت تخجل من الظهور عارية أمام بنات جنسها حتى لو كنّ من سنها !٠٠ والفتاة التى تشب وليست لديها فكرة عن جسم أبيها الرجل أو أخيها ، يتعذر عليها فيما بعد أن تؤدى دورها فى الحياة الزوجية كما ينبغى ٠

◆ **الالفاظ اللائقة للمصارحة :** وهنا نلاحظ أن الطفل يعلم منذ حداثته أسماء أكثر أجزاء الجسم ، كاليد والساق والاصابع وغيرها ٠٠ فيما عدا أعضاء التناسل ، التى تحاط بسياج حديدى من السرية الكاملة ، ويخاطب الطفل فى صددها بعبارات التحذير والتنفير المألوفة : « **لا تلمس هذا ٠٠ كفى شقاوة ٠٠ يا قذر ٠٠ الخ** » **لكن هذا كله خطأ فادح يجب تلافيه فورا ٠ نعم ، يجب أن يلقن الطفل من البداية ـ ذكرا كان أو أنثى ـ الاسم اللغوى السليم لعضوه التناسلى ، كما يلقن أسماء سائر أجزاء جسمه سواء بسواء ٠٠ وبغير ذلك لن ينشأ جيل سليم العقل والبدن !**

أسئلة الاطفال الشائعة ٠٠ واجوبتها

◆ **يبدأ الطفل عادة فى السؤال عن كيفية مجيئه الى الدنيا فيما بين سن الثالثة والرابعة ٠٠ فاذا انقضت هذه الفترة**

دون أن يوجه الطفل الى والديه سؤالا صريحا فى هذا المعنى ، فلا بد أن يكون قد شعر من تصرفاتهما انهما يفضلان أن لا يسأل ! وفى هذه الحالة **يجب عليهما خلق المناسبات التي تشجعه على أن يسأل ويجاب** ، فيرضى فضوله الى معرفة اللغز المستعصى عليه . ومتى تم له ذلك كف فورا من تلقاء نفسه عن الاهتمام بالموضوع .. حتى يواجهه لغز آخر فيستفسر عنه ، وهكذا . وفيما يلي نماذج من الاسئلة التى يوجهها الطفل عادة بين سن الثالثة وسن الثانية عشرة ، مصحوبة بالاجابات التى ينبغى أن يجيبه والداه بها :

س : « من أين » جئت أنا (أو جاء أخي أو أختى الصغرى) ؟

ج : الاطفال ينمون ويكبرون داخل أجسام أمهاتهم .

وقد يكتفى الطفل مؤقتا بهذا الجواب ، لكنه لن يلبث أن يوجه - بعد أشهر أو أعوام - سؤالا آخر قد يكون :

س: « كيف » ولدت أنا (أو ولد أخى ..) ؟

ج : انك كنت في البداية شيئا صغيرا للغاية ، ثم بقيت داخل جسم أمك تسعة أشهر ، فى مكان دافىء يقال له الرحم ، حتى كبرت الى الدرجة الكافية لان تتحمل البرد فى الخارج فخرجت من جسمها ..

أما السؤال عن دور الاب فى تكوين الجنين فقد لا يجول بذهن الصبى أو الصبية قبل مرور أعوام أخرى ، لكنهما متى وجهاه فينبغى أن يجابا عليه بنفس الصراحة :

س : كيف « تكونت » أنا فى البداية ؟

ج : كل شىء حى لا بد أن يكون له أبوان : أحدهما نسميه الذكر أى الاب ، والآخر نسميه الانثى أى الام . ولكى يتكون أى صغير ، طفلا كان أو قطا أو فأرا ، لا بد أولا من أن يزرع الاب بذرته فى الام، فتندمج فى البذرة التى تكون بداخلها.. وتتكون من البذرتين بذرة واحدة تكبر حتى تصير مولودا !

لكن هذا الجواب لن يرضى فضول الصبى أو الصبية الا

لفترة معينة ، يلح بعدها فى الاستفسار عن « التفصيلات » ٠٠ وهنا ينبغى أن يجاب على استفساراته بالجواب التالى ، دون خجل أو ابتسام ، وفى لهجة الجد التام :

« عندما يحب الانسان شخصا ، يميل الى أن يبقى قريبا منه بقدر الامكان ، ثم يتوق الى أن يقبله ٠٠ والولد حين يكبر ويحب فتاة كبيرة مثله يتزوجها ، وهذا يعنى أنهما يعيشان بعد ذلك فى بيت واحد وينامان معا فى فراش واحد ٠٠ وعندئذ يحدث من وقت لآخر أنهما ، بدافع حبهما القوى المتبادل ، يلتصقان أحدهما بالآخر ، فتنتقل بذرة الشاب الى الفتاة من الطريق المعد لذلك ٠ والتصاق الزوجين على هذه الصورة لا يضر أو يؤلم بل يحس الاثنان منه بشعور لذيذ يدفعهما الى أن يكررا الامر كثيرا لان ذلك لا يقتضى أن يتكون لهما فى كل مرة طفل جديد » ٠

وينبغى أن يقال هذا الكلام للطفل دون أى انفعال أو ارتباك لانه لا يبحث الا عن الحقائق فيجب أن تعطى الحقائق له دون أى تعليق ٠٠ وهناك سببان يوجبان على الآباء أن يصارحا أطفالهما « باللذة » التى تنجم عن الاتصال الجنسى : أولهما أن ذلك يعطى الطفل هدفا يتطلع اليه ـ وسنوضح أهمية ذلك عند الكلام عن العادة السرية ـ والسبب الثانى أن الطفل القوى الملاحظة قد يكون فكرة عكسية خاطئة عن « آلام » الاتصال الجنسى ، من ملاحظة الديكة والدجاج والقطط والكلاب ، التى تبدى أناثها من المقاومة للذكر ما قد يوحى بأنه يغتصبها عنفا وعدوانا ، الامر الذى يغرس فى عقل الطفل الباطن فكرة خاطئة عن الزواج تسبب له حين يجىء أوانه اضطرابات جنسية كثيرة ٠ وهنا تجدر الاشارة الى خطأ النظرية القائلة بإفهام الطفل حقائق الجنس عن طريق المواربة والتلميح الى عملية تلقيح النبات والازهار بواسطة الهوام والحشرات ، أو عملية تناسل الديدان والحيوانات الصغرى كالارانب والضفادع ٠

أى الوالدين يصارح ؟

◆ وقد يسأل سائل : على من من الوالدين، الاب أم الام، يقع عبء المصارحة ؟.. والجواب أنه يقع على الاثنين ، أى على أى طرف منهما يتوجه اليه الطفل بالسؤال : ويجب أن يكون الجواب فورا ما أمكن ، ودون اظهار أية دهشة أو مزاح . واذا وجه الطفل سؤاله المحرج على مسمع من بعض الزوار مثلا يستطيع الوالد الذى سئل أن يجيبه بمثل هذه العبارة : « أنت على حق فى سؤالك ، وسأجيبك عليه فى فرصة أخرى لا أكون فيها مشغولا كما أنا الآن » . ثم ينتهز الوالد أول فرصة كى يذكر الطفل بسؤاله ويجيبه عليه .

العبث الجنسى والعادة السرية !!

◆ ينزعج الآباء عادة حين يكتشفون ممارسة أولادهم أو بناتهم لبعض ألوان العبث الجنسى ومنها ما يسمى بالعادة السرية . والامر يختلف هنا باختلاف سن الصبى الذى يمارسها : فأما قبل سن النضوج ، وخاصة بين الخامسة والسابعة ، فليطمئن الآباء بالا فان شيوع هذه العادة أمر مألوف يتعذر منعه ، وهو مناف لآداب السلوك لا للاخلاق .. **وليعلم الآباء أن الطفل الذى صورح من حداثته بكل ما استفسر عنه من الحقائق الجنسية هو الذى يتخلص من هذه العادة فى سن مبكرة ، أما الذى قمع والداه فضوله فى حينه فقد تلازمه العادة السيئة الى سن المراهقة وربما بعدها .** والعادة السرية قد تظهر عند الطفل فى أى سن ابتداء من شهره الثالث ! فهو حتى فى هذه السن الباكرة يجد لذة فى لمس عضوه التناسلى . ومن الخطأ محاربة هذه العادة بربط يدى الطفل مثلا، لان ذلك يزيده تعلقا بها... وانما العلاج السليم هو ايجاد لعبة أو شىء آخر يشغل به الطفل يديه وتفكيره ، لان هذه العادات تنتج فى بدايتها عن المضايقة والوحدة .

والطفل السليم النفس والجسم يقلع عن هذه العادات عند بلوغه سن السابعة ، حين يتحول اهتمامه من نفسه الى الامور الخارجية ، ويظل كذلك حتى سن المراهقة حين يعود اهتمامه الى ذاته مرة أخرى ... فاذا ظهرت عنده هذه العادة مرة أخرى بعد المراهقة فعلى والديه - اذا لم يتجاهلاها تماما - ألا يقمعاها بالعنف والشدة أو التوبيخ والتحذير وانما يتبعا فى شأنها علاجا وسطا : هو افهام ممارسها بأنها « عبث أطفال » لا يليق بمن فى سنه ، فهذه النغمة تصادف ارتياحا وقبولا من الغلام الطبيعى الذى يتوق الى أن يكبر ويصير رجلا ، وهى تغذى فيه احترامه لنفسه ... فاذا لم تقنعه هذه الحجة ففى وسع الاب أن يخاطبه بلهجة أخرى فيقول له مثلا : « ان اللذة التى تحصل عليها الآن لا تعتبر شيئا يذكر بالقياس الى المباهج التى سوف تستمتع بها عندما تتزوج .. وحرام أن تفسد ذوقك بالاعتياد على هذه المتعة البديلة المسوخة !! » .

أما التخويف بأن العادة تؤدى الى العجز الجنسى فهى أكذوبة ضارة تسبب أوخم العواقب ، فقد ينتج عنها عجز فعلى « نفسانى » ظهرت أعراضه فى مخادع الازواج فى مئات من الحالات !.. كما ينبغى أن يحذر الآباء من أن يغرسوا فى نفسية أولادهم فكرة أن هذه العادة تضعف صحتهم أو عقلهم أو أنها مجلبة للعار ، فان هذه الافكار فى ذاتها تسبب لهم من الخوف والقلق والانقباض والشعور بالاثم ما يضر صحتهم ونفسيتهم أضعاف ضرر العادة ذاتها ، فضلا عن أنها لن تجعلهم يقلعون عنها ، وانما تشعرهم بمنتهى التعاسة لانهم باتوا أسرى لها لا أمل فى نجاتهم من سلطانها !

الشذوذ الجنسى !!

◆ والشذوذ الجنسى ، مثل العادة السرية ، طور يكاد يكون طبيعيا يمر به كثيرون فى فترة باكرة من صباهم ثم يطلقونه

ويتركونه خلف ظهورهم بعد أن يجتازوا سنا معينة . لكنه قد يلازم بعض الاشخاص بعد تلك السن نتيجة لمبالغة الوالدين في الاهتمام بأمره وطريقتهم العاطفية الخاطئة في معالجته بالشدة والقمع ... في حين أنهم لو عالجوه بالمنطق والاقناع لاقلع عنه ممارسوه وانتقلوا الى طورهم الطبيعى التالى له . ولا شك أن من أسباب اطالة طور الشذوذ الجنسى عند البعض عزل البنين عن البنات في المدارس الداخلية ، بحجة تجنب خطر العلاقات التى قد تنشأ بين الجنسين فى حالة الجمع بينهما ، وهو خطر مبالغ فيه ويمكن اسقاطه من الحساب اذا استخدمت فيمقاومته أسلحة المصارحة والثقة المتبادلة والايحاء باحترام الذات .

بماذا تصارح الفتيات ؟

◆ والفتيات ، كالشبان ، فى حاجة الى مصارحتهن بالحقائق المجردة ، ويجب أن يحرص الوالدان على تبصير ابنتهما بأمور الجنس قبل أن يدركها الحيض لاول مرة فى سن المراهقة ، والا أتلف الخجل والوجل أعصابها .. **والواقع أن صحة المرأة وسعادتها في مستقبلها يتوقفان الى حد كبير على النظرة التى عودها أهلها على أن تنظرها الى فترة الحيض الشهرية ، لا باعتبارها « لعنة » كريهة أو مرضا بغيضا ، بل ظاهرة طبيعية تعتز بها أنوثتها** .. بل ان النفور العقلى والنفسانى من هذه الظاهرة يجعل انتظامها يضطرب ويختل ، اذ يجعل الجسم فى صراع دائم بين محاولة الاعضاء الداخلية القيام بوظيفتها الطبيعية ، وبين مقاومة العقل الباطن لذلك! .. ومن ثم ينبغى على الوالدين مصارحة ابنتهما بالحقائق المتصلة بفترة الحيض قبل أن تدركها لاول مرة ــ أى فى سن الحادية عشرة على الاكثر ــ على الوجه الآتى : « تعلمين طبعا أن أجسام البنات تختلف عن أجسام البنين ، للاسباب التى شرحناها لك من قبل . **وسوف يحل يوم قريب تصبحين فيه امرأة ، وهذا شىء رائع مستحب لانه يمكنك من انجاب الاطفال** ... ودور الرجل فى

هــذا الانجاب ، رغم ضرورته الحتمية ، ضـئيل صغير .. أما الدور الرئيسى فهو الذى تضطلع به الام ، التى تبنى الجنين داخل جسمها . وقد يظهر عليك فى خلال شهور قليلة، الدليل على أن جسمك قد أعد عدته لانجاب الاطفال حين تبلغين السن المناسـبة لذلك ـ فان جسمك من الداخـل لا يعرف أنك ما تزالين صبية تذهبين الى المدرسة ، وانما هو متعجل يبغى ممارسة وظيفته الطبيعية ـ وهنا ينبغى أن تعلمى أن جسمك تتكون فيه مئات من البويضات الدقيقة ، وبعد قليل سـوف تخرج بويضـة واحدة منها كل شهر ، من مصنع البويضات أو « المبيض » ، وتأخذ طريقها الى الرحم . وعنـدئذ يشرع الرحم فى اتخاذ عدته لاحتمال اندماج تلك البويضة فى بذرة الرجل تمهيدا لتكوين جنين .. والرحم يتـأهب لذلك بافراز وسادة ظريفة ناعمة كى يستريح عليها الجنين . فاذا جاءت البويضة « منفردة » لفظها الرحم مع الوسادة عن طريق قناة الدم ، فخرجت من جسمك مع الدم .. وكل فتاة حين تكبر تفرز هذا الحيض الشهرى ، وأنا أنبهـك اليه من الآن كى لا تفزعى ، فهو لن يؤلمك، وحين يأتى الاوان سنخبرك بما تفعلين كى تنعمى خلاله بالراحة التامة » .

وليس ما يمنع من أن تعرف الصبية هذه المعلومات فى أية سن مبكرة اذا أظهرت فضولا واهتماما بذلك . كمـا ينبغى أن لا تقصر هذه المعلومات على الفتيات ، بل تقـال للصبيان أيضـا ، كى يجنبوا زميلاتهم الالعاب العنيفة أثناء الحيض ولا يحاسبوهن على سرعة انفعالهن .

أما بصدد الزواج فينبغى أن يعد الوالدان ذهن ابنتهما بحيث تتطلع بآمالها الى الزواج « المبكر » ، والى انجاب طفلها الاول قبل سن الخامسة والعشرين ، وذلك لاسباب جسمية ونفسية واجتماعية لا محل لتفصيلها هنا .

مزيد من الحقائق الجنسية للمراهقين

◆ والخلاصة انه لا ينبغى أن يقلق أحد على مستقبل الشاب أو الفتاة اللذين يخرجان الى الحياة مسلحين بمعرفة الحقائق الجنسية • وفى الوقت نفســـه يجب أن لا ننسى أن نظامنا الاجتماعى ، بوضعه العقبات فى طريق الزواج المبكر ، يلقى على كاهل الشبان والفتيات عبئا ثقيلا اذ يتطلب منهم العفة الجنسية الكاملة سنوات طويلة تكون غريزتهم الجنسية خلالها فى عنفوان ضراوتها • ورغم أن العفة قبل الزواج مثل أعلى مستحب فى ذاته الا أنه يجب أن لا يغيب عن البال احتمال فشل الشباب فى التزامه • ومن هنا كانت كل تربية جنسية لا ترشد الى أخطار الاصابة بعدوى الامراض التناسلية ، تربية ناقصة •• على أن لا يكون هذا الارشاد بلهجة التخويف العاطفية ، بل بلهجة لفت النظر الى الامر الواقع • فان التخويف فى هذا المجال أضعف بكثير من مبادىء الاخلاق والمثل العليا ، التى هى خير حارس للعفة فى الواقع •

ولنفس السبب أرى صواب أن تتضمن تربيـة المراهقين بعض المعلومات عن طرق منع النسل ، مع مناشــدة كبريائهم الذاتى أن لا يضعوا هذه المعلومات موضع التجربة الا حين يفسح الزواج السبيل ••

وأخيرا فان التربية الجنسية لا تنتهى فى سن المراهقة ، وانما يجب أن تعد فصول دراسية خاصة تزود كل من يفكر فى الزواج ـ من الجنسين ـ بالنصائح النفسية والجسمية التى تلزمه • بل الواقع أن التربية الجنســية على حقيقتها لا تبدأ الا بعد الزواج • ولهذا الموضوع بحث آخر ليس هذا مجاله •••

ايضاح : فى الغلاف الخارجى لهذا العدد اشارة الى موضوع محاكمة الملكة آن بولين ، وكنا قد أعددناه للنشر فى الطبعة الاولى ثم منعته الرقابة فى عهد الملك السابق •• وقد نشرناه بعد ذلك فى كتابى السابع فلم نر محلا لاعادة نشره فى هذه الطبعة الجديدة للعدد الاول

خلف النوافذ المغلقة

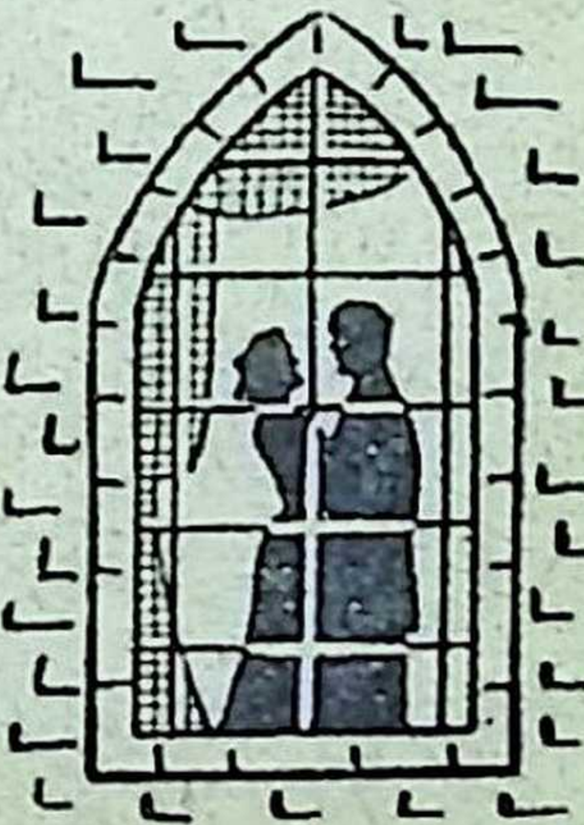

عباقرة الإنسانية في حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ...

الحياة الخاصة هى التى تصنع العباقرة .. هى التى توحى للفنان بفنه ، للشاعر بشعره ، وللرسام برسمه ، وللموسيقى بلحنه ، وللاديب بأدبه .. وهى التى تلهب عزائم الرجال، وتغرى بالبطولة الابطال .. وكثيرا ماتكون زوجة العظيم ، أو صديقته ، أو عشيقته ، هى صاحبة الفضل عليه وعلى الانسانية فى عظمته ، ولو استمد هذه العظمة من تعاسته !

ولو علمت أن مؤلف الكتاب الذى الخصه لك فى الصفحات التالية ، ((ليون دوديه)) ، الذى ((يفضح)) فيه نفسية فيكتور هوجو فى حياته الخاصة ، عارية من كل زيف أو نفاق أو تكلف .. هو من أسرته وذوى قرباه، لامنت معى بأن الادب الحق هو الذى يعتمد على الصدق ، والاخلاص فى تصوير أدق خلجات النفس الانسانية وأخفى خفاياها ومشاعرها ..

وسوف تقرأ فى هذا الباب فى الاعداد التالية من ((كتابى)) طائفة من الكتب الخالدة التى تصور الحياة الخاصة لنفر من أعظم عباقرة الانسانية .. سواء بأقلام غيرهم أو باقلامهم : ستقرأ فيه ((اعترافات جان جاك روسو)) .. و ((اعترافات تولستوى)) .. وغراميات الشاعرين الخالدين روبرت براونتج واليزابث باريت .. وغرام ((جورج صاند)) و ((شوبان)) .. وحياة الرسام ((تولوز لوترك)) فى الحى اللاتينى بباريس ... الخ

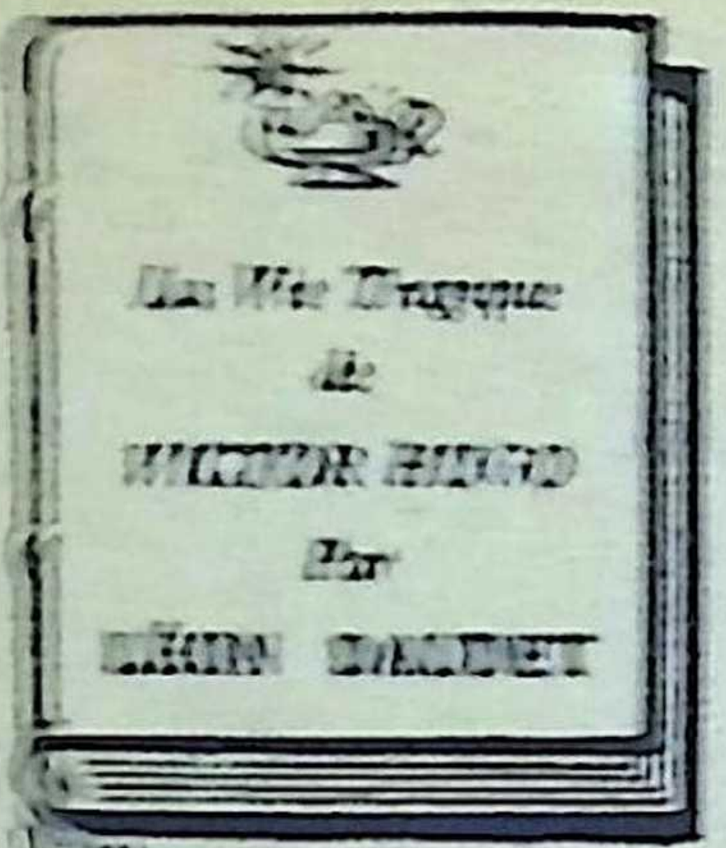

ليون دوديه

مأساة قلب !

قصة غراميات وفواجع

فيكتور هوجو

في حياته الخاصة

الصديق الغـــادر

◆ **نحن** فى باريس ذات صباح صحو جميل من شهر يوليو سنة ١٨٣١ ٠٠٠ الشمس المشرقة تملأ الجو دفئا وبهجة ٠٠ وقد جلس فيكتور هوجو فى غرفة المكتب بمسكنه الانيـــق بشارع « جان جوجون » ينتظر دخول زوجته « أديل » التى استدعاها منذ برهة ليتحدث اليها حديثا خاصا على انفراد ٠٠!

كان الاديب الشاب يدنو من عامه الثلاثين ، وقد أضـــاف نجاح مسرحيته « هرنانى » مزيدا من البهـــاء الى الهالة التى تحيط بوجهه الوسيم الذى ينضح شبابا وفتوة ، ويكاد يشبه وجه آله !٠٠

وكانت زوجته الشـابة ، التى تزوجها عن حب ، والتى أنجبت له طفلين وطفلتين ، امرأة فى قمة روائها ، ذات شعر قاتم ، وكتفين جميلتين ، وصدر فاخر ، وعينين تطل منهما نظرة جادة توحى بالعزم والصلابة ٠٠ وكانت كثيرا ما تسلم زمامها لنوبات عنيفة من الغضب ٠٠ أما ذكاؤها فقد كان فوق المتوسط ، ورغم ذلك فقد **كانت سريعـــة التأثر بكلمات الملق والمداهنة ٠٠ وبفضل هذا الميل عرف صديق الاسرة النـــاقد الشهير « سانت بوف » كيف يستميلها اليه ٠٠ فكان يطرى زوجها جهرا ، ويدللها هى سرا !**

وساءلت اديل نفسها بضمير قلق وهى متجهة الى غرفة زوجها : « ترى ماذا يريد منى ؟٠٠ هل يبغى أن يلقى عـلى « محاضرة » جديدة من محاضراته ؟ »

◆ **كان** هوجو جميل الوجه ، فى انفة واعتزاز ، ذا عينين زرقاوين عميقتين ، وجبين عريض وضاء ، وشعر بنى متموج ، وقوام رائع ، ويدين رقيقتين ، وســاقين طويلتين جميلتى التكوين ٠٠ **تشعل كيانه على الدوام نار الرغبة والشـــغف بأجساد النساء، وأصواتهن، وملقهن ٠٠ وكان ولوعا بالمغازلات الحادة فى مغازلاته ، يخص بها يوما أميرة من الاميرات ، وفى**

اليوم التالى سيدة من سيدات المجتمع الرفيع ، وفى الثالث خادمة وضيعة الشأن !٠٠

وابتدرته اديل وهى تدخل « صومعته » التى اختارها كى يناجى فيهاشياطين شعره بعيدا عن ضجيج الاولاد ولعبهم الصاخب : « هأنذا ٠٠ ماذا تريد منى ؟ »

ـ أريد أن أحدثك حديثا جديا ، اجلسى ٠٠ منذ شهور تغيرمسلكك معى تغيراملحوظا٠ أحسبك تفهمين ما أرمى اليه ، ان نفورك منى ليس جثمانيا فقط ، بل هو نفور عقلى أيضا انك لم تعودى تسألينني عن عملى ، وتشجعينني وتمدينني بالمعونة كما كنت تفعلين وأنا أكتب « هرنانى » ٠٠ وبالاختصار فان شيئا أو « شخصا » ما قد بات يفصل بيننا منذ مولد طفلتنا الاخيرة « أديل الصغيرة » ٠٠ وهذه الشكوك تقتلنى ، فبربك صارحينى بما هنالك ! »

فأجابت مدام هوجو فى تأن ، بصوت جاف متراخ : « لم يعد يجدى كذبى عليك ٠٠ لقد تضاءل حبى لك ، أو بعبارة أخرى ان الشعور الذى بت أحسه نحوك هو شىء آخر مخالف لشعورى القديم ٠٠! »

ـ وما سبب هذا التغير ؟

ـ انك لا تدرك مبلغ الغطرسة التى صرت تظهرها ٠٠ لم تعد تحتمل أدنى معارضة ، وباتت أبسط ملاحظة أبديها تثيرك وتدفعك الى تعنيفى وتوبيخى أمام الناس كما لو كنت صبية صغيرة ٠٠ انى أعلم أننى قد تزوجت من رجل عظيم ، اعلم

هذه الحقيقة جيدا، فلتكف عن تذكيرى بها بهذا الالحاح المهين ٠٠!

ــ أشكرك على صراحتك ، ولكن لماذا انتظرت الى اليوم كى تجابهينى بهذا الانذار الخطير ؟

ــ لانك لم تسألنى ايضاحا من قبل ؟

ــ وهل تعتقدين أن هذا النفور مؤقت أم سيدوم ؟

ــ هذا أمر يتوقف عليك أنت يا فيكتور ، أكثر منه على ؟

ــ أواثقة أنت من ذلك ؟

ــ لو لم أكن واثقة منه لما تركت باب مخدعي مفتوحا طيلة الوقت ، فى النهار والليل !

ــ بقيت مسألة أخرى ٠٠ ألا توافقيننى على أن نفورك يمتد الى أولادك أيضـــا ؟ انك تهملين اليوم ليوبولدين ، وشارل ، وفرانسوا ، كما تهملينني بالضبط ، وتخصين « أديل » وحدها بكل حنانك والتفاتك ٠٠!؟

ــ هـــذا لوم غريب ، ولا سيما من جانبك ٠٠ أنت الذى لم تعد تلم بالبيت فى غير ساعات العمل ، وصرت تتناول نصف وجباتك فى الخارج ، ولا تعود الى بيتك الا فى الساعة الثانية أو الثالثة صباحا ٠٠ انك تنفق من الوقت مع ممثلاتك أكثر مما تنفق معى !

ــ أؤكد لك اننى لست ألهو معهن ٠٠ وأنت تعلمين جيدا أن المسرح هو مصدر رزقنا ومعاشنا ٠٠

ــ ان أنانيتك هى التى تثيرنى، وهى التى تجعلك لا تبالى بغير نفسك ، ولا حتى بأسرتك ٠٠ انى ما كنت لافاتحك برأيى هذا لو لم تبدأ أنت بالشكوى من مسلكى، الذى هو انعكاس لمسلكك!

◆ **اضطرب** هوجو ، فقد كانت حجج زوجتـــه منطقية ومعقولة كحججه هو ٠٠ لكنه لم يقتنع بأنه المسئول عن هـــذه النتيجة٠ وقد كاد لسانه أن ينزلق فى هذا الصدد الى ذكر اسم صديقهما سانت بوف، لكنه لم يجرؤ٠٠ **لم يستطع ان يتصور للحظة واحدة أن هذا الصديق الصدوق يمكن ان يخونه ٠٠**

أو أن زوجته « أديل » قد أمكنها أن تهب نفسها لمثل هذا الرجل الكريه، الاصلع، القبيح الخلقة•• لكن كثرة تردد هذا الناقد على بيتهما قد أثار الاقاويل والشائعات ، حتى فى الوسط المسرحى حيث تنتشر رائحة الفضائح بسرعة عجيبة !

وبعد تبادل بضع عبارات أخرى انسحبت مدام هوجو من الغرفة ، تاركة زوجها غارقا فى تأملاته وشروده •• ان ظلا جديدا من القلق قد فرض نفسه على ذهنه ، نتيجة لعبارة زوجته الغريبة : « ان حبى لك قد تضاءل ، أو لعل الشعور الذى صرت أحسه نحوك هو شىء آخر غير الحب ! »

وغمغم الشاعر لنفسه بصوت مسموع : « ان هذه الهواجس لتكفى كى تودى بى الى الجنون ! » وأعادت الكلمة المخيفة الى وعيه ذكرى رهيبة ، ذكرى أخيه « يوجين هوجو » الذى أصيب بلوثة فى عقله ليلة زفافه هو الى « أديل » ــ رفيقة صباهما التى اشترك فى حبها الاخوان ــ الامر الذى انتهى الى ادخال العاشق المنبوذ مصحة للامراض العقلية !•• وفجأة انتفض فى ذهن الشاعر خاطر مريب : من يدرى؟ لعله قد كانت بين يوجين وأديل ــ قبل زواجها ــ صلة خاصة أقوى مما كان فيكتور يعرف •• والا لما جن الشقيق المسكين لفقدها ؟

وخلال الايام التالية دأب هوجو على مراقبة صديقه سانت بوف مراقبة أدق •• كان الناقد الكبير يزورهما كل مساء ، ليثرثر مع كليهما ، أو مع أديل وحدها اذا لم يجد فيكتور فى البيت •• وأحيانا كان يبقى للعشاء ، بحيث اعتادت الزوجة أن تعد له مكانا من مائدتهما دائما وبصورة آلية •• وكان الناقد يبدى اهتماما ملحوظا بالطفلة الاخيرة « اديل الصغيرة » ، ويطيل النظر الى محياها وهى نائمة فى مهدها الصغير ! وهى عاطفة تستغرب من رجل لم يشتهر يوما برقة احساسه !•• ومن ثم كانت الصغيرة مسؤولة عن الشكوك التى باتت تراود الآن ذهن هوجو المبلبل ونفسيته المرورة !

وذات مساء عاد هوجو الى بيته قبل موعده المألوف ففاجأ سانت بوف جالسا بجوار زوجته ويدها فى يده !٠٠ ولم يحرك الزائر ساكنا لدى دخول الزوج ، أما هذا فقد عبر عن دهشته بأن لاذ بالصمت ، حتى سحبت أديل يدها آخر الامر !

لقاء الزوج والعشيق

◆ **وتفاقمت** شكوك هوجـو ووساوسه ، وتزايد طلبه للخلوة مع زوجته كثرة والحاحا ، لكنها كانت تتذرع لرفض طلبه بمختلف الحجج والمعاذير ، وتزداد نفورا منه كل يوم !٠٠ وبعد انقضاء عدة أسابيع على هـذا المنوال اعتزم فيكتور أن يسأل صديقه الحميم ايضاحا للموقف !٠٠ وتم اللقاء فى مكتب سانت بوف ٠٠ وابتدر الضيف زائره متسائلا ، بلهجته المنطوية على الجبن والخبث :

– ماذا تبغى أيها الصديق ؟

– أبغى أن أتحدث اليك فى أمر يتصل بك وبامرأة وثيقة الصلة بى ، ولست فى حاجة الى ذكر اسمها ٠٠ أريد أن أعرف ما اذا كانت ما تزال الصداقة وحدها التى تسيطر على صلتك بهذه المرأة ، أم أن عاطفة أخرى قد تسللت الى علاقتكما دون أن تحس بها !

كان السؤال صريحا ، قاسيا ، بحيث لم يكن فى طوق سانت بوف أن يتجنب الاجابة عليه ٠٠ لكنه تردد ، كمن يسائل نفسه عن مبلغ ما يعرف هوجو من الامر كله ؟ **كانت مدام هوجو قد أمست خليلته منذ زمن ، بل لقد رسخ فى ذهنه الاعتقاد بأنه هو والد الصغيرة أديل ، وليس هوجو !!**

– سأجيبك بصراحة أيهـا الصديق : منذ بضعة أشهر أحسست ازاء المرأة التى تتحدث عنها بعاطفة عميقة لا أستطيع السيطرة عليها ، لكنها ليست من النوع الذى يسبب لك أى ازعاج ٠ ان شكوكك لا أساس لها !

– أتستطيع أن تقسم على ذلك بشرفك ؟

ـ نعم
ـ هذا أمر يدخل على نفسى راحة كبرى ، ولكن ، هل لديك ما يبرر الظن ان المرأة التى تعنيها تبادلك عاطفتك ؟
ـ هذا سؤال ليس لى أن أجيب عليه يا هوجو ٠٠ فعليك أن توجهه اليها هى ٠٠ ولكن احـذر من أن تحدث شكوكك وأسئلتك لها أى رد فعل ضار بك فى نفسيتها المرهفة !

كان « العشيق » الغادر يتكلم بلهجة خبث ود هوجو معها لو يصفع وجه « صديقه » المكتنز الذى تلمع بشرته بأفرازاتها الزيتية ٠٠ لكنه قمع رغبته ٠٠ بينما حدث الآخر نفسه شامتا فى صديقه المبلبل الفكر : « ان له من التفوق الجثمـانى والادبى والاجتماعى على شخصى ما يبرر انتقامى الضئيل هـذا ٠٠ فأمضى فى سبيلك يا نفسى ! »

وافترق الصديقان ، على وعد من سانت بوف بالاقلال من زياراته لبيت هوجو ، بغية قمع تلك العاطفة الطارئة ٠٠ افترقا ولكن دون أن يتصافحا ، وقد ملأت الكراهية قلب كل منهما نحو الآخر ٠٠!

عندما تضل الزوجة !

كان سانت بوف قد نال مدام هوجو بفضل استغلاله الماكر لعطفها عليه : من أجل عزوبته الموحشة وحرمانه من البيت والاسرة واحتماله عبء هواه اليائس الخانق نحوها !٠٠ أجاد تمثيل دور المذنب المعترف بذنبه ، الذى يحبها ويدرك أنه ليس أهلا لها : « انى قبيح الخلقة وأنت رائعة الحسن ! » ، وكانت مغازلاته حزينة تفيض كآبة وانقباضـا ، حتى لتستدر من المعشوقة الفاتنة دموع الاشفاق على العاشق المعـذب ٠٠ والدموع فى الخلوات تشعل بطبعها فى اللحم والدم نيران الرغبة المكبوتة !

وأذعنت أديل لتوسلات الصديق الغادر واستجدائه ٠٠ فمنحته حبها « الاموى » المشوب بالاشفاق المحموم ٠٠ صارت تبذل له من اهتمامها بصحته « ونزلاته » ، وهندامه المهمـل

وثيابه البالية وجواربه المرتوقة ، بقدر ما تبـ[illegible]ذل لزوجها من اهمال متزايد لشأنه ولثيابه التي لم تعد تطيق أن تلمسها ! بل لقد صارت تستسلم لقبلات زوجها بشفتين مغلقتين وقلب غارق في اليأس ،وذهن منصرف عن هذا الذى يعانقها ، الى ذاك القابع في مسكنه التعس غارقا وسط أكوام الكتب : سيدها الحقيقي ومولاها !

– أديل ، لآخر مرة أسألك : أتحبين سانت بوف ؟

– نعم ، أحبه ٠٠ هل استراح خاطرك ؟

– كيف تمزحين فى صدد أمر كهذا ، فى حين انى أعانى عذابا مروعا ؟٠٠ هل أسلمته نفسك ؟

– كلا ٠٠ لكن الرغبة فى ذلك لا تنقصنى !

– كيف يقسو قلبك على الى هذا الحد ؟

– وهل كنت أنت أقل قســوة على حين كنت تخوننى علانية مع الممثلات وفتيات الحوانيت والخادمات ٠٠ وكل امرأة تروق فى عينيك ؟

– انك تنسين أن لنا أربعة أطفال ، وأن ليوبولدين سوف تبلغ سن الزواج فى بضع سنوات ٠٠ أتريدين أن تفســدى مستقبل ابنتك ؟

– أو لم تفسد أنت شبابى ؟

– كيف أمكن أن الصديق الذى قاسمنى بيتى ٠٠ قد أمسى الآن عدوى ؟

– ليس هو عدوك يا فيكتور ، بل قاضيك !

٠٠ وبتكرار هذه المواقف الموجعة كل حين ، غدت الحياة جحيما بالنسبة للزوجين ٠٠ وبعد تردد طويل كتب هوجو الى سانت بوف بتاريخ ٦ يوليو سنة ١٨٣٤ خطابا يناشده فيه أن يرحل بعيدا عن باريس ، ابقــاء على البقية الباقية من صداقتهما الجريحة !

اقرأ الجزء الثانى من هذا الكتاب فى «كتابى» الثانى

كتابك

الأول

محتويات الكتاب

الغفران : قصة مصرية للمحرر • غرام تحت سماء الشرق : من روائع القصص العالمي الحديث ، لستيفان زفايج • خطايا الحب : دراما من درر المسرح الخالدة ، لأوسكار وايلد • ديفاليرا ، قصة حياة وكفاح ضد الاستعمار البريطاني : من قصص أنبياء الوطنية والحرية • كيد النساء : عن "ديكاميرون" (ألف ليلة وليلة الإيطالية) لبوكاشيو : قصة فكرية من كنوز الكتب القديمة • محاكمة "آن بولين" ملكة انجلترا التي اتهمت : من مآسي المحاكمات التاريخية الكبرى • لغز المرأة المختفية : من غوامض القصص البوليسي ، للروائية أجاثا كريستي • كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية : كتاب جديد للعالم النفساني ماكدونالد لاديل • مأساة قلب : قصة غرام فيكتور هوجو وعشيقته جولييت درويه .